تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب

(تاريخ صقلية الإسلامية)

الدكتور

مدحت محمد عبد الحارث

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادى

٢٠٢٣م

ابن حمديس

ذكرت صقلّيّة والهوى ... يهيّج للنّفس تذكارها

فإن كنت أخرجت من جنّة ... فإنّي أحدّث أخبارها[1]

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت١٩٩٥ م، ج٣،ص ٤١٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تباينت العلاقات التاريخية بين الشرق و الغرب وإن اتخذت الطابع الحربى العسكرى عبر التاريخ فى ظاهرها وهو الغالب على تلك العلاقة، فلقد انبرى العديد من الكتاب والمؤرخين للبحث فى هذا الطابع العدائى وبيان أسبابه وأحداثه ونتائجه على كافة المناحى ، وكان من ضمن العلاقات المتباينة (التواصل الحضارى) الذى شمل وأثر على كل مناحى الحياة وخصوصا على الغرب .

فالتاريخ الإنسانى يشهد أنه كان لأغلب شعوب البحر المتوسط اليد الطولى في إرساء حضارة الإنسان فقد تناوبت هذه الشعوب العمل والابتكار على مسرح التاريخ ، فعندما أصبحت الحضارتان البابلية والمصرية ، اللتان بدأتا الخطوات الأولى في حاجة إلى قوة ابتكاريه جديدة وجدتاه في عبقرية اليونان ، وعندما انحدر اليونان وتخلفوا وكادت تطمس حضارتهم وتضيع ، وجدت الحضارة العربية تلك القوة الخلاقة الدافعة التي تناولت المشعل الذي كاد ينطفئ وتخبو ناره ، فأشعلوه من جديد وخطوا به نحو غايات جديدة وأسلموه بدورهم إلى أوربا وهو في أوج اشتعاله وفي قمة نوره)) [١] .

ومن خلال البحث التاريخى فى تاريخ العلاقات وجد المؤرخين أن هناك علاقات متعددة بين الشرق والغرب مثل العلاقات الدبلوماسية والإجتماعية والإقتصادية وتواصل حضارى ضخم بين شعوب الشرق والغرب كان له الأثر الفاعل على الحضارة الإنسانية، وذلك رغم الفعل العدائى الصدامى الذى يتبناه الغرب ضد الإسلام منذ العصور الوسطى حتى الآن، رغم الأيادى البيضاء للإسلام والمسلمسن على أوربا، وأن الإسلام كان هو المصدر الأكثر تحفيزا لأوربا على التقدم .

ففى هذا المؤلف سوف نلقى الضوء على العلاقات التاريخية بين الشرق والغرب من خلال جزيرة صقلية والتى سوف نلقى الضوء على تاريخها بشكل عام تحت حكم المسلمين ، تلك الجزيرة التى شاء القدر أن تشهد على طبيعة العلاقة التاريخية ذات الظلال الممتدة بين الشرق والغرب لقرون طويلة والتى كان لها الأثر الواضح فى نهضة الغرب وحضارته الحديثة .

(١) جلال مظهر : حضارة الإسلام واثرها في الترقي العالمي ،القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٤، ص٤٨٦.

الفصل الأول

معابر انتقال الحضارة الاسلامية الي أوربا

فى العصور الوسطى

١- الأندلس

٢- الحروب الصلبية

٣- صقلية (تاريخ وحضارة)

الفصل الأول

(معابر انتقال الحضارة الاسلامية الي أوربا فى العصور الوسطى)

الحضارة الإنسانية هى تراكم قيمى معرفي مادي وروحي لكل الشعوب، وهى نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وتتألف الحضارة من أربعة عناصر: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمِنَ الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء(١)، والإنتاج الحضاري لا يقف عن حدود الإقليم، أو حدود القومية، فقد امتدت دولة الإسلام التى بدأت من شبه الجزيرة العربية(٢) حتى حدود الصين شرقاً الى جنوب فرنسا غرباً، ومن خلال حركة الفتوحات الإسلامية استفاد العرب من فلسفة اليونان، ومن ثقافة الصين والهند ، مع ما عندهم في ملامح فكرية عربية أصيلة فهضموا هذه الحضارات المختلفة وتولوها بالرعاية والبحث والتصحيح والتهذيب، وأضافوا إليها الكثير من أفكارهم وابتكاراتهم، حتى بلغت غاية نضجها واكتمالها، وتميزت بملامح جديدة تنبع من منطلقات الدين الإسلامي، ونظريته الشاملة للكون والحياة وشؤون الناس، وهي نظرة تتجاوز الإطار الديني الذي يحصر الإسلام في العبادات وأداء الطاعات، إلى التربية الشاملة للفرد، وجعله إيجابيا في حياته الدنيوية، ساعيا للخير، وعمارة الكون، ناشدا مرضاة الله وجناته في الآخرة بقيم من القرآن الكريم منضبطا بقوله تعالى" قُلْ إِنَّ

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة،ترجمة زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ج١، ص٣..

(٢) الجزيرة العربية : أكبر أشباه الجزائر في العالم، ويبلغ أكبر أطوالها ١٤٠٠ ميل وأكبر عروضها ١٢٥٠ ميلاً، وبلاد العرب هضبة واسعة ترتفع على مسافة ثلاثين ميلاً من البحر الأحمر ارتفاعاً فجائياً إلى ١٢٠٠٠قدم، وتنحدر نحو الشرق انحداراً سهلاً في أرض جبلية جدباء حتى تصل إلى الخليج الفارسي. وفي وسط الجزيرة عدد من الواحات والقرى ذات النخيل، ويمكن الحصول على الماء بحفر الآبار. وشبه الجزيرة العربية هى موطن العرب قديما وهى تقع فى الجنوب الغربى من قارة أسيا يحدها البحر الأحمر شرقاً(بحر القلزم) والمحيط الهندى جنوباً والخليج العربى غرباً المعروف عند اليونان باسم (الخليج الفارسي) وحدّها الشمالي خط وهمي يمتد في اصطلاح العلماء العرب من خليج العقبة حتى مصبّ شط العرب في الخليج العربي(بلاد الشام)، أرضها حرات (حجارة سوداء تكونت بفعل البراكين)، قسمت قديماً إلى خمسة أقسام هى تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن، ولهذا الموقع أهمية كبيرة إذ كانت شبه الجزيرة العربية حلقة الوصل بين الحضارات القديمة، وسكن العرب كذلك في العراق من ضفة الفرات الغربية، حتى بلغوا أطراف الشام، كما سكنوا في فلسطين وسيناء إلى ضفاف النيل الشرقية حتى أعلى الصعيد، وغلب عليهم طابع البداوة والترحال. لمزيد من التفاصيل عن جزيرة العرب انظر المقدسى : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٤١١/١٩٩١، ص ٦٧ – ٧٠؛ محمد بيومى مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم، ص٨١ - ٨٢؛ جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقي١٤٢٢هـ ، ج١، ص٢٦٢؛ محمد النوى : الحياة الدينية فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة مؤمنون للدراسات والأبحاث، ٢٠١٥، ص٤ ؛ ول ديورانت : قصة الحضارة ، ج١٣، ص٧.

صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ"[١] ، ويمكن إيجاز هذه الرؤية في هذا التعريف: " إنها القيم والأخلاق والعقيدة الخلاقة، والخصائص الإنسانية العليا؛ التي ينفرد بها الإنسان عن الحيوان، وتكون دافعا له إلى تسخير ما خلق الله فيما أمر به " [٢] .

ولم تكن الحضارة العربية الإسلامية مقلدة أو تابعة للحضارات التي سبقتها، بل ان رجال هذه الحضارة بحثوا واجتهدوا وابتكروا، متخذين ركائز دينهم الذي يدعوا إلى طلب العلم، مع جذورهم الفكرية الأصلية، فأضافوا واوجدوا عناصر جديدة دفعت عجلة التطور الحضاري إلى الأمام[٣]، وذلك طيلة العصور الوسطى ، والتى يري الكثير انها كانت فترة ركود وجمود ، فلم تصل أوربا الي مستوي المدينة الرومانية في التاريخ القديم وخصوصا بعد أن دمرت من قبل الشعوب البربرية، ولم تصل حضارة الغرب الأوربي في العصور الوسطي الي درجة النضج في اواخر تلك العصور الا بعد ان اتصلت بالحضارة الاسلامية ونهلت من ينابيعها، حيث اعترف العديد من المؤرخين والباحثين بفضل العرب وأكدوا بأن أوربا تدين للعرب بحضارتها، وأن منظومة القيم[٤] الإسلامية قد حلت محل المنظومة المسيحية وخاصة فى مجالى القانون والإقتصاد .

وخلال الجزء الاكبر من العصور الوسطي انقسمت امبراطورية الروم او البحر المتوسط القديمة الي ثلاث وحدات ثقافية مميزة :

١- العالم المسيحى الغربى

٢- العالم المسيحى البيزنطى

٣- العالم الإسلامى

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣ .

(٢) توفيق يوسف الواعي : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط١، ١٩٨٨م، ص٤٠.

(٣) غوستاف لوبون : حضارة العرب، ترجمة : عادل زعيتر(بيروت١٩٧٩) ٥٢٩، ٥٣٠؛ خليل ابراهيم السامرائي : دراسات في تاريخ الفكر العربي ،الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٦، ص٣٨٣.

(٤) القِيَم : لغويا لها دلالات كثيرة فهى تعني: قِوامُ الأمر أي مِلاكُهُ الذي يقوم به. وهي أيضا: قيّم، أي مستقيم حسن، وهو المستقيم الذي لا زيغ فيه ، وقد وردت لفظة القِيَم في القرآن الكريم بتشديد الياء، ولها دلالات كثيرة فهي فى مجملها تعنى الاستقامة وعدم الزيغ، كما في قوله تعالى: (ذَلِكَ الدِّين الْقَيِّم) أى الشَّرْع الْمُسْتَقِيم مِنْ اِمْتِثَال أَمْر اللَّه ، وفي التعريف الاصطلاحي، فإن " القيمة " هي الدافع الإيديولوجي الذي يؤثر في أفكار الإنسان وأفعاله "، وهي أيضا " تصور معين – واضح أو ضمني، خاص بفرد أو جماعة – للشيء المرغوب ". ابن منظور : لسان العرب ، ج ؛ سورة التوبة، الآية (٣٦)، وسورة يوسف، الآية (٤٠)، وسورة الروم، الآية (٣٠)؛ قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفولكلور، إيكه هولتكرانس، ترجمة: د. محمد الجوهري، د. حسن الشامي، سلسلة ذاكرة الكتابة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٩٥.

وتميزت هذه الثقافات الثلاث بوجود اختلافات عميقة في الابداع والاسلوب ، ومع ذلك احتوت تلك الثقافات علي امور كثيرة مشتركة . والموروث من العلوم والمعارف هو محصلة تمازج حضارات متعاقبة على مر العصور، لكل منها وجهة نظر دينية قوية ، وكان هناك قدر كبير من التبادل والتداخل بين الثقافات الثلاث في العصور الوسطي ومع ذلك لم يحدث ان تأثرت احداهما بشكل كبير بالثقافتين الأخيرتين فان الواحده منها صنعت قدرها بنفسها وحتي حوالي القرن الثاني عشر الميلادي كان العالم المسيحي في العصور الوسطي اكثر الثقافات الثلاث تخلفا وبداية وكان عليه ان يتعلم الكثير من الحضارة الاسلامية والبيزنطية وتشكلت التركيبة الاندماجية للتراث الكلاسيكي والمسيحي والروماني بطرق كثيرة بفضل الحضارتين الاسلامية والبيزنطية وفي القرنين الثامن والتاسع الميلادي كان احتكاك غرب أوربا بالإسلام محصور في ساحة القتال الي حد كبير ولم يبدأ الغرب الاوربي في الاعتماد علي التراث والفكر والثقافة الاسلامية الي بعد ذلك .

ومن الثابت ان العرب الذين اندفعوا في القرن السابع الميلادي ليشيدوا دولة واسعة لم يكونوا مثل الجرمان الذين هدموا الحضارة الرومانية في الغرب الأوربي او حتي المغول الامبراطورية الوحشية التي هدمت انما سارت الحضارة في ركاب العرب اينما حلوا وصاحبتهم حيثما اتجهوا فهناك بلاد في المشرق والمغرب وصلت في العصور الوسطي الي حاله يرثي لها من الجهل والتأخر فتحولت بعد فتح العرب لها واستقرارهم الي مراكز حضارية يشع منها كنوز العلم وبريق المعرفة، وقد شهد كثير من المستشرقين على الفجوة الحضارية العميقة التي كانت تفصل بين المسلمين وأوروبا في هذه الفترة؛ فبينما كانت الأخيرة تتخبط في الوحل نهارًا والظلام ليلاً، كانت شوراع وأسواق العرب في الأندلس مرصوفة وتضاء ليلاً [١] .

لقد كانت وسائل نقل الثقافة العربية والاسلامية الي أوربا مختلفة . ربما كانت الحركة التجارية من اهم الوسائل استمراراً ومن اكثرها تأثيرا ومن المعروف ان سبل الحجاج كان يندفع من الغرب الي الاراضي المقدسة في فلسطين باستمرار، ثم ان الغارات الصليبية المتعصبة كانت من العوامل التي ساعدت علي اطلاع الغرب الأوربي علي حضارة الشرق وذلك علي رغم تلك الحروب من جو ملئ بالأحقاد ومن المعروف انه مع استقرار بعض الطوائف الصليبية في الشرق اعتمدت علي الزراعة والفنون والصناعات في ايدي اهل الشرق الوطنيين وعندما ابتدأ الصليبيون بمرور الزمن يظهرون شيئا من التفاهم للحياة العربية تيقنوا من التفهم للحياة العربية وللنظم الشرقية ولقد ظهر اثر الحروب الصليبية في الحمامات العامة والمستشفيات ومخازن الأدوية التي نشأت في

(١) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ٥٢٩، ٥٣٠ .

أوربا علي مثال ما كان موجودا في الشرق وقد اخفقت الحروب الصليبية في ظل أثار العرب العلمية والعقلية الي أوربا ان اثرها في هذا المجال كان هزيلا ولكن الأثار العلمية والعقلية للحضارة الاسلامية تهيأت لها منافذ في نقلتها الي أوربا.

أما المعابر التي سلكتها الحضارة الاسلامية في طريقها الي أوربا ، فهي ثلاث معابر رئيسية كبري :

١- الأندلس .

٢- الحروب الصلبية

٣- صقلية .

الأندلس وانتقال الحضارة الإسلامية لأوربا

تقعُ شبهِ الجزيرةِ الأيبيرية فى الجنوبِ الغربى منَ القارةِ الأوربيةِ تفصلها مِنَ الشمالِ عن جنوبِ فرنسا جبالُ أَلبرت أو البرتاب (Pyrenees) ويفصلها عِن الجنوبِ حدوداً للقارة الأوربية عن إفريقية مضيق جبل طارق الذى يبلغُ عرضه من الشرقِ إلى الغربِ ١٣-٣٧ كم، وتقعُ سواحلُها الشماليةِ والشماليةِ الغربيةِ على المحيطِ الأطلسى عندَ خليج بسِقايه (Biscay) وتقع سواحلها الغربيةِ على المحيط الأطلسى، وتقع سواحلها الشرقيةِ والجنوبيةِ الشرقيةِ على البحِر المتوسط ويسمى بالبحِر الرومى [١] ، وجزيرةُ الأندلسِ محاطةٌ تماماً بمياهِ البحرِ المتوسط ِوالمحيطِ الأطلسى باستثناءِ شريطِ ضيقِ فى الشمالِ يبلغ عرضه أقل مِنْ ثلاثمائة ميل ويتصلُ بالحدودِ الجنوبيةِ لفرنسا حيثُ تُقعُ جبالَ البرنيه[٢] التى جعلتْ إسبانيا منعزلةً تماماً عَنْ أوربا[٣] .

بدأ فتح الأندلس بعبور جيش طارق بن زياد وانتصاره على جيشِ القوط [٤] فى معركة وادى لكة قرب بلدة شريش[٥] سنة (٩٢هـ/٧١٢م)، وذلك بعد أن دامت المعركة ثمانية أيام وأنتصر المسلمون فى نهايتها ، واستمرَ طارقُ بن زيادٍ فى فتحِ الأندلسِ، حتى أتاه كتاب موسى بن نصير يطلبُ منه أن يتوقفَ عن الفتحِ وينتظره فى المكانِ الذى يصله فيه هذا الكتاب، وكان ذلكَ فى سنة (٩٣هـ/٧١١م)[٦] وعبر موسى بن نصير البحر إلى إسبانيا فى عشرة آلافٍ من العربِ وثمانيةِ

---

(١) عبد الرحمن على الحجى : التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة، ط٢ ، دار القلم ، دمشق بيروت ١٩٨١م، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) جبال البرنيه : هى سلسلة من الجبال تمتد على مسافة ٤٤٠كم من خليج بسكاى فى الغرب إلى البحر المتوسط فى الشرق ويبلغ إرتفاعها فى أعلى قممها ٣٤٠٤كم وسفوحها الشمالية تقع فى فرنسا، بينما تقع سفوحها الجنوبية فى إسبانيا، فهى تفصل شبه الجزيرة الأيبرية عن فرنسا، وقد عبرت المراجع العربية عن جبال البرانس باسم جبل " البرتاب " أو جبل " البرت"، وأن هذه التسمية مأخوذة من التسمية الاتينية (Portus) ومن الأسبانية (Puerto) ومعناها المنفذ؛ والمرور عبر بواباتها الأربع أمرا صعبا، ويزيد من صعوبته أن أقام بالجهة الغربية من هذه الجبال البشكنس، وكانوا يضايقون من يحاول عبور البرتاب من ناحيتهم، وفعلوا ذلك مع شارلمان (٧٦٨- ٨١٤م) وأصابوه بنكبة فى رونسفال، وقد تنبه العرب لذلك فكانت معظم غزواتهم من الناحية الشرقية. إينهارد : سيرة شارلمان، ترجمة وتعليق عادل زيتون، دار حسان، دمشق ١٩٨٩، ص٧٤؛ عبادة كحيلة : الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة ١٩٩٥م، ص ٨ ، ٩ .

(٣) حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس، ط٢،مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٨٦م، ص ٤٨١؛ محمود شيت خطاب : قادة فتح الأندلس، دار المنار للنشر والتوزيع، دمشق٢٠٠٣م، ج١، ص ٨٨ .

(٤) القوط : إحدى الجمعات الجرمانية وأكثرهم عددا، جاؤا من إسكندناوه ، وذلك فى القرن الرابع قبل الميلاد، إنقسموا إلى قسمين، القوط الشرقيون وأستقروا فى سهول روسيا، والغربيون إستقروا فى أقاليم الدول الرومانية والبلقان ؛ إبراهيم على طرخان : دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٨، ص ٣٢ .

(٥) شريش : من كور شذونة بالأندلس، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلاً، وهى تقع عند مصب نهر الوادي الكبير في البحر المتوسط، وشريش متوسطة حصينة حسنة الجهات . الحميرى : الروض المعطار، ص٣٤٠ .

(٦) البلاذرى : فتوح البلدان، ص ٢٣٢ .

آلافٍ من البربر، ونزل بولايةِ الجزيرةِ وذلك فى (رمضان سنة٩٣هـ/ يونيه٧١٢م) ، وسلك طريقاً غير الذى سلكه طارقُ بن زياد[١] وتابع فتوحاته والتقى بطارق فى مدينة طليطلة[٢] وتابعا الفتوحات إلى أن وصل أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك[٣] (٨٦-٩٦ هـ/ ٧٠٥-٧١٤م) بالعودة إلى دمشق[٤]، فتمهل موسى فى العودة حتى يتم إخضاع معاقل جليقيةGalicia [٥] فوصله كتابٌ آخر مِنْ دمشق يستدعيهِ ويأمرهما بتعجيلِ العودة، فأتجه موسى وطارق بن زياد صوب العاصمة الأموية دمشق وكان موسى قد ولى ابنه عبد العزيز على الأندلس قبل عودته منها[٦]، وتعتبر ولايةُ عبد العزيز بن موسى بن نصير بدايةَ عصر الولاة (٩٥-٩٧هـ/٧١٣- ٧١٥م)[٧] ، وبعد سقوط الدولة الأموية في المشرق سنةِ (١٣٢هـ/٧٤٩م) استطاع عبد الرحمن الداخل[٨] (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) تأسيس الامارة الأموية بها ، ثم ازدهرت قرطبة في ايام بني امية ونافست

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ١٣؛عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج١، ص ٥٢.

(٢) مدينة طليطلة (Toledo) : كانت تسمى فى اللاتنية "تولاطو" ، ومعنى طليطلة "أنت فارح" أو "فرح ساكنها" وذلك لحاصنتها ومنعتها، وهى من الجزيرة كنقطة الدائرة وواسطة القلادة تدركها من جميع نواحيها، وتتميزُ بحصانتهَا الطبيعية، حيثُ إنها تقعُ على هَضْبَةٍ صخريةٍ ترتفع عن سطحِ البحر بأكثر من ٥٠٠م، ويحيطُ بها نهرُ التاجه مِنْ ثلاثِ جهاتٍ عدا الجهة الشمالية على شكلٍ يقربُ مِنْ ثلثى الدائرة بالإضافةِ إلى إحاطة نهرِ التاجه فإنِ طليطلة محاطة بسبعةِ جبالٍ كما يذكر الإصطخرى، وأهمها جبلُ الشارات فى شمالها وسلسلة جبال أوريتانا Cordiller Oretana فى الجنوب، ، فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد، وموسى بن نصير سنة (٩٢هـ/ ٧١٣م) وجعلوها قاعدة الثغر الأدنى للدولة الإسلامية وسقطت طليطلة في يد ملك (قِشْتَالَةْ) (الفونسو السادس) في المحرم سنة (٤٨٧ هـ/ ١٠٨٥م) . ابن الشباط : وصف الأندلس : تحقيق أحمد مختار العبادى، صحيفة الدراسات الإسلامية، إسبانيا - مدريد ١٩٦٧، مج ١٤، ص١٢٠ ؛ حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٦م، ج١، ص١٣٣؛حمدى عبد المنعم : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٨، ص١- ١١.

(٣) الوليد بن عبد الملك : فَهُوَ أَبُو الْوَلِيدِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وهو سادس خلفاء بنى أمية، بويع له بالخلافة، في منتصف شوال سنة ست وثمانين، وكان مغرماً بالبناء، فتحت في أيامه الفتوحات الكثيرة. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر،ج١، ص١٩٨؛ ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت١٩٨٦ م ، ج١، ص ٣٨٨ .

(٤) المقرى : نفح الطيب، ج١، ص ٢٧٥؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج١، ص ٥٤ .

(٥) جليقية : أو اشتوريش (Asturias) أو (أستورياس تمتد من ولاية بسكونية شرقاً إلى المحيط غرباً، ومن خليج بسكونية شمالاً حتى نهر دويرة جنوباً وهى هضبة قاحلة، وأهلها أهل غدر ودناءة أخلاق وفيهم بأس شديد، . ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٢، ص ١٥٧؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج١، ص ٣٥٤.

(٦) الحميدى : جذوة المقتبس، ص ٤؛ عبد الرحمن على الحجى : التاريخ الأندلسى، ص١١٦.

(٧)ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص٢٢؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج١، ص ٥٢ .

(٨) عبد الرحمن بن معاوية : عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية، كنيته أبو المطرف، ولد بموضع يعرف بدير حسينة من دمشق، سنة (١١٣هـ/٧٣١م)، ومات أبوه وتركه صغير السن، ودخل الأندلس وهو ابن خمس وعشرين سنة أو نحوهما، وبويع له بقرطبة يوم الأضحى من سنة (١٣٨هـ / ٧٥٥م) وتوفى سنة (١٧٢هـ/ ٧٨٨م)، ودفن بقصر قرطبة، وقد بلغ تسع وخمسين سنة وقيل ستين سنة، فكانت مدة خلافته ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ونصفا . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص ٩٣؛ الحميدى : جذوة المقتبس، ص ٩ ، ١٠؛ ابن الأبار : الحلة السيراء، ج١، ص ٣٥؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢، ص ٤٧؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ج٢، ص٧ .

في عظمتها القيروان وبغداد والقاهرة وبخاري ودمشق ، وخصوصا وأن الأندلس حَظِىَ باستقرار سياسى واضح فى فترة الخلافة(عصر الناصر،[١] والمستنصر،[٢] والدولة العامرية[٣])، وهى فترة لا تتعدى فى مجملها مائة عام (٣٠٠– ٣٩٩هـ/٩١٢– ١٠٠٨م)[٤]. كان له الأثر الحضارى العظيم على أوربا بأسرها ، ومنذ عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وصلت الأندلس لدرجة كبيرة من الثراء فهُوَ أول من فخم السلطنة بالأندلس من انتقاء الرِّجَال وشيد المباني وَهُوَ الَّذِي بني جَامع إشبيلية وسورها كَانَ يقَال لأيامه أَيام الْعَرُوس[٥].والأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦–٢٣٨هـ (٨٢٢–٨٥٢م) هو أول من أمر بإنشاء دار الطراز في الأندلس ، وكسي الخلافة أبهة الجلالة ،وقام بشراء العديد من الكتب ، سواء القديمة أو الحديثة من المشرق الإسلامي [٦] . وربما تكون هذه الكتب هي النواة الأولي لمكتبة الخلافة الأموية الكبري في قرطبة والتي تألقت في القرن الرابع الهجري ،، كذلك وجد في قصر الإمارة خزانة خاصة بكسوة الأمير، ويوجد في القصر خياطون لهم

---

(١) الناصر : هو عبد الرحمن بن محمد، كنيته؛ أبو المطرف؛ لقبه: الناصر لدين الله؛ أمه : أم ولد تسمى مزنة، ولي في اليوم الذي توفي فيه جده الأمير عبد الله وبويع له فيه، فى مستهل ربيع الأول سنة (٣٠٠هـ / ٩١٢م)، وهو أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الأموية في الأندلس، وتوفي يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان المعظم سنة (٣٥٠هـ / ٩٦١م)؛ فكانت خلافته (٥٠ سنة) وستة أشهر وثلاثة أيام؛ وكان عمره (٧٣ سنة) وسبعة أشهر . ابن الأبار: الحُلَّة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥،ج١، ص ١٩٧؛ ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب، تحقيق شوقى ضيف ، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩م، ج١، ص ١٨١.

(٢) المستنصر: هو الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، كنيته: أبو المُطرف؛ أمه: اسمها مهرجان؛ بويع له بعد موت أبيه لثلاث خلون لرمضان سنة (٣٥٠هـ / ٩٦١م) وأبدى إهتماما كبيراً بالعلم والعلماء وتوفى سنة (٣٦٦هـ / ٩٧٦م) وكان عمره : (٦٣) سنة وسبعة أشهر فكانت دولته خمس عشرة سنة، وسبعة أشهر، وثلاثة أيام . ابن الأبار: الحُلَّة السيراء، ج١، ص ٢٠٠؛ خوليان ريبيرا : التربية الإسلامية فى الأندلس، ط٢، ترجمة الطاهر مكى، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٤، ص١١ .

(٣) الدولة العامرية : قامت الدولة العامرية على يد محمد بن أبى عامر وذلك بعد أن تخلص من خصومه بعد وفاة الحكم المستنصر سنة(٣٦٦ هـ/ ٩٧٦م) و اتخذت الدولة العامرية شرعيتها من حماية الخليفة هشام المؤيد والحكم باسمه، وأنفرد محمد بن أبى عامر بالسلطة وتسمى فى عام (٣٧١هـ / ٩٨١م) بالحاجب المنصور ودعى له على منابر المساجد، وقام ببناء مدينة الزاهرة سنة(٣٦٨ هـ/ ٩٧٨م) وأنتقل إليها سنة (٣٧٠ هـ / ٩٨٠م) ونقل إليها خزائن الأموال والأسلحة وإدارات الحكومة وحاشيته ووزراءه متخذا سمة الملك فيها ، وقلد الحجابة لابنه عبد الملك سنة (٣٨١هـ / ٩٩١م) وكان عمر عبد الملك فى الثانية عشرة من عمره، وتسمى المنصور كذلك فى سنة (٣٨٦ هـ/ ٩٩٦م) وتسمى بالملك الكريم، وأنتهت الدولة العامرية بمقتل عبد الرحمن بن المنصور فى (الثالث من شهر رجب سنة ٣٩٩هـ / الثالث من شهر مارس سنة ١٠٠٩م) . لمزيد من التفاصيل عن الدولة العامرية ينظر : ابن عذارى : البيان المغرب، ج٢ ، ص ٢٧٢- ٢٩٤؛ النويرى : نهاية الأرب ، ج٢٣ ، ص ٢٤٤؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام، تحقيق ليفى بروفنسال ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ٢٠٠٦م، ص٥٩-٨٣ ؛ السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٢م، ج١، ص ٢٥٩،٢٦٠.

(٤) عبادة كحيلة : الخصوصية الأندلسية، ص ٥١ .

(٥) ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب، ج١، ص٤٥-٤٦؛ عبد العزيز الدوري، عبد الرحمن الداخل ، ٧٢ .

(٦) ابن عذاري : البيان المغرب، ج٢، ص٩١؛ ابن سعيد : المغرب ، ج١ ، ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٣٥٢ .

عريف خاص[١]، وأرسل بوفد من عنده لملك النورمان، سنة (٢٣٦هـ /٨٤٥م) حملهم هدية فيها الكثير من الطرف واللطائف وخصوصا من الثياب نالت إعجاب الملك [٢]، و الخليفة الحكم المستنصر ، وعنما جاءته سفارة من أمير برشلونة الكونت بوريل سنة (٣٦٠ هـ / ٩٧١ م) Saunier وصرفهم بجزيل الصلات وفاخر الكسي[٣] ، والعجيب أن الإمبراطور " قسطنطين " حاكم بيزنطة لم يجد شيئاً يتقرب به إلي قلب الناصر حينما عزم علي عقد معاهده سوي أن يهديه كتاب (ديسقوريدوس) [٤] .

أغدق الحكم العطايا علي البعيدين من العلماء والأدباء فوصلت صلاته ابن يعقوب الكندي فيلسوف العرب وأبو الفرج الأصبهاني، وهذا الأخير تلقي منه، فيما يقال، ألف دينار ذهبا عينا ليرسل إليه نسخة من كتابه الذي ألفه في الأغاني، فأرسل أبو الفرج من كتابه هذا إلي الأندلس نسخة منقحة، قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق أو ينسه أحد منهم، وألف له أيضاً أنساب قومه بني أمية موشحة بمناقبهم وأسماء رجالهم [٥].وكان "حريصاً علي اقتناء دواوينها ، يبعث فيها إلي الأقطار والبلدان "[٦] وكان الحكم يسبغ رعايته علي سائر العلماء من مختلف الملل والنحل، مسلمين كانوا أو غير مسلمين. ومن شواهد هذه الرعاية أن الأسقف العالم ريثموندو الإلبيري، المسمي باسمه العربي، ربيع بن زيد، كان أثيراً لديه متمتعاً برعايته، لتبحره في علم الفلك، والعلوم الفلسفية، وهي من الدراسات التي كان يعني بها الحكم [٧] . فقد ألف الأسقف ربيع بن زيد، كتاب الأنواء، واشتهر باسم تقويم قرطبة، وأهداه إلي الحكم الثاني [٨] . وكان عدد فهارس مكتبته أربعا وأربعين فهرسة في كل واحد خمسون ورقة، وربما بلغ عدد الكتب أربعمائة ألف مجلد. ولم يكن يفضل علما علي آخر، ولذلك امتلأت خزائنه بكتب الحكمة والفلسفة والمنطق والطب، وأقبل الناس علي قراءة علوم الأوائل [٩].

(١) ابن خلدون : العبر، ج١، ص ٣٢٩ .
(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٦؛ ابن حيان : المقتبس، تحقيق مكي ، ص٣٥٠ ؛المطرب، ص ١٣١-١٣٢، ١٣٦؛ حسين مؤنس، غارات النورمانديين علي الأندلس، ص٦٣.
(٣) عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٢، ص٤٩٠؛ لمزيد من التفاصيل عن دار الطراز في الأندلس أنظر : سالم بن عبد الله الخلف : نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ج١، ص ٢٠٤ – ٢٠٥..
(٤) ابن حيان : المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، ص١١٠. ؛ المقري : نفح الطيب ، ج٢ ، ص ٦٩٢.
(٥) احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثقافة – بيروت١٩٦٠ ، ص٤٥ - ٤٦.
(٦)ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج١ ، ص ٢٠١ .
(٧) عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٢ ،ص٥٠٧ .
(٨) خوليان ريبيرا :التربية الإسلامية في الأندلس، ص ١٦٥.
(٩) احسان عباس : تاريخ الآدب الأندلسي، ص٤٦ .

حتى العمارة تطورت كثيرا فى الأندلس ، وبنيت العديد من القصور مثل قصر قرطبة وقصر الرصافة ،وقصر الكامل والحائر والمبارك والزاهر والمعشوق والمجد والرستق وقصر السرور والتاج وقصر البديع وقصر المؤنس وقصر البديع وقصر الزهراء وقصر الخلافة [١].

ونمت قرطبة نمواً عظيماً حتي بلغ عدد سكانها أكثر من خمسمائة ألف، وبلغت مساجدها ثلاثة آلاف مسجد، ومنازلها أكثر من مائة ألف، وحماماتها العامة أكثر من ثلاثمائة، وبلغت أرباضها أو ضواحيها ثمانية وعشرين، هذا عدا المدينة الوسطي ، حتي أن الراهبة السكسونية هروسوفيتا التي اشتهرت بنظمها في أواخر القرن العاشر، أشادت في قصائدها اللاتينية بمحاسن قرطبة ووصفتها بأنها " زينة الدنيا " [٢] .

حيث اصبحت قرطبة قبلة الشعراء والكتاب والفنانين والعلماء ،وانشأ حكامها مدارس الطب والفلسفة والعلوم والفنون فأصبحت موطنا للعلوم واصبح بها عدد ضخم من المستشفيات والأطباء والصيادلة والكيميائيين وعلماء النبات والرياضيات والفلك والفلسفة وكانت جامعة قرطبة ومكتباتها مراكز للعلوم والترجمة من اليونانية والهندية الي العربية وقام أمراء بنى أمية وخلفائها مثل الخليفة الحكم المستنصر في طلب العلماء والكتب[٣] من جميع مراكز العلوم في اليونان وبيزنطة ومراكز الحضارات الثقافية في البلاد العربية لشراء احدث مؤلفات الكتب،، حتى ليروى انه كان في الأندلس أيام الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ – ٣٦٦ هـ /٩٦٠-٩٧٦م) سبعون مكتبة عامة تحوي مئات الآلاف من الكتب في مختلف حقول المعرفة الإنسانية ، بالإضافة إلى المكتبات الخاصة ، هذا فضلاً عن مكتبة قرطبة المركزية، وأصبحت قرطبة يومها قبلة العلماء والطلاب في المشرق والمغرب ، وقد كان من أسباب الازدهار العلمي في الأندلس إنها لم تكن في أي وقت من الأوقات بمعزل عما يجري في حواضر العلم العربية الإسلامية ، مما جعل لأهل الأندلس معارف شتى فى القضاء واللغة وآدابها وعلومها والمعاجم والتراجم، والتاريخ والسيرة والجغرافية، وألفوا في علوم الطب والحساب

(١) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق محمود مكي ، ص ١٦٣-١٦٤.

(٢) ابن حيان: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص٩٢؛ المقتبس، تحقيق شالميتا، ص٤٢٣، ٤٥٩، ٤٦٩، ٤٨٥؛ المقري : نفح الطيب، ج ١، ص٤٥٨ عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج٢، ص٤٤٨ .

(٣) حيث أرسل عبد الرحمن الأوسط العلماء لالتماس الكتب القديمة فجيء إليه بكتب كثيرة منها (كتاب الزيج)، (وكتاب القانون)، (والسند هند)، (والأركند والموسيقا) ، وسائر كتب الفلسفة والحكمة وكتب الطب وغيرها من كتب الأوائل وأيضاً (كتاب الفرش) . وكان عبد الرحمن عالماً بالشريعة والفلسفة ، كما كان شغوفاً بكل ما يتصل بعلمي الفلك والرياضيات ، وأرسل الخليفة الحكم المستنصر لبعض العلماء للقدوم اليه فى الأندلس مثل أبي علي القالي صاحب كتاب " الأمالي " الذي ترك العراق ورحل إلي الناصر الأموي واستقبله استقبالاً طيباً في قرطبة ، ابن حيان : المقتبس ،تحقيق محمود مكي ، ص ٢٧٨ ، ص٢٣٩.

والهندسة والفلَك والكيمياء والمنطق والفلاحة والملل والنحل، وفي الفلسفة والموسيقا، بحيث لم يتركوا حقلًا من حقول العلم والمعرفة إلا طرقوها[١]

لقد دام حكم العرب المسلمين للأندلس ما يقارب الثمانية قرون (٩٢ – ١٩٧ هـ /٧١٠– ١٤٩٢مـ) أعطى خلالها الإسلام باستناده على فكره الكوني، وعلى قيمة الإنسان فى الأرض بأنه خليفة الله سبحانه ، ومنهجه القائم على إعمار الأرض، بالإضافة لصفة التسامح لمفهومه الديني ، ثماراً عظيمة في بلاد الأندلس التى ازدهرت حواضرها بالعلوم ، فأصبحت قرطبة في عصر الخلافة الأموية (٣١٦ – ٤٢٢ هـ / ٩٢٨ – ١٠٣٠مـ) عاصمة الإسلام السياسية الأكثر سطوعاً في ذلك الوقت والأكثر تحضراً في أوربا كما يشير المؤرخ المشهور (رامون منندث بيدال) [٢] .

بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس في العام ٤٢٢ هـ/ ١٠٣٠م ، عمت حالة الضعف والتجزئة والانقسام السياسي بقيام دويلات الطوائف[٣]، فانفرط عقد الوحدة فى الأندلس، فبعد أن كانوا يخضعون لمظلة دولة واحدة، تمتد من نهر دويره شمالاً إلى مضيق جبل طارق جنوباً، ومن البحر المتوسط شرقاً حتى المحيط الأطلسى غرباً تناثر هذا الكيان إلى أشلاء ممزقة [٤]. وفى هذا يقول المراكشى " وأما حال سائر الأندلس بعد اختلال دعوة بنى أمية : إن أهلها تفرقوا فرقاً، وتغلب فى كل جهة منها متغلب، وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه، وتقسموا ألقاب الخلافة، فمنهم من تسمى بالمعتضد، وبعضهم تسمى بالمأمون، وآخر تسمى بالمستعين، والمقتدر، والمعتصم، والمعتمد، والمتوكل"[٥].

(١)كريم عجيل: الحياة العلمية في بلنسية، جامعة بغداد، ١٩٧٥م، ص٢٦٣.
(٢)عبد الرحمن علي الحجي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ص٢٤.
(٣) بلغ عدد هذه الدول أكثر من ثلاث وعشرين دولة، ولها ثلاث اتجاهات عصبية وهى البربر فى الجزء الجنوبى، والصقالبة فى الجزء الشرقى، أما باقى الأندلس فكانت تحت حكم العرب، ومن أهم هذه الدويلات دويلة بنى جهور فى قرطبة (٤٢٢- ٤٦٠هـ/ ١٠٣٠- ١٠٦٨م)، دويلة بنى ذى النون فى طليطلة (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٧٥)، دويلة بنى عباد فى إشبيلية (٤١٤-٤٨٤هـ/١٠٢٣-١٠٩١م)، دويلة بنى الأفطس فى بطليوس (٤١٣– ٤٨٧هـ/ ١٠٢٢-١٠٩٤م) دويلة بنى زيرى فى غرناطة (٤٠٣-٤٨٣هـ/ ١٠١٢-١٠٩٠م) ودويلة بنى هود فى سرقسطة (٤١٠-٥٣٦هـ/ ١٠١٩-١١٤١م) بالإضافة لإلى هذه الدول الرئسية فقد كان الديد من المدن والأقاليم التى أعلنت إستقلالها وهى : دولة بنى برزال فى قرمونة (٤٠٤- ٤٥٩هـ/ ١٠١٣-١٠٦٧م) ، دولى بنى البكرى فى جزيرة شلطيش(٤٠٣- ٤٤٣هـ/ ١٠٢٦-١٠٥١م)، دولة بنى خرزون فى أركش (٤٠٢-٤٦١هـ/ ١٠١١-١٠٦٨م) . لمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٣؛ ص ٤٦٠- ٤٦٤؛ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص٨٩- ٩٦.
(٤) رجب عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية، ص٢٧٢ .
(٥) المراكشى : المعجب، ص ١٠٥.

إلا ان هذا الأمر لم يؤثر سلباً على النشاط العلمي ، بل على العكس كانت له أثاره الايجابية النابعة من موقف العديد من ملوك الطوائف الذين تميزوا بحبهم للعلم والعلماء ، حتى غدت بلاطاتهم الملكية عبارة عن منتديات علمية وأدبية، وكان على رأسهم المعتمد بن عباد[١] .

وبعد زوال حكم دويلات الطوائف سنة ٤٨٣ هـ/ ١٠٩٠ م ، وسيطرة دولة المرابطين[٢] ، ومن بعدهم الموحدين[٣] سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م على الأندلس لم تتأثر الحركة العلمية بتلك التقلبات السياسية ، بل ازدادت سعة ونشاطاً ، لاسيما في عصر الدولة الموحديه الذي اتسم بحرية الفكر ، حيث وجه حكام هذه الدولة اهتماماً كبيراً للعلم والثقافة ، وبرز خلال هذا العصر عدد من العلماء ، ذاع صيتهم في أوربا ، وما زال إلى الوقت الحاضر ، كابن طفيل ، وابن رشد ، وابن البيطار .

وبعد ان دبّ الضعف في دولة الموحدين في الأندلس لاسيما بعد خسارتها في معركة العقاب سنة ٦٠٩ هـ/ ١٢١٢ م أمام مملكة قشتالة[٤] ، التي عدت بداية النهاية لحكم الموحدين في

---

(١) المعتمد بن عباد : ولد فى كورة باجة تولى الحكم على إشبيلية بعد وفاة والده سنة (٤٦٤هـ/١٠٧١م) واستمر حتى (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م)، كان شاعرا مجيدا، ذا خِلال باهرة، اجتمع في بلاطه العديد من الشعراء مثل أبي بكر بن عمار،وابن زيدون، وابن اللبانة، وابن حمديس الصقلي ، كان المعتمد بن عباد أعظم ملوك الأندلس ومتملك أكثر بلادها ، مثل قرطبة وإشبيلية، وكان - مع ذلك - يؤدي الضريبة إلى الأذفونش كل سنة ، واستعان بيوسف بن تاشفين لمواجهة ألفونسوا السادس واستطاعوا هزيمته، وقام يوسف بن تاشفين بنفى المعتمد الى مدينة أغمات فى عبوره الثالث إلى الأندلس ، وتوفى المعتمد (١١ شوال(٤٨٤هـ/ ١٠٩١م)، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٨، ص٣٠٧- ٣١٠ ابن خلدون : تاريخه، ج٤ ،ص ٢٠٣ ؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٣، ص ٤٨ ؛ السامرائى وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم، ص٢٣٠ .

(٢) دولة المرابطين : قامت دولة المرابطين على أساس دينى ، يرجع تأسيس الدولة المرابطية إلى عبد الله بن ياسين الذى وضع نواة هذه الدولة معتمدا على قبيلة لمتونة، وهى إحدى بطون قبيلة صنهاجة البرانس، واتسعت دولة المرابطين على يد يوسف بن تاشفين المؤسس واعتمدوا على الجيش فى نشأة دولتهم، ونجحوا فى بسط سلطانهم على المغرب والأندلس، واستطاع الموحدين الإستيلاء على دولتهم سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦م) . لمزيد من التفاصيل عن قيام دولة المرابطين أنظر : ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص٨٩؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون،ج٦،ص٢٥٢ ؛عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا، دار الغرب الإسلامي،١٩٨٨م؛ عَلي الصَّلاَّبي : فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ٢٠٠٦ م .

(٣) دولة الموحدين : قامت دعوة الموحدين في الشمال الإفريقي علي إثر انتشار مذهب "المجسمة"،الذين كان أصحابه يفسرون الآيات التي يبدو منها تجسيم تفسيرا ظاهريّا لامجازيا ،وذلك في النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى، على يد "محمد بن تومرت الهرغي "من قبيلة مصمودة ،والملقب فيما بعد بالمهدى ، المنتمي الى قبائل مصمودة الذين كانوا يسكنون ويشكلون معظم سكان المغرب الاقصى وهي قبائل كبيرة تمتد من شمال المغرب الاقصة الى جنوبه لمزيد من التفاصيل عن دولة الموحدين انظر : المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ،تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت٢٠٠٦م؛ ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق تورنبيرج، طبعة أوبسالة، ١٨٤٣ م ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ،ط٢، تحقيق خليل شحادة ، سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨م ..

(٤) قِشْتَالَةْ : (Castlla) هي الهضبة التي تشكل المركز والقلب في شبه جزيرة إيبريا، وكانت هذه المناطق تسمى (بردوليا) ثم سميت فيما بعد باسم قِشْتَالَةْ Castilla، لكثرة الحصون التي كانت تقوم بها، وقد أصبحت وتشمل ثلثي

الأندلس ، الذي انتهى سنة ٦٣٥ هـ /١٢٣٧مـ ، بعد خسارة وسقوط الكثير من حواضر الأندلس بيد الممالك الاسبانية الشمالية ، وانحسار الحكم العربي الإسلامي ، وحصره في الجزء الجنوبي الشرقي في ظل حكم دولة بني الأحمر التي قامت على أنقاض دولة الموحدين (٦٣٥ -٨٩٧ هـ / ١٢٣٧-١٤٩١م) واتخذت من غرناطة عاصمة لها ، حيث نشطت الحركة العلمية في غرناطة ، ومدن أخرى كمالقة والمرية ، بسبب هجرة العديد من علماء المعاهد العلمية التي كانت منتشرة في المدن الساقطة بيد الاسبان ، هذا فضلاً عن رعاية حكام بني الأحمر للعلم والعلماء ، فقد كان الطب والرياضيات والفلك من العلوم الأساسية التي كانت تدرس في الجامع الأعظم في غرناطة ، وفي مدارس المدن الأخرى.

الأندلس وانتقال الحضارة العربية الإسلامية إلى أوربا :

كانت طرق التواصل بين الأندلس وأوربا سهلة ، وتمثلت بصور وأشكال متعددة ، مباشرة وغير مباشرة ، وهي :

اللغة العربية : انتشرت انتشاراً واسعاً بين الأسبان المعايشين للعرب ، ولم يكن قد مضى على الفتح العربي نصف قرن من الزمن ، وكانت هناك ازدواجية لغوية عربية ورومانية بين عامة الشعب الأندلسي، وأصبحت العربية الفصحى لغة الثقافة للاسبانيين، والى جانبها اللاتينية الفصحى والتى كان مجال استعمالها ضيقاً. وكانت اللغة العربية الفصحى لغة التعليم ، ولغة العلاقات الدولية وخاصة مع المشرق ، فكان التمكن منها شرطاً لتولى أى من المنصاب العامة ، والتفوق فيها الطريق الوحيد إلى النبل المكتسب والوظائف العليا، وقد شكا بعض الرهبان من إقبال أبناء ملتهم على تعلم اللغة العربية وولعهم بآدابها، وشكوى الراهب Alvaro ألفارو مطران قرطبة عام ٨٥٤ م معروفة، فقد بين فيها أن إخوانه في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة أشعار العرب وحكاياتهم، وأن الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون إلا لغة العرب وآدابها، ويؤمنون بها، ويقبلون عليها في نهم، وينفقون أموالًا طائلة في جمع كتبها، و ذكر يقول : " من الذى يعكف اليوم بين أتباعنا من المؤمنين على دراسة الكتب المقدسة ، أو يرجع إلى كتاب أى عالم من

مساحتها وقد تكونت بعد سقوط طليطلة فى يد إسبانيا النصرانية سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) ، وهي هضبة جافة تقع بين مدريد عاصمة إسبانيا ومدينة طليطلة؛ وقد أصبحت قِشْتَالَةْ في القرن التاسع للميلاد إمارة مسيحية، عاصمتها مدينة برغش ، ثم انضمت إلى نافار و ليون سنة (٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) تزوجت (إيزابلا) أميرة قِشْتالَةْ بفرديناند الثاني ملك أراجون(Aragon)، فاتحدت إمارات قِشْتَالَةْ وأراجون وليون في دولة واحدة، وتم هذا الاتحاد عام (٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٤، ص٣٥٢؛ الحميرى : الروض المعطار، ص٤٨٣؛ السامرائى وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٣٩؛ محمود شيت خطاب : قادة فتح الأندلس، ج١، ص ٢١٠ .

علمائها ، ممن كتبوا فى اللغة اللاتينية ؟ من منهم يدرس الإنجيل أو الأنبياء أو الرسل ، إننا لا نرى غير شبان مسيحيين هاموا حباً للغة العربية ، يبحثون عن كتبها ويقتنونها ، يدرسونها فى شغف ، ويعلقون عليها ، ويتحدثون بها فى طلاقة ، ويكتبون بها فى جمال وبلاغة ، ويقولون فيها الشعر فى رقة وأناقة . يا للحزن ! مسيحيون يجهلون كتابهم وقانونهم ولاتينيتهم ، وينسون لغتهم نفسها ، ولا يكاد الواحد منهم يستطيع أن يكتب رسالة معقولة لأخيه مسلمًا عليه ، وتستطيع أن تجد جميعاً لا يحصى يظهر تفوقه وقدرته وتمكنه من اللغة العربية " [١]

ويقيت اللغة العربية الاسبانية حتى القرن السادس عشر الميلادي في اسبانيا. أي بعد إنهاء الحكم العربي الإسلامي في الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢مـ، ومن أقدم المحاولات لرصد اثار اللغة العربية في اللغتين الاسبانية والبرتغالية ما قام به فرانشسكوا مارينا حين احصى الالفاظ القشتالية ذات الاصل العربي المختصر وذلك سنة ١٨٠٥، ثم أعد دوزي وانحلمان المعجم اللغوي بعنوان ((معجم الكلمات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية)) وصدرت الطبعة الاولى منه سنة ١٨٦١ . والف ايكيلاث ((معجم اشتقاقي للكلمات الاسبانية ذات الاصول الشرقية)) غرناطة ١٨٨٦.

ويقرر ليفي بروفنسال فيها أن اللغة الاسبانية وجدت نفسها مضطرة على أن تأخذ من اللغة العربية لتسطيع التعبير عن المفاهيم الجديدة وبخاصة في مجال النظم والمؤسسات والحياة الخاصة. ويشير المستشرق مونتكمري واط على نحو تفصيلي الى ابعاد التأثير اللغوي للعربية في فنون الملاحة والمنتوجات الزراعية والمعادن في ضروب حياة الترف فيؤكد أن أكثر اسماء الالات الموسيقية من اصل عربي مثل العود والقيثارة والربابة والنقارة مما يشير الى إن هذه الالات دخلت اوربا بواسطة العرب . وهو ما يؤكده الدكتور عبد الرحمن الحجي في دراسته عن الموسيقى الاندلسية.

ومع هذا التداخل بين اللغة العربية واللغتين الاسبانية والبرتغالية يقرر عباس محمود العقاد ان هذه المفردات تملأ معجما غير صغير ، ولكنه يرى أن العبرة ليست بدخولها في صفحات المعاجم ولكن بدخولها في الحياة الاجتماعية والمقاصد النفسية لانها لم تتمثل على الألسنة الا بعد أن تمثلت في احوال ونوازع الاحساس والتفكير.

(١) عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة١٩٩٧م، ج١،ص ٢٧٠؛ حسين مؤنس تاريخ الفكر الأندلس .

وقد ترك الوجود العربي في الأندلس طابعه في مختلف مجالات الحياة ففي الادارة نجد كلمات في اللغات الأوربية بألفاظها وأصولها العربية مثل خليفةCalife ، أميرEmir ، والىVali ، وزيرVisir ، رئيسReis ، القاضيAlcaede ، المحتسبAlmotocie ، كما انتقلت كثير من الكلمات والألفاظ العسكرية في الأندلس إلى أوربا مثل: القائدAlcaide ، أمير البحرAdbuirate ، الدليلAldalil ، الطلائعAlataya ، القارةA. Igurdde ، الطائفةAceifa ، العرضAlarde ، الرباطRabate ، نفيرAnafir ، الفارسAlfaroz ، الدرقة[22]Aldorgu ، بارودBaroud ، طرادةTarffe ، جيشDjech ، غزوةRozzia ، مرابطMaraboutكما انتقلت araque [1] ومن التأثيرات العربية الواضحة استخدام صوتي الخاء والثاء . فالاسبانية هي الوحيدة التي تستخدمها بين اللغات اللاتينية وكذلك استخدام ال التعريف التي دخلت كثيرا من الكلمات، وكذلك تأثر الأدب ولا سيما ان هناك مجالات شائعة ليس من السهل أن تحدد ، ولكنها دالة بطبيعتها على العطاء العربي .

المستعربون :

وهم النصارى الإسبان الذينَ كانوا يتعايشونَ مع المسلمينَ ويتكلمونَ اللغةَ العربيةَ ،وظلوا متمسكينَ بدينِهِم، وُسُّموا باسمِ المستعربينَ أو عَجَم أهلِ الذمةِ، وكانواُ يُكَوِّنون مجموعاتٍ كبيرةً في قواعدِ الأندلسِ الرئيسيةِ مثلَ قرطبة و إشبيلية[2] وطليطلة[3] وقد تحدثوا بلغةٍ خاصةٍ أُطلِقَ عليها اسم " عجميةَ أهل الأندلسِ" وهى خليط من الأيبيرية القديمة واللاتينية والعربية[4] .

وعُومِلوا معاملةً طيبةً وحصلوا على حريةٍ دينيةٍ لم يتمتعوا بها مِنْ قبل، فأبقاهم موسى بن نصير على أموالهِم وضياعهم، مقابل دفعِ الجزيةِ، وكانَ لَهُمْ رئيسٌ يُعرفُ باسمِ قومس[5] أهلِ الذمةِ يعينهُ الحاكمُ الأمُوى[1]

(١) العبادي أحمد مختار (في التاريخ العباسي والأندلسي) مطبعة دار النهضة بيروت ١٩٧١ ؛ عجيل كريم (الحياة العلمية في مدينة بلنسية) مؤسسة الرسالة بغداد ١٩٧٥؛عبدالرحمن حكمت نجيب (دراسات في تاريخ العلوم عند العرب) مطبعة جامعة الموصل ١٩٧٧ .

(٢) إشبيلية: مدينة بالأندلس تمتاز بطيب هوائها وعذوبة مائها وخصوبة تربتها وكثرة ثمارها ، وصيد البر والبحر ، فتحت على يد موسى بن نصير . الحميرى : الروض المعطار، ص ٥٨ ، ٥٩ ؛ المراكشى : المعجب، ص ٨؛ ابن الشباط : وصف الأندلس، ص ١١٠ ، ١١١.

(٣) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٠٦، ١٠٧.

(٤)عبد البديع لطفى : الإسلام فى إسبانيا، ص٢٢-٢٧.

(٥) القومس : مشتقة من الكلمة القوطية comes ، وتعنى رئيس النصارى فى النواحى التى فتحها المسلمين أو صالحوا عليها؛ (ابن الخطيب : الإحاطة ، ج١، ص ١٣٠، حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٤٥٩ – ٤٦١ .

ولهْم قاضٍ خاصٌ يَفْصِلُ بينهمْ فى الخصوماتِ ويُسمى بقاضى العَجم وإذا اختصم ذمِّى مع مسلمٍ فكانَ الاحتكامُ إلى قاضى الجندِ المسلم، وهو الذى عُرفَ بعدَ ذلكَ بقاضيِ الجماعةِ[٢] ولهمْ طقوسٌ خاصةٌ تُسمىَ بطقوسِ المُستَعربين[٣] وسمحَ لهمْ المسلمينَ بممارسةِ شعائرِهم وطقوسِهم الدينيةِ بكلِ حريةٍ[٤] ، واحتلَ المعاهدةُ النصارى مناصبَ كبيرةً في الدولة والجيشِ مثل عمر بن قومس (Comes) الذي كان كاتباً للأمير عبد الله ، ولقد قام المستعربون بجهود محمودة، في نقل الحضارة العربية إلى اسبانيا النصرانية ومن ثم إلى أوربا ، والمستعربون بحكم معرفتهم للغتين العربية واللاتينية كانوا أداة اتصال حضارى بين الحضارة البيزنطية والحضارة الإسلامية ، وبين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الأوربية .

حيث أنهم ترجموا إلى العربية العديد من المؤلفات الاتينية مثل كتاب ديقوريدس فى الطب ، وكتاب باولوس هروشيوش(Adversus Paganus) الذى يتناول تاريخ الدولة الرومانية ، والذى أشرف على ترجمته الفقيه قاسم بن أصبغ البيانى، مستعيناً بقاضى العجم وليد بن خيزران

ونقل المستعربين الحضارة العربية الإسلامية إلى الجزء الشمالى من الأندلس وجنوب فرنسا حيث أنهم منذ الفتح العربي الإسلامي لم ينقطعوا عن الهجرة إلى المناطق الشمالية في اسبانيا حيث إخوانهم النصارى، فأسسوا العديد من الأديرة فى ممكلة أشتوريس مثل دير ساهاغون الذى غدا أحد أهم المراكز المسيحية الكبرى خلال القرن التاسع الميلادى، ولقد ساهمت هذه الأديرة فى نقل الثقافة العربية وكذلك كان للطلاب المستعربين دور هام فى نقل العلوم إلى الشمال المسيحى مثل رونالدو دى فيلانوفا الذى نشر علوم الطب والكمياء فى أوربا ، ولقد زدادت هجرتهم في القرن السادس والسابع الهجري / الثاني عشر والثالث عشر الميلادي على عهد دولتي المرابطين والموحدين، فقد هاجر سكان بلنسية منها إلى قشتالة في عام (٤٩٦ هـ / ١١٠٢مـ) ، وخرجت طائفة كبيرة من غرناطة مع جيش الفونسو الأول المحارب ملك ارغونة عام ٥١٩ هـ /١١٢٥مـ وكما خرجت طائفة أخرى من اشبيلية إلى قشتالة عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦مـ وقد كان شأن هذه

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٨ ؛ابن الخطيب : الإحاطة، ج١، ص ١٠٣ .
(٢) الونشريشى : المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس ، تحقيق محمد حجى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٨٣م ، ج١٠، ص ٥٦ .
(٣) حسين مؤنس : فجر الأندلس، دار العصر الحديث ، دار المناهل ، بيروت – لبنان ٢٠٠٢م ، ص ٤٦٢.
(٤) ابن حزم : طوق الحمامة ، تحقيق الطاهر أحمد مكى ، دار الهلال ، الرياض ١٩٩٤م ، ص ١٣٣.

الهجرات وأمثالها انتشار الثقافة الإسلامية العربية بين نصارى الشمال الاسباني وساهم المستعربين فى نقل علوم الفلاحة و الفنون الهندسية والزينة والعمارة الإسلامية لأوربا [١]

البعثات الأوربية الشخصية والرسمية : التي توافدت على مراكز الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، حيث كان الطلاب يشدون الرحال إليها ويقضون السنوات الطوال في الدراسة والتتبع ، والاطلاع على مؤلفات العرب فيها ، وكان من ضمن هذه البعثات بعثة الأميرة اليزابث ابنة خال الملك لويس السادس ملك فرنسا [٢] ، وكذلك وفد إلى الأندلس الراهب الفرنسي (جربرت دي اورياك) (٣٢٧-٣٩٤/٩٣٨-١٠٠٣م) من أوفرنيا الذي وفد إلى الأندلس في عصر الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ / ٩٦١ – ٩٧٦مـ) ، ودرس على أيدي العلماء المسلمين الرياضيات والفلك والكيمياء ، وكان له الفضل فى ادخال الأرقام العربية إلى أوربا حينما عاد إلى وطنه ، وقد تمكن فيما بعد بفضل مواهبه العقلية ان يتربع عرش البابوية في روما تحت اسم سيلفستر الثاني (٣٩١ – ٣٩٤ هـ / ٩٩٩ – ١٠٠٣ مـ) ، وكذلك ميخائيل سكوتوس الاسكتلندى الأصل ، والذى تعلم العربية فى طليطلة وقام بترجمة العديد من الكتب العربية إلى الاتينية مثل كتاب شروح فلسفة أرسطوطاليس لابن رشد [٣] .

كما أرسلت إلى الأندلس بعثات ذات طابع رسمي من قبل حكومات بعض الدول الأوربية ، وأخذت هذه البعثات تتوالى على الأندلس بأعداد متزايدة سنة بعد أخرى ، حتى بلغت سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ مـ ، في عهد الخليفة الناصر زهاء سبعمائة طالب وطالبة، وكانت إحدى هذه البعثات من ألمانيا ، ففي سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ مـ أرسل ملك ألمانيا اوتو الكبير ، الراهب (جون) إلى قرطبة مبعوثاً إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر وأثناء مكوثه فيها لمدة ثلاث سنوات تعلم العلوم والثقافة العربية ، وحمل معه المخطوطات العلمية العربية.

وبعثة فيليب ملك بافاريا إلى الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦ – ٣٩٩ هـ /٩٧٦-١٠٠٩ مـ) بكتاب يطلب منه ان يأذن له بإرسال بعثة من بلاده إلى الأندلس للاطلاع على مظاهر التقدم الحضاري فيها والاستفادة منها ، فوافق الخليفة هشام ، وجاءت بعثة هذه الملك برئاسة وزيره المدعو

(١) مانويل جومث موريتو : الفن الإسلامى فى اسبانيا ، ترجمة لطفى عبد البديع ، سيد عبد العزيز ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت ، ص٤٤٣ .

(٢) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت، لبنان٢٠٠٠ م ، ص٤٧٨ .

(٣) جوزيف رينو : الفتوحات الإسلامية فى فرنسا وإيطاليا وسويسرا فى القرون ٨، ٩، ١٠ م ، ترجمة اسماعيل العربى ، دار الحداثة ، ١٩٨٤م، ص٢٥٢م ، هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب، ص٣٥٣ .

(ويلميين) الذي يسميه العرب وليم الأمين. وقد تألفت هذه البعثة من (٢١٥) طالباً وطالبة وزعوا على جميع معاهد الأندلس لينهلوا من مواردها الثقافية ، وتذكر الروايات بان ثمانية من أفراد هذه البعثة اعتنقوا الدين الإسلامي ومكثوا في الأندلس ورفضوا العودة إلى بلادهم ، ومن ضمن هؤلاء الثمانية ثلاث فتيات تزوجن بمشاهير من رجال الأندلس في ذلك الوقت ، وأنجبن عدداً من العلماء كان منهم عباس بن مرداس الفلكي .

وسار ملوك آخرون من أوربا على هذا النهج ، فقد أوفد ملك ويلز بعثة برئاسة ابنة اخيه كانت تضم ثمانية عشرة فتاة من بنات الأشراف والأعيان ، وقد وصلت هذه البعثة مدينة اشبيلية برفقة النبيل (سفيلك) رئيس موظفي القصرفي ويلز الذي حمل رسالة من ملكه إلى الخليفة هشام المعتمد بالله الذي خلع عام ٤٢٢ هـ/ ١٠٣٠م وكان هدف هذه البعثة كما تقول الرسالة: ((فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة فأردنا ولأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من أربعة أركان ...)). وقد استقبل خليفة الأندلس البعثة أحسن استقبال ، ورد على رسالة ملك ويلز ، وقد حظيت هذه البعثة باهتمام رجال الدولة الذين قرروا ان يتم الإنفاق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين[١] .

كذلك عمد بعض ملوك أوروبا إلى استقدام علماء الأندلس لتأسيس المدارس ونشر ألوية العلم والعمران. ففي خلال القرن التاسع الميلادي وما بعده وقعت حكومات هولنده وسكسونيا وإنكلترا على عقود مع حوالي تسعين من الأساتذة العرب في الأندلس بمختلف العلوم، وقد اختير هؤلاء من بين أشهر العلماء الذين كانوا يحسنون اللغتين الإسبانية واللاتينية إلى جانب اللغة العربية، ووقعت تلك الحكومات عقوداً أخرى مع حوالي مائتي خبير عربي في مختلف الصناعات ولا سيما إنشاء السفن وصناعة النسيج والزجاج والبناء وفنون الزراعة. ولقد أقام بعض المهندسين العرب أكبر جسر على نهر التايمس في بريطانية عرف باسم (جسر هليشم Helichem) وهذه الكلمة تحريف لكلمة هشام خليفة الأندلس الذي أطلق الإنكليز إسمه على هذا الجسر عرفاناً بفضله لأن أرسل إليهم أولئك المهندسين العرب. وكذلك كان المهندسون العرب هم الذين شيدوا قباب الكنائس في بافاريا،

(١) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، ص٤٧٨ .

ولا تـزال توجـد بإحـدى المـدن الألمانيـة (شـتوتغارت) حتـى اليـوم سـقاية مـاء تـدعى (أميـديو Amedeo) وهو تحريف لكلمة أحمد المهندس العربي الذي بناها[١]

التقارب السياسي والعلاقات الدبلوماسية : حيث سعت العديد من الدول الأوربية إلى توطيد العلاقات مع الدول العربية الإسلامية في الأندلس لاسيما في عصر الخلافة الأموية ، في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي اجتمعت في شخصه مواهب عدة أهلته لان يكون حاكماً ناجحاً ، فهو سياسي مرن وقائد شجاع وإداري صلب ، تمكن من خلق نظام قوي ومتين داخل الأندلس ، وتحقيق سمعة سياسية في الخارج ، أهلته لان يكون موضع إعجاب وتقدير الشخصيات المعاصرة لـه والتي سعت إلى صداقته وإقامة علاقات ودية معه وكانت الدولة البيزنطية في مقدمة الدول الساعية إلى توطيد العلاقات مع الأندلس ، وقد عاصر الخليفة الناصر من أباطرة بيزنطة الإمبراطور قسطنطين السابع المشهور عنه اهتمامه بالعلوم والآداب وكتب الأقدمين ، وقد وصلت سفارتين من الدول البيزنطية إلى الأندلس كانت الأولى سنة ٣٣٦ هـ/ ٩٤٧م ، حيث بالغ الناصر في تزيين بلاطه والاحتفال بالسفراء ورافقت هذه السفارة في طريق العودة بعثة من قبل الدول العربية في الأندلس كان على رأسها هشام بن هذيل يحمل جواباً من خليفته الناصر يؤكد على توثيق العلاقات بين البلدين ، وقد استغرقت سفارة ابن هذيل قرابة السنتين عاد بعدها إلى الأندلس وقيل : انه عاد صحبة سفارة ثانية سنة ٣٣٨ هـ/ ٩٤٩م للإمبراطورية البيزنطية استقبلت بمثل حفاوة ما استقبلت السفارة الأولى ، ومن نتائج هذه السفارات دخول المؤلفات المهمة إلى الأندلس ككتاب الحشائش في الطب والصيدلة لديسقوريدس وكتاب هروشيش في التاريخ الذي يحوي أخبار الروم في العصور القديمة ، وقد استعانت الخلافة الأندلسية بالدول البيزنطية من اجل ترجمة هذين الكتابين ونقل اكثر من مائة سارية وتحف غريبة استخدمت في بناء وتزيين مدينة الزهراء.

وحرصت الدولة الرومانية المقدسة على إقامة علاقات دبلوماسية مع الدولة العربية الإسلامية في الأندلس ، فقد وصلت سفارة من قبل الإمبراطور الألماني اوتو الكبير ، إلى الأندلس ، وأوكل هذه المهمة إلى احد المستعربين الذين يجيدون اللغة اللاتينية إجادة تامة ويدعى رثموندو أو ربيع بن زيد – إذ كان من عادة المستعربين اتخاذ الأسماء العربية إضافة إلى أسمائهم الأجنبية – وقد

(١) لمزيد من التفاصيل عن البعثات العلمية إلى الأندلس أنظر : مراكشي فهيمة : البعثات العلمية النصرانية إلى الأندلس ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة محمد بوضياف، ٢٠٢١ -٢٠٢٢م ، ص ٣٠- ٣٤. ماحة على الإنترنت : https://cutt.us/fhiRr ؛ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، ص٤٧٩ .

استقبلت هذه البعثة من الإمبراطور في بلاطه بمدينة فرانكفورت ، وأنهت مهمتها بنجاح وعادت إلى الأندلس برفقة سفارة ألمانية جديدة حملت توجيهات محددة إلى السفارة السابقة وتمكن السفير ربيع بن زيد (رثموندو) أثناء تواجده في ألمانيا ، من لقاء المؤرخ الألماني لوتيراند ، وحثه على وضع كتاب في التاريخ يهتم بإخبار وحوادث العصر.

التجار والعلاقات التجارية المتواصلة : فالتجار المسلمين الذين ظلوا قروناً يتاجرون مع الكثير من البلدان الأوربية ، ولقد دلت التنقيبات أخيراً على وجود عملات إسلامية في أوربا الشمالية حتى فلندا .كما لا ننسى الرحالة المسلمون الذين طافوا في مختلف أنحاء العالم ومنها أوربا أثر في نشر الحضارة العربية الإسلامية ، ثم فيمأنتجته رحلاتهم من تراث جغرافي أو كتابات تخص تلك الشعوب والأقطار التي زاروها ، كرحلة ابن فضلان وأبو عبيد البكري .

حركة الترجمة : ، والتي تعد قناة غير مباشرة ، ولكنها أثرت تأثيراً كبيراً في نقل أوربا من عصر الظلام والتخلف إلى عصر الانبعاث والتقدم .

مرت حركة الترجمة بدورين ، الدور الأول : والتي تمت فيه ترجمة الكثير من المخطوطات إلى أما الدور الثاني ، فيشمل الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، ويبدأ من منتصف القرن الخامس إلى أخر القرن السابع الهجري / منتصف القرن الحادي عشر إلى أخر القرن الثالث عشر الميلادي ، وقد مر هذا الدور بمرحلتين الأولى تمت فيها ترجمة العلوم العربية المنقولة عن العلوم اليونانية ، والمرحلة الثانية ترجمة العلوم العربية الإسلامية.

بعد ان استرد الأسبان بقيادة الفرنسو السادس طليطلة عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥ م ، واتخاذها كعاصمة لمملكة قشتالة ، قامت فيها حركة ترجمة نشيطة ،وقد تم القيام بتخطيط برنامج شامل للترجمة عن طريق تأسيس معهد لترجمة الأعمال العربية إلى اللاتينية ، ويرأسه كبير الشمامسة في طليطلة المدعو (دومينيكوس غونديسينوس) والذي يذكر بالمصادر العربية بـ(دومنجو غنصالفة) والذي برز نشاطه ما بين عام ١١٣٠والى عام ١١٨٠ م ، والذي يعد من أشهر رجال الترجمة في العصر الوسيط من العربية إلى اللاتينية عن طريق الاسبانية العامية .

استمر نشاط حركة الترجمة في طليطلة في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وبعد مرور خمس سنوات على هزيمة الموحدين في معركة العقاب عام ٦٠٩هـ١٢١٢م، انتشرت حركة الترجمة من العربية الى الاسبانية ولا سيما في عهد الملك الفونسو العاشر الحكيم، ملك ليون

وقشتالة (١٢٥٢-١٢٨٤م)، فترجمت كتب كليلة ودمنة، وعشرات من كتب الفلك ولم تكن لغة الترجمات هي الاسبانية فحسب، بل لقد جعلها تبدو وكأن المؤلفين انفسهم كانوا من الاسبان ايضاً فقد سمي كتاب "غاية الحكيم" في التنجيم لمسلمة بن احمد المجريطي(ت:٣٩٧هـ١٠٠٧م) مثلاً بـ"الحكيم الاسباني" وكان لهذا اثره في قيام اللغة الاسبانية اولاً، ومن ثم تقدم الدراسات العلمية في اسبانيا وانتقالها الى اوروبا ثانيا، وأنشأ الفونسو الحكيم عام ١٢٥٤م جامعة اشبيلية وخصصها لدراسة العربية واللاتينية .

وفى مجال الرياضيات ترجمت اوروبا وترجمت مؤلفات الخوارزمي الى اللاتينية الذي اشتهر في اوروبا بكتابه (الجبر والمقابلة) الذي ترجمه الى اللاتينية (روبرت الشستري) عام ١١٤٥م، وظل هذا الكتاب يدرس في المدارس والجامعات الاوروبية حتى القرن السادس عشر الميلادي، ومن علماء العرب الذين لهم الفضل في مجال الجبر ابو بكر محمد بن جسن الكوجي (ت:٤٠٧هـ١٠١٦م) صاحب كتاب (الفخري في الجبر والمقابلة) ، من علماء العرب الذين اشتهروا في هذا المجال جابر بن افلح الذي برز اسمه عام ٥٤٥هـ١١٥٠م تقريباً في مؤلفه "حول حساب المثلثات الكروية"، وقاضي جيان، ابو عبد الله محمد بن معاذ الجياني (ت: ٤٨٦هـ١٠٩٣م) واحرز اميران من اسرة بني هود بسرقسطة شهرة عظيمة لمواهبهما في الرياضيات والهندسة هما احمد المقتدر بالله، وأبنه يوسف المؤتمن الذي صنف كتاباً شاملاً في الهندسة سماه (الاستكمال)

وفي مجال علم الفلك والتنجيم، كان الارث الاندلسي غني في هذا المجال وكان هناك اتصالاً واضحاً في الدراسات الفلكية من القرن الرابع الى الثامن الهجري\ القرن العاشر الى القرن الرابع عشر الميلادي، فقد درسوا مواقع الاجرام السماوية وحركاتها، وتوصلوا الى العديد من الاكتشافات العلمية، والفوا الكتب فيها، وكان من اوائل علماء الفلك مسلمة بن احمد المجريطي (ت: ٣٩٧هـ١٠٠٧م)، وفي النصف الاول من القرن الخامس الهجري\ الحادي عشر الميلادي، كان هناك رياضيون فلكيون بارزون هما احمد بن محمد بن السمح (ت:٤٢٦هـ١٠٣٥م)، وابي القاسم احمد بن عبد الله المشهور بإبن الصفار (ت: ٤٢٦هـ١٠٣٥م) كما كان هناك منجم هو ابن الرحال، وفي منتصف ونهاية القرن السادس الهجري\ الثاني عشر الميلادي ظهر فلكيون بشكل متعاقب في اشبيلية هما جابر بن افلح، والبطروجي حيث برز الاول في كتابه "الاصلاح المجسطي" الذي ترجم الى اللاتينية والعبرية، اما الثاني فقد انتقد المفاهيم النظرية لبطليموس، وكان اكثر علماء الفلك اصالة

ونفوذاً في الاندلس، الطليطلي ابن اسحاق ابراهيم بن يحيى النقاش المعروف بالزرقالي (ت: ٤٩٣هـ١١٠٠م) الذي سيطرت افكاره الفلكية ومسالكه البحثية على تطور الفلك لمدة تزيد على قرون ثلاثة حيث اسهم في تطوير نوع جديد من الفلك الاندلسي يتميز بمزيج من العناصر الهندية (السند هند) والعناصر اليونانية (بطليموس) والعناصر الاسلامية (البتاني) فاضاف الافكار الجديدة (الارتعاش، حركة الاوج الشمسي، النموذج الشمسي بإختلاف مركزي متغير، وتصحيح النموذج القمري البطليموسي) التي كان لها لها تأثير كبير للغاية في كل من المغرب واوروبا اللاتينية، واحياناً حتى المشرق .

وقد قام مجموعة من المترجمين الاوروبيين بترجمة كتب علم الفلك العربية الى اللاتينية، ومن اشهرهم الانكليزي (ادلار الباثي) و(افلاطون التيفولي) و(جيرار الكريموني)، وقد ترجمت قوائم الزيج والاعمال الفلكية الى غير اللاتينية احياناً كترجمة زيج البتاني (ت: ٣١٧هـ٩٢٩م) الى الاسبانية بناءاً على رغبة الملك الفونسو العاشر ملك قشتالة (١٢٥٢-١٢٨٤م) وسمي هذا الزيج (بالجداول الالفنسية) الذي شاع استعماله في اوروبا لعدة قرون .

كما ان فكرة المراصد الفلكية اخذتها اوربا عن العرب ، فاول من عرف الات " طبق المناطق" لتعيين مواقع الكواكب في القبة السماوية ، والاسطرلابات الكونية ، هم الاندلسيون ، ويظهر ان اطباق المناطق وجدت لاول مرة في الاندلس في بداية القرن الخمس الهجري – الحادي عشر الميلادي ، اما الرسائل الاندلسية الاولى حول هذه الالة فقد كتبها ابن السمح والزرقالي وابن الصلت ، ولربما كان ابو الصلت هو المسؤول عن انتشار هذه الالة في المشرق في اثناء اقامته الطويلة في مصر ، ذلك ان الرسالة المشرقية الوحيدة المنشورة حول (طبق المناطق) كتبها في القرن التاسع الهجري – الخامس عشر الميلادي ، الفلكي جمشيد غياث الدين الكاشي ، وتوجد فيها تفصيلات تذّكر بعمل الزرقالي وابن الصلت ، وقد ادخلت هذه الالة الى اوربا في وقت ابكر من ادخالها الى المشرق .

وفي مجال علم الطب فقد سيطرت المؤلفات العربية طوال القرون الوسطى لكون الطب العربي كان متفوقاً على الطب الاوربي الذي كان قائماً على السحر والشعوذة، فقد غدت بعض الاسماء العربية معروفة بصيغتها اللاتينية في هذا المجال مثل "ابن سينا" صاحب كتاب "القانون في الطب"، والرازي، وابن ماسويه، وموسى، واسحاق بن حنين، وابو القاسم الزهراوي وابن الرشد وابن زهر الاشبيلي(ت:٤٧٠هـ/١٠٧٨م) وولده ابو العلاء (ت: ٥٢٥هـ١١٣١م)، وحفيده ابو مروان (ت:

٥٥٧هـ١١٦١م)، وقد تمت ترجمة معظم اعمال هؤلاء الاطباء الى اللاتينية وفي اسبانيا، واصبحت كتبهم مشهورة في اوربا لتدريس الطب، فقد ظلت المدارس في اوربا تعتمد على كتب الرازي زمناً طويلاً، كما كان قانون ابن سينا في الطب، موضع اهتمام الغرب ودراستهم منذ القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر وكان كتاب الحاوي للرازي احد الكتب التسعة التي تتكون منها مكتبة الكلية الطبية في باريس عام ١٣٩٥م، وقد بلغت الجراحة ذروتها في تاريخ الحضارة العربية على يد ابي القاسم الزهراوي في كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف" وقد ترجم الفصل الخاص بالجراحة الى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي.

ويرتبط علم الطب بعلم الصيدلة ذلك العلم الذي طرأ عليه في الاندلس تطوراً كبيراً بفضل النص العربي لكتاب ديوسقوريدس "Matevia Medica" الذي اعده اطباء قرطبة في القرن الرابع الهجري\العاشر الميلادي، في حين ترجم كتابا ابن وافد في العلاج بالحمامات والينابيع الطبية والعقاقير النباتية المفردة الى لغات نصرانية: الاول الى اللاتينية بعنوان "De Batneis" والثاني الى لغة القطلونية بعنوان كتاب العقاقير المفردة "Libre dw les medicines particulars".

ومن أشهر الجراحين: أبو القاسم القرطبي خلف بن العباس الزهراوي (ت٤٠٤هـ/١٠١٣م) الذي جعله كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) من اكبر جراحي العرب واستاذ علم الجراحة في أوربا، في العصور الوسطى وعصر النهضة الاوربية حتى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، واشتهر ابن البيطار (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) بكتاب (المغني في الادوية المفردة) الذي صنّفه بناءً على الاختبارات التي اجراها على النباتات التي جمعها من اسبانيا وبلاد الشام، ولهذا عرف ابن البيطار في أوربا بلقب (أبو علم النبات).

وأخذ العرب بنظام البيمارستانات (المستشفيات) فعني البابوات وملوك الغرب بإقامة المستشفيات على النظام العربي(١).

اما في الكيمياء فقد كانت مؤلفات جابر بن حيان اشهر ما تداوله الاوربيون في علم الكيمياء حتى القرن الثامن عشر الميلادي، ومن خلال هذه المؤلفات عرفت اوروبا عمليات التكليس والتبخير، والتقطير والتبلور وتحضير الكثير من المواد الكيماوية مثل الشب واوكسيد الزرنيخ وغيرها، كما كانت لمؤلفات الرازي شهرتها مثل "سر الاسرار" الذي نقله (جيرار الكريموني) الى اللاتينية ،وكان لنقل كتب احمد بن مسلمة المجريطي، صاحب كتاب (غاية الحكيم) في الكيمياء الذي ترجم الى

(١) الخطيب، تاريخ الحضارة ، ص٢٣٥. كامل، في الطب والاقربازين، ص٥٤-٥٥.

اللاتينية في القرن السابع الهجري\الثالث عشر الميلادي الى اللغات الاوربية. ان تلقى الاوربيون عن العرب تقسيم المواد الكيماوية الى نباتية وحيوانية ومعدنية، وما زالت المعدات العربية في مجال الكيمياء، والتي انتقلت الى الكيمياء الحديثة، تحت اسماءها العربية الاصيلة.

اما في مجال الفلسفة فقد اهتم الغرب الاوربي كثيراً بالفكر الفلسفي، فقد شهد القرن السادس والسابع الهجري\ الثاني والثالث عشر الميلادي، ازدهار الفلسفة في الاندلس من خلال مولد مدرسة مهمة من الفلاسفة تشمل شخصيات كأبن باجه، ابن طفيل، وابن رشد وهو اعظم فيلسوف اندلسي ترك اثراً واضحاً في الغرب، وقد ادى العرب المسلمين دور مزدوج، فعن طريقهم عرفت اوربا في القرنين السادس والسابع الهجري\الثاني عشر والثالث عشر، مؤلفات ارسطو، واجزاء من فلسفة افلوطين وايرقلس، ومعالم عن فلسفة افلاطون، اذ قام المترجمون في طليطلة بترجمة كتب هؤلاء الفلاسفة، وهذا ما ادى الى خضوع الفكر الاوربي لفلسفة ارسطو خضوعاً تاماً .

وأثر العرب المسلمين بطريق ثاني على الفكر الفلسفي الاوربي عندما ترجمت مؤلفاتهم الى اللاتينية، وبعض اللغات الاوربية الحديثة الناشئة وكان في مقدمة المترجمين (جيرار الكريموني) الذي قام بترجمة بعض رسائل الكندي فيلسوف العرب منها (رسالة في العقل) و(رسالة الجواهر الخمسة)، كما ترجم (رسالة في العقل) للفارابي، وترجم (يوحنا الاسباني) منطق ابن سينا، وترجم (هرمانوس المانوس) (شرح ابن رشد) على (كتاب الاخلاق) لأرسطو عام ١٢٤٠م وترجم شيخ المترجمين (غنصالفة) بمساعدة يوحنا الاسباني قسم (الطبيعيات) من كتاب (الشفاء)، وقسم (النفس) و(الالهيات) من الشفاء لابن سينا، وكتاب (مقاصد الفلاسفة) للغزالي، وكتاب (ينبوع الحياة) لابن جبرول.

وقد تأثر شيخ المترجمين الاوربيين(غنصالفة) بأراء فلاسفة الاسلام، وقد بدت واضحة في كتبه فقد تأثر بابن سينا، وابن جبرول في كتابه (صدور العالم) و(في خلود النفس) و(تقسيم الفلسفة) وفي (التوحيد) .

وتأثر مجموعة من الفلاسفة الاوربيين، بالفلاسفة المسلمين في القرنين الثالث عشر، والرابع عشرالميلادي، منهم البرتس الكبير (١٢٠٧-١٢٨٠م) الذي تأثر بأراء ابن سينا، وفهم فلسفة ارسطو من خلال مؤلفات الفارابي وابن رشد وابن سينا، والفيلسوف القديس توما الاكويني (١٢٢٥-١٢٧٤) الذي تأثر بالفارابي وابن سينا ، وبدا هذا التأثر واضحا في (البراهين) التي اوردها ثبات وجود الله بطريقة العقل ، كما اخذ من ابن رشد فكرة ضرورة الوحي الالهي التي وردت

في كتابه (فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) و (الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة) ، كما اخذ عن ابن رشد ايضا مذهبه في النقل والعقل ، أي الصلة بين العقل والوحي ، فكلاهما يعترف بعجز العقل امام بعض الحقائق الالهية وبهذا فقد دشنت اعمال ابن رشد تيار الموازنة في جدلية الايمان والعقل مؤسسه بذلك ضرباً من ضروب الفكر الوسيطي واول من ادخل فلسفة ابن رشد الى اوربا (ميخائيل سكوت) ولم يأت منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي حتى كانت جميع كتب ابن رشد قد ترجمت الى اللغة اللاتينية ، ولم ينتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي حتى صار ابن رشد صاحب السلطان المطلق في كلية (بادوا) بايطاليا ، والمعلم الاكبر دون منازع .

اما اثر التصوف الاسلامي :

وكان لمحي الدين بن عربي اثر كبير على عقول النساك والمتصوفة من النصارى ، فقد دعى الى وحدة الاديان ، ووحدة حقائق الوجود ، وكان من بين تأثر به ، الفيلسوف الصوفي الالماني (جوهان اكهارث) الذي نشأ في القرن التالي لعصر ابن عربي (القرن الثالث عشر الميلادي) ، واثر ابن عربي على الشاعر الايطالي (دانتي) الذي استمد مادة غزيرة لكتابه (الكوميديا الالهية) من التصورات الاخروية الاسلامية ، وبخاصة ما ورد منها عند ابن عربي..

وبدأ واضحاً اثر التصوف الإسلامي في نشاة التصوف الاوربي من خلال دراسات العلامة الاسباني (ميجيل اسين بلاثيوس) الذي وضح تاثير الصوفي الاندلسي ابن عباد الرندي (ت: ٧٩٢ هـ / ١٣٩٠مـ) على اراء الصوفي الاسباني (يوحنا الصليبي) ، وكان الرندي صوفياً على الطريقة الشاذلية ، ومشهوراً بشرحه لكتاب (الحكم) لابن عطاء الله الاسكندري المسمى " غيث المواهب العلمية في شرح الحكم العطائية" ، وهو كتاب يتضمن جملا قصيرة فيها خلاصة التصوف .

وكان الادب الاندلسي ،لاسيما الشعر ، اثر كبير في نشأت الشعر الاوربي الحديث في اسبانيا وجنوب فرنسا وياتي تاثير الزجل والموشح بالدرجة الاولى ، واول من ابتكر الموشح هو مقدم بن معافي القبري (ت : ٢٩٩ هـ / ٩١٢م) ثم تلاه شعراء اخرون امثال الاعمى التطيلي وابو بكر بن اللبانة ، ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم ، حيث وجدوا هؤلاء الشعراء انفسهم مضطرين الى نظم هذه الموشحات لانهم كانوا يعيشون في مجتمع يميل الى كا ما هو شعبي وادى ذلك الى ظهور الزجل الذي اشتهر به محمد بن عبد الله بن قزمان(ت:٥٥٤هـ/١١٥٩م) وهذان النوعان من الشعر هما اللذان اثراً في نشأة الشعر الاوربي ، كما يروي المستشرق الاسباني(خليان ريبيرا)

وحينما نقلت أوربا العلوم الإسلامية، ودرستها في جامعاتها التي لم تظهر إلى مؤخرا كجامعات باريس وموتبلييه لم تظهر قبل القرن الحادي عششر الميلادي ، وجامعات فينا وبيزا ظهرت في القرن الرابع العشر الميلادي ،فانه بلا شك قد تاثرت هذه الجامعات ببعض تقاليد الجامعات العربية ،وبخاصة الاندلسية ، فقد قلدتها في لبس الادرية الخاصة بالأساتذة ،وقلدتها في منح الإجازات الجامعية (إجازة تدريس كما ان نظام المعيدين ،ووجود أساتذة مشهورين يدرس الطلبة على أيديهم هو نظام إسلامي، ويقول البعض ان لفظة بكالوريوس إلا تحريفا للعبارة العربية ،حق الرواية ،أي حق التعليم بتخويل من الغير) .

يقول مونتيكري واط: (لولا العرب وفكرهم وكتاباتهم ماكانت العلوم والفلسفة الأوربية قد تطورت الى ما وصلت اليه،فلم يكن العرب مجرد موصلين للفكر الاغريقي ،بل كانوا ناقلين عباقرة لها ،حفظوا المعارف التي تعلموها حية ،ووسعوا في ميادينها ،وكانت هذه العلوم قد وصلت قمتها عندما بدا اهتمام الأوربيين جديا بحدود ١١٠٠م بتعليم فلسفة وعلوم اعدائهم العرب، كما كان على الأوربيين ان يتعلموا جميع ما يتمكنوا عليه من العرب قبل ان يحققوا تقدما اكبر بأنفسهم .

وانتقلت الأساليب المعمارية والزخرفة ومعظم الفنون إلي بلاد الغرب حيث تشير عدد من الحقائق إلي المصدر الإسلامي لكل من الفكرة والشكل في كثير من الفنون التشكيلية الأوربية .

وفي قصر بيدرو القاسي في اشبيلية يتكون من إشكال معمارية ترتبط بعامة الفن الإسلامي وفي الإشكال المعمارية الزخرفة المصنوعة من الجهد ويظهر اسمه وخدها بالأحرف العربية . واستخدمت الكنائس في طليطلة وسرقسطة أروقة مزخرفة مقصلة ومفتوحة مأخوذة من واجهات ومآذن ذات طراز إسلامي موغل في القدم بل إن هناك بناء عميق الاثر في مسيحية مثل النمبيتو في دير غواد يلوي يحمل في ثناياه أثار لا يتطرق الشك إلي انها تمثل ملامح تم اعتبارها من أنماط إسلامية وهي برغش وهي واحدة من مراكز الحياة الاسبانية الرئيسية التي لم يصل إليها الحكم الإسلامي والتي كانت من مراكز حروب الاسترداد . وهم ديرلاش هو بلغاس في أوائل القرن الثالث عشر ليكون معلم تذكاريا لألفونسو السابع وهو من قادة القشتالية المعاون للنفوذ الإسلامي في الجنوب ولكن زخارف هذا البناء الصحيحة ليست مأخوذة بالكامل من نماذج إسلامية بل أن معظم أجزاؤه الحقيقية صنع بأيد إسلامية أو تقليد النماذج إسلامية ويقتضي إنتاج الزخرف لعدة قرون متأثر بأساليب صناعة الحرف الإسلامي .

كذلك يوجد معبدين لليهود تم إنشائهم في طليطلة أثناء الحكم المسيحي لها قد زين بأساليب الزينة الإسلامية الصرعة ويعود هذا المعبدين إلي القرن ١٢م ويعرف اليوم بكنسية سانتا ماريا لابلاذكا .

ومما يزيد الحيرة هو ان الحفاظ علي النماذج الإسلامية في وقت حدوث قمع للمسلمين المهم في وقت كان الفن القوطي القادم من الشمال يقتحم الساحة لم تأخذ الأشكال الإسلامية بالاضمحلال إلا مع ظهور عصر النهضة المصبوغ بالصبغة الايطالية .

وكانت المواقف المسيحية من الفنون الإسلامية مختلفة تتناسب والجو السياسي والاجتماعي حيث كان الاعتقاد ان فن المستعربين هو فن المسيحيين الذين كانوا يعيشون في ظل الحكم الإسلامي وتعد قضية حيث الفن مهمة لانها تمثل سيطرة فيها المسيحيين وذلك حيث أصبحت الثقافة الإسلامية لا تشكل تهديد لهم وتعني عبارة فن المدنيين : فن المسلمين التابعين لقد كان فن مرتبط بالمسلمين وقد علمت الزعامة الأوربية علي عودة انتشار الفنون الاسلامية ومن الامثلة علي ذلك هو مسجد في بأي المرحوم قرب أسوار طليطلة قد بني علي أنقاض كنيسة فتزقو طية .

لقد كان يشبه الانماط الأثرية في مسجد قرطبة الكبيرة وأبان سقوط والبطلة أواخر القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي بقيادة الفونسو الثامن أضيفت فيه ضحمه إلي خطة المسجد ذات المناظر التسع فتحول إلي كنيسة دائرية تضم في داخلها محرابا .

وحمل الاستخدام المبكر لأسلوب المدنيين في أنحاء أخري من البلاد معني مشابها ويعد تبني هذا الأسلوب في في قشطالة مرجعا لنجاح حروب الاسترداد وعند ارتفاع النمط الروماني في فن العمارة في الشمال المسيحي حيث كأن في شقتالة جماعات مسلمة في قشتالة من النائيين وعمال الأجرة وجاء بعضهم مع ملوك اسبانيا المسيحية بوصفهم جزء من الثخوم وكان أجرهم اقل من اجر العاملين في إنشاءات النمط الروماني الذي كان سائد .

ويذكر في بناء كنيسة عند سان ثيرسو دي سهاغون بثلاث قباب من الحجر المنحوت يفترض أنها من النمط الروماني الذي يقام علي الطريق لأغراض الحج ونمط تم تشكيله في فرنسا وتصل الي اسبانيا لاستخدامه في المنشآت الدينية مثل كنيسة الأبرشية في فرومستا ثم أكمل البناء علي الطراز الأقوار الاجرية غير المفرقة وحواف الجدران التي تحاكي نمط طليطلة من الصعب رؤية التغير الكبير في البناء وأسلوبه التقني المهم أدي ذلك إلي اتخاذ النمط الروماني مرجعا للثقافة المسيحية الشمالية برمتها وليصبح ذا مغزى شرعي ووثيق الصلة يتدخين بناء الطوب وهو النمط الفني الغريب الذي اتبع لمحاكاة النمط الإسلامي في طليطلة المسلمة.

ونجد في كنيسة سان رومان في طلطية أيضا صورة اخري من فن المبحثين ومن المعرف انه تم بنائها في سنه ٦١٨هـ / ١٢٢١م علي الطراز نفسها لكنيسة سان رومان باستخدام رسوم تشكيلة غريبة في الداخل وكانت الرسومان دون إتقان في حيث كانت النقوش مطابقة للنصب التذكارية الإسلامية منها للمسيحية .

وتم استخدام نقوش وزخارف باللغة العربية وذلك قد يعود إلي الحكم الإسلامي القريب للمرتبة أو الاختلاط بين الرغبة إي سكان اسبانيا الإسلامي والمسيحي .

أدت هذه التصورات الي ذيوع نمط فن المدنيين في عدد من المنشأت الملوكية اذ ليس من قبيل المصادفة ان تعطي راية الموحدين العسكرية المعروفة براية لاس نافا سدي تولوز الي دير لاس هويلغاس في يرعش فملاط الحصد الذي يضم اشكال طيور لطريقة غائرة واضافات تقليدية هي تضمنها التي وشي بها منبر مسجد الكتيبة .

وقد أدمجت مبادئ الزخرفة التي دخلت فن المدجئين من خلال مصادر الموحدين أو التعريف في لغة قبة فنية عامة من الإشكال شارك فيها المسلمون والمسيحيون علي حد سواء .

اما عن فن التصفيح أو عقود فن العمارة الموجودة في سلمنقة تشبه زخارف الجهد الإسلامي ركن بمواد زخرفيه دخيلة وجديدة ويتضح ان عن المدخئين فن العمارة يحمل شواهد فنية علي حقبة غزيرة الإبداع في تشكيل الثقافة الاسبانية خاصة ويعكس الانحسار السياسي في الصبغة العرقية التي بدا في إسلامية وأضحت محلية وأصبحت تعني السيادة الأسبانية التي اختارت هذا الفن ممثلا لهذا الحضور لانتشاره الواسع زماننا ومكانا بوصفه تراثا فتبا بدأ بمجرد الحكم الإسلامي إلي اسبانيا .

وفي أطار الفنون يستشهد جوستاف لوريون بالحظ العربي فيقول (قد بلغ الخطر العربي من الصلاح للزينة ما كان رجال الفن من النصارى في القرون الوسطي في عصر النهضة كانوا يكثرون من استنساخ كل ما يقع من قطع الكتابات العربية علي المباني المسيحية تزيينا لها وقد شاهد مسيو لنجيرية ومسيو لافوا او غيرهما الشئ الكثير منها في ايطاليا حيث شاهد في مكان الأمتعة من كاتدرائية ميلانو بابهيني علي طر ازوسم البيكارين بصيطرية اغريز حجري مؤلف من كلمة عربية مكررة عدة مرات وكتابة عربية حول رأس المسيح المصور فوق أبواب القديس بطرس والقديس بولس . التي أمر بانشائها البابا أوجيني الرابع وخطوط كوفية طويلة علي قميص القديس

بولس وبطري .. هذا وإذا كانت الزخارف العربية انتشرت كثيرا في منهج وروية العديد من الفنانين الأوربيين .

وكان الخطر العربي او هو احد أهم نتاجات الفن الغربي الإسلامي بما في إشكاله من تنوع وتعدد عني وقد ابرز كثيرا في رؤية وأعمال فناني أوربا حيث كان جيبوتيو من أوائل الفنانين الذين استخدموه في لوحاتهم وكذلك المصور الفلورانسي قليوليبي الذي استخدم الكتابة العربية كزخرفة علي بيان الاستخدام كما استفاد الفلورانسي فيريكبو من الخطر العربي في زخرفة لوحة تبجيل الملوك المحفوظة في فلورانسا .

وكان الخط الكوفي بوجه عام ذا اثر قوي علي الفن المسيحي حيث جماليات الخطر وامكانانياته استرعت اهتمام الفنانين الأوربيين منذ البداية وتظهر الكتابات الكوفية والنسخية في إشكاليات تعود للفن ألزخرفي الأوربي في العصور الوسطي .

كما نقل احد يهود اسبانيا في القرن الثاني عشر وهو إبراهيم بن عزرا بعض المؤلفات العربية في مجال الرياضيات الي اللاتينية .

وقام اليهود والمستعمرين للأسبان بالعكوف علي ترجمة المؤلفات مثل دومونيقوس – جوند بيسالفي بطرس الفونسي – حنا الأستبيلي . كما اقام البابا سلفستر الثاني الذي قضي سنوات في شمال اسبانيا بتشجيع الترجمة في المؤلفات العربية .

٢- الحروب الصليبية

فى خلال الحروب الصليبية[١] أثبتت الحضارة الإسلامية أنها أرقى من الحضارة المسيحية في رقتها، وأسباب راحتها، وتعليمها وأساليبها الحربية [٢]، وكان لإستيلاء الصليبيين على بيت المقدس وأنطاكية، وطرابلس، والرها، أثر واضح فى اتصال شعوب أوربا الذين حضروا إلى الشرق في الحملات الصليبية بالشعوب الإسلامية في الشرق على مدى ثلاثة قرون، فقد كانت الشام وأسيا الصغرى وما ارتبط بمسرحها من حروب صليبية ذات اثر فعال في ميدان فضل وتأثر الحضارات فالحروب الصليبية قد صحبها فترات سلم كثيرة أملتها الظروف فليس من المستغرب أن تزدهر العلاقاتُ التجارية والثقافية والعلمية بين الصليبيين وبين المسلمين، فقد سمحت الحروب الصليبية طوال القرنين اللذين تواصلت فيهما (١٠٩٦- ١٢٩١م)، بأن يطلع الأوروبيون على الحضارة الإسلامية في نواحي الفنون العسكرية، والعمارة، والزراعة، والصناعة، والحياة الاجتماعية ، ولذلك يؤكد لوبون أن "اتصال الغرب بالشرق مدة قرنين خلال الحروب الصليبية من أقوى العوامل على نُموِّ الحضارة في أوروبا، ويرى تأثير الشرق في تمدين الغرب كان عظيمًا جدًّا بفعل الحروب الصليبية، وأن ذلك التأثير كان في الفنون والصناعات والتجارة أشدَّ منه في العلوم والآداب، ويذكر ول ديورنت أن حضارة جديدة عجيبة قد نشأت في سوريا وفلسطين المسيحيتين. ذلك أن الأوربيين الذين استوطنوا هذين البلدين منذ عام ١٠٩٩ قد تزيوا شيئاً فشيئاً بالزي الشرقي، فلبسوا العمامة والقفطان اللذين يوائمان مناخ تلك البلاد ذات الشمس والرمال. وزاد اتصالهم بمن يعيشون في تلك المملكة من المسلمين، فقل بذلك ما بين الجنسين من تنافر وعداء، فأخذ التجار المسلمون يدخلون بكامل حريتهم البلدان المسيحية ويبيعون أهلها بضاعتهم، وكان

---

(١) الحروب الصليبية : هى حرب دامت لحوالى مائتى عام (١٠٩٦- ١٢٩١م) بين أوربا المسيحية والشرق الإسلامى وتنوعت أسابها من أسباب ظاهرية مفتراه مثل أن الحجاج المسيحيون يتحدثون عما يلقونه من ظلم وتحقير عند حجهم لبيت المقدس . وهناك قصة قديمة لا نجد ما يؤيدها، إن بطرس الناسك حمل رسالة إلى إربان الثاني Urban من سمعان بطريق أورشليم رسالة تصف بالتفصيل ما يعانيه المسيحيون فيها من اضطهاد وتستغيث به لينقذهم (١٠٨٨)، بالإضافة إلى استغاثة الإمبراطور ألكسيوس الأول (١٠٨١ - ١١١٨) الإمبراطر البيزنطى بإربان الثاني والى مجلس بياسنزا Piacenza يستحث أوربا اللاتينية لتساعده على صد هجمات الترك؛ وكان من أقواله "إن من الحكمة أن يحارب الأتراك في أرض آسيا بدل أن ننتظرهم حتى يقتحموا بجحافلهم بلاد البلقان إلى عواصم أوربا الغربية وهناك أسباب حقيقة للحروب الصليبية تجلت عن أحداثها وأظهرها التاريخ وهى فى مجملها اقتصادية بحتة . لمزيد من التفاصيل عن الحروب الصليبة أسبابها وأحداثها ونتائجها أنظر : ول ديورانت : قصة الحضارة، ، ج١٥، ص١١ : ص١٥.

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة، ، ج١٥، ص٦١.

المرضى من المسيحيين يفضلون الأطباء المسلمين واليهود على الأطباء المسيحيين [١]، ويتعجب ابن جبير من استمرار الحركة التجارية بين المسلمين والصليبيين رغم الإقتتال بينهم فيذكر : " أعجب ما يحدث به ان نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى، وربما يلتقي الجمعان ويقع المصاف بينهم ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم. شاهدنا في هذا الوقت، الذي هو شهر جمادى الأولى، من ذلك خروج صلاح الدين بجميع عسكر المسلمين لمنازلة حصن الكرك، واختلاف القوافل من مصر الى دمشق على بلاد الافرنج غير منقطع. واختلاف المسلمين من دمشق الى عكا كذلك. وتجار النصارى ايضا لا يمنع أحد منهم ولا يعترض. وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم، وهي من الامنة على غاية. وتجار النصارى أيضا يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم، والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الأحوال. وأهل الحرب مشتغلون بحربهم، والناس في عافية، والدنيا لمن غلب،هذه سيرة أهل هذه البلاد في حربهم وفي الفتنة الواقعة بين أمراء المسلمين وملوكهم كذلك. ولا تعترض الرعايا ولا التجار، فالأمن لا يفارقهم في جميع الأحوال سلما أو حربا. وشأن هذه البلاد في ذلك أعجب من أن يستوفى الحديث عنه، والله يعلي كلمة الإسلام بمنه[٢].

وبداية الالتقاء الحضاري بين الثقافتين : اللغة

بحكم التعايش بين الصليبين بالمسلمين فقد كانت فترات السلم اطول بكثير من فترات الحرب هذا الأمر فرص للإتصال بين امراء المنطقة من عرب وفرنج حيث يخبرنا ابن شداد : (ان ارناط كان يستعين بأحد المسلمين لكى يقرأ له ويفهمه اللغة العربية فأتقنها) أنه دخل خيمة صلاح الدين وتحادثا دون وسيط [٣] .

ويذكر وليم الصوري ان ريموند كونت طرابلس خلال سنوات أسره عند نور الدين محمود انكب علي تعلم اللغة العربية ودراسة سبل المسلمين واساليبهم كما ان همفري سيد ثبتين قام بالترجمة بين ريتشارد قلب الاسد والملك العادل في المحادثات التي جرت بينهم وايضا بلدون الايليني الذي قام بالترجمة بين المصريين ولويس التاسع اثناء اسره في مصر ،ومن الذين اهتموا بأسرار اللغة العربية وتذوقوا أدبها المؤرخ الشهير" وليم الصوري William of Tyre "كبير مؤرخي

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة، ج١٥، ص٣٤، ص٦١.
(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير،دار ومكتبة الهلال، بيروت(د. ت)، ص٢٣٥.
(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤ م، ص ٩٧.

الحروب الصليبية اللاتين المعاصرين، وكان سليل أسرة من المستوطنين الغربيين، الذين استقروا في فلسطين بعد الغزو الصليبي لها. نشأ وليم في الشرق وتعلم اللغة العربية وأجاد القراءة والكتابة بها إجادته للاتينية(١)

وقد تعلم كثير من الإفرنج القادمين اللغة العربية ليتمكنوا من التخاطب مع السكان في المتاجر والمناسبات المختلفة وقد رأى ابن جبير في عكا كُتاب الديوان من النصارى" يتكلمون العربية ويكتبون بها ، بمحابر الآبنوس المذهبة الحلى (٢). .

وقد وصلت العلاقات الودية الي حد مشاركة المسلمون والصليبيون في رعي مواشيهم ويتقاسمون الغلة دون خوف ومن المظاهر ايضا ان بعض التجار المسلمين كانوا ينزلون في خامات الصليبين وعند الاسر الصليبين وقد كان طلاب العلم من الصليبين القادمين والمقيمين في أوربا يلتحقون بالمدارس العربية يتلقون علومهم بلغة العرب ولا ننسي دور القبائل العربية البصراتية التي التي امتزجت بالصليبيين اخواتهم في الدين مما كان له الاشراف نشر اللغة العربية في أوساط الفرنج ولابد ان تتصور ان الصليبين الذين عرفوا اللغة العربية كانوا يتكلمون اللغة الدارجة اي لغة الحياة والمعاملات اليومية حيث في الجمارك والمصارف ومختلف الجهات وايضا بين عام الصليبين الذين كانوا يختلطون بالمسلمين في المساكن والأماكن .

وكان من الطبيعي ان التجار الأوربيين الذين ياتو الي الموانى الصليبية في الشام وموانى مع من كانوا يلتقطون بعض الألفاظ والمصطلحات العربية والدارجة التي كان الناس يتداولونها في الموانى ، وقد ادت هذه المعايشة الي تشرب كثير من المفردات والمصطلحات العربية لا يمكن حصرها .

لقد حفَزَتِ الحروب الصليبية الفرنجة على التعلُّم من المسلمين، فى مجالات الجغرافية والتاريخ، والعلوم وشتى أنواع المعارف؛ مما خلق عندهم نهضة في دراسة القانون، والطب، والمنطق، كذلك حتى المستوى العام للمعيشة في الغرب لم يرتفع إلا بفضل رغبة العساكر والحجاج العائدين في أن يلجؤوا في أوطانهم إلى محاكاة ما اشتهر به الشرق من مظاهر الحياة.

لقد اقتبس الأوربيون من الحضارة العربية الإسلامية نظمها فقد أخذوا نظام "الحِسبة"؛ فقد وطبَّقوها في مملكتهم في بيت المقدس، وفى جزيرة قبر ص ، وكذلك النظر فى المظالم فيذكر فليب

(١) https://cutt.ly/7NxWuQ0 .

(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير، ص٢٤٨.

حتى "أن عادة النظر في المظالم اتصلت بأوربا؛ فعمل بها روجار الثاني "١١٣٠ – ٥٤" في صقلية؛ حيث ضرَب هذا النظام بجذوره في التربة الأوربية.

كان من أثر الحروب الصليبية معرفة الأوربيين بأساليب المسلمين التجارية والصناعية. فقد عرف التجار الإيطاليون كيف يرسمون خرائط للبحر المتوسط، وتلقى المؤرخون الإخباريون الرهبان الذين رافقوا الفرسان آراء جديدة عن اتساع بلاد آسيا واختلاف أصقاعها ونقلوا هذه الآراء إلى غيرهم من الناس، وبهذا تحركت في القلوب الرغبة في الكشف والارتياد، وظهرت كتب في وصف الأقاليم والبلدان ترشد الحجاج إلى البلاد المقدسة ؛ وأخذ الأطباء المسيحيون العلم عن الأطباء اليهود والمسلمين، وتقدم علم الجراحة بفضل الحروب الصليبية ، ونجد الأساطيل التجارية الإيطالية لم تنتزع السيطرة على البحر المتوسط من أيدي المسلمين وحدهم بل انتزعها كذلك من أيدي البيزنطيين، فمدائن البندقية، وجنوى، وبيزا، وأملفي،ومرسيليا، وبرشلونة كانت قبل الحروب الصليبية تتجر مع بلاد الشرق الإسلامية، وتخترق مضيق البسفور والبحر الأسود، ولكن الحروب الصليبية قد وسعت نطاق هذه التجارة إلى أبعد حد، فجاءت إلى أوربا بكميات موفورة من الأقمشة الحريرية والسكر والتوابل كالفلفل، والزنجبيل، والقرنفل، والقرفة،(وكانت كلها من مواد الترف النادرة في أوربا في القرن الحادي عشر)، كذلك انتقلت من الشرق إلى الغرب كميات كبيرة من نباتات ومحاصيل وأشجار عرفتها أوربا من قبل من بلاد الأندلس الإسلامية مثل الذرة، والأرز، والسمسم، والخروب، والليمون، والبطيخ، والخوخ، والمشمش، والكرز، والبلح. وجاء من بلاد الإسلام الدمقس، والموصلين، والساتان، والمخمل، والأقمشة المزركشة، والطنافس، والأصباغ، والمساحيق، والعطور، والجواهر لتزدان بها بيوت أمراء الإقطاع وأهل الطبقات الوسطى ويتحلى بها رجالهم ونساؤهم. وحلت المرايا الزجاجية المطلية بغشاء معدني محل المرايا المصنوعة من البرنز أو الصلب المصقول، وأخذت أوربا عن الشرق صناعة تكرير السكر والزجاج "البندقي".فنشأت الطبقة الوسطى، وأدخلت من بلاد بيزنطية والإسلام فنون للأعمال المصرفية أحسن مما كان موجوداً فيها قبل، فظهرت أشكال ووسائل جديدة للائتمان، ولقد بدأت الحروب الصليبية بنظام إقطاعي زراعي، نفخت فيه روح البربرية الألمانية الممتزجة بالعاطفة الدينية؛ واختتمت بقيام الصناعة، واتساع نطاق التجارة، في عهد ثورة اقتصادية مهدت السبيل لعصر النهضة وأمدته بالمال [١].

ووجد اللاتين الذين استقروا في الأراضي المقدسة من كتب في التاريخ مثل (وليم الصوري) او في القادة مثل حنا الايليني وفيليب نافاري كما انتقلت بعض المصطلحات العربية الي

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة، ، ج١٥، ص٦٧- ٦٩.

البلاد الغربية كذلك اثرت في تطور فن الحرب عند الغربيين ولاسيما فيما يتعلق ببناء القلاع ذات الحوائط المزدوجة هذا بالإضافة اليه الحروب من تقدم حركات الحضارة واستعمال المنجنيق واستخدام الدروع للفرسان وخيولهم والاستكشاف الحربي عن طريق الحمام الزاجل .

؛ حتى كانت بعض طبقات الصليبيين تفرض على نسائها وأبنائها إذا بلغن الحُلم أن يضربن الخمار على وجوههن، ويأبون عليهن أن يخرجن إلى الأسواق سافرت، بل إنهم ما كانوا يسمحون لهن بالخروج إلا للضرورة القصوى، كالذهاب إلى الكنائس والحمامات؛ كما أطلق بعض الرجال الصليبيين اللحى، تشبهًا بالمسلمين.

. وإذا ما نظرنا إلى تقدم العلاقات التجارية باطِّراد بين الغرب والشرق، وإلى ما نشأ من تحاكٍّ الصليبيين والشرقيين من النمو في الفنون والصناعة؛ تجلَّى لنا أن الشرقيين هم الذين أخرجوا الغرب من التوحش، وأعدوا النفوس إلى التقدم بفضل علوم العرب وآدابهم التي أخذت جامعات أوروبا تعول عليها؛ فانبثق عصرُ النهضة منها ذات يوم"

يتصور البعض الحركة الصليبية في سلسلة حروب دموية وقف فيها المسلمون والصليبيون وجها لوجه دون ان يعرفوا جميعاً لغة التفاهم والواقع ان الحركة الصليبية مهما تعددت اغراضها كانت مجال واسع التقي فيه الشرق الاسلامي والغرب المسيحي وان هذا اللقاء لم يكن سياسي حربي فقط بل كان حضاري ايضا .

الاثر الأدبي :

١-الشعر :

جاء الاثر الأدبي امتدادا الي الاثر اللغوي حيث رافق الحملات الصليبية عدد من الشعراء ومنهم الشاعر بيرفيدال – كونان دوبينتون – ابوفردو شابتوي – كيبو دوشنا مباني – راؤول دوبواسون – فيليب دوناباتنو ،حيث وجد هؤلاء في الشرق مجال واسع لتطوير خيالاهم الشعري في البداية انشغلوا بوصف الحروب الدائرة ضد المسلمين والظروف الحياتية خلال فترات السلم ولكنه وصف يستخرج فيه الخيال بالواقع وبعد الاحتكاك تعرفوا علي فن الهجاء الذي لم يكن معروف في الشعر الأوربي في العصور الوسطي وان كان معروف لدي الرومان الا انه حل محله الشعر الديني الذي تباركه الكنيسة .

القصة :

تجاوز الاثر الأدبي الي القصة الأوربية حيث كان الادب الغربي يفتقر الي القصة الخيالية ذات المغزي الأخلاقي . وكانت القصة في الأدب اليوناني اسطورية تدور حول معبوداتهم ورغم ذلك لا تتضمن اخلاقيات بها ولم يعرف فن القصة الشعرية في أوربا الا في القرن الثاني عشر ويتأثر من القصة في الأدب الشرقي والعربي ومن القصص الشرقية التي انتقلت الي الغرب الأوربي قصة كليلة ودمنه التي كانت علي شكل حوار بين الحيوانات وعرف هذا النوع القصصي باسم (فابليو) وأول من كتب في هذا المجال رينار حوالي سنه ١١٥٠م وكان هناك بعض الصليبين يعقدون مجالس انس يرون فيها قصصا عربية للقادمين من أوربا ومن هؤلاء جاك دي فيتري اسقف عكا ونشرت تلك القصص في أوربا مجموعة قصصية بعنوان اعمال الرومان في القرن الرابع عشر ومن خلالها ظهر في أوربا قصص مماثلة من اشهرها الديكاميروني اي قصص الأيام العشرة التي كتبها الاديب الايطالي جيوفاني بوكاشيو .

تدوين التاريخ :

رافق الحملات الصليبية مؤرخون من مختلف الغرب الأوربي كان معظمهم من الفرنجة الفوا كتبا ومذكرات سجلوا فيها احداث هذه الحملات مع بعض المشاهدات والانطباعات الخاصة والمغامرات التي جمعت بين الواقع والخيال وتضمن بعضها كثيراً من القصص والأشعار وكانت هذه الكتب نمطا بارزا عليه المؤرخون الأوربيون الذين كتبوا عن الحروب الصليبية وغيرها من الوقائع التاريخية ألأمر الذي أدي الي ظهور حركة في أوربا لتدوين التاريخ علي نحو لم يسبق له مثيل .

الفن الحربي :

وكذلك تأثير الفن الحربي وفن بناء القلاع عند الأوربيين بما شاهدوه من نظم ونماذج اسلامية زمن الحروب الصليبية حيث تمثلت حركات الحصار واستعمال المجانيق والكباش الهادمة واستخدام الدروع للفرسان وخيولهم وارسال الرسائل عن طريق الحمام الزاجل وكذلك عرف الفرنج كثيراً من فنون التحصين وعمل الاستحكامات عن طريق محاكاة القلاع الاسلامية ومن ذلك نظام المشربيات الذي عرفه العمارة الحربية ، وبرز التأثير الحربي الاسلامي علي الصليبين علي في نماذج عربية اخري مثل القلعة المستديرة بدلا من البرج والفناء الذين جمعهما سور واحد فهذه القلعة تمت في الشرق والمدفع والبارود وكلاهما كان المماليك أول من أستعملها الرنوك فهي

علامات الفرسان التي تبدو ذات اصل شرقي كما ان الفرنج عرفوا في البحر عند المسلمين انواع جديدة من السفن كالشواني وهي مراكب حربية ذات قلاع عديدة وتستخدم للتجارة .

التشريعات والقوانين :

وهو من اهم المخرجات الاثر العقلي للفرنجة في بلاد الشام حيث حصيلة المؤلفات الضخمة القانونية وهي مجموعة التشريعات والقوانين التي اهتم بها الصليبيون الأوائل ومن جاء بعدهم وقد جاءت هذه التشريعات بصورة مطابقة لمثيلتها في الغرب ألأوربي ويحصد المؤرخون من تلك التشريعات ما وضعته مملكه بيت المقدس الصليبية فخلقت منها دولة ذات نظام سياسي وطيد الأركان وجدت الحقوق والواجبات لرعاياهم حيث حققن هه التشريعات الحياة اليومية للمسيحين علي اختلاف مزاجهم وللمسلمين واليهود والفرنجة في ظل ادارة ارستقراطية ذات اصل فرنسي حيث وضعت تلك التشريعات زمن يلدوين الأول ورغم صيانتها عام ١١٨٧ اخر وهو العام الذي احرز فيه صلاح الدين الايوبي انتصاره الباهر ضد الصليبين .

وقد حل محلها في القرن الثالث عشر مجموعة اخري من القوانين ولم يعرف منها سوي أربعة كتب أولها كتاب فيليب دي نافار تناول فيه قانون الإقطاع وكتب عام ١٢٥٣م وثانياً كتاب حنا آيلين كونت بافا الذي يشبه الكتاب السابق وكتب عام ١٢٥٣م أيضا وثالثها كتاب الملك الذي عالج فيه مؤلفه السلطة الملكية وسلطات بعض الامراء واخرها كتاب نشاه البورجوازية حيث يتناول القانون المدني ويبدو انه كتب بين عامي ١١٩٤ – ١٢٢٩م ونستنتج ان الكتب جمعت القوانين الإدارية والتشريعية للحياة السياسية في الشرق الفر نجي خلال القرن الثالث عشر وطباعتها بالقواعد الشرقية

التأثير العلمي :

أما عن التعليم في الشرق الفرنجي فالمعلومات عنه ضئيلة لعدم اهتمام الإمارات اللاتينية بإنشاء مراكز ثقافية لرعاياها ولان التعليم بها مثلما كان في الغرب لا يعدو ان يكون عبارة عن مدارس ملحقة بالكاتدرائية الكبيرة أو ببلاط الأمراء والملوك علي النمط الموجود في الغرب ولا ادل علي ذلك من قيام قادة الفكر والسياسية والدين مثل وليم الصوري وايمري بطريك إنطاكية وجيمس دي فيري اسقف عكا كانوا ممن ذهب إلي فرنسا لإكمال تعليمة وعلي إي حال لقد ظلت ثقافة الفرنجة في الشام مستوردة من الغرب ولم يحدث الا اتصال بسيط بالثقافة المحلية فيما عدا الفنون وخصوصا الحربية ويرجع ذلك إلي حاله الحرب والعداء والتي عاشها الصليبين والمسلمين .

ونلاحظ ان علي أيام الحروب الصليبية الأول خلت من العلماء اي الشام بسبب التهديد الصليبي المستمر وعلي سبيل المثال ان القدس عندما سقطت في أيدي الفرنجة ١٠٩٩م-٤٩٢هـ اقتضي صوت العلم فيها حتى فتحه صلاح الدين وإنها كانت طرابلس قبل مجيء الفرنجة من أعظم مواطن العلم في الشام ولكن مع دخول الفرنجة ذهب نور العلم عنها لهذا لم تكن بلاد الشام والحروب الصليبي الطريق الأكبر للتبادل الثقافي بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي فلم يكن في مملكة اللاتي ناي القدس مركز للمعارف الإسلامية وثمة فارق بين اسبانيا والشام . حيث في اسبانيا كان صاحب الغلبة العرم ام الشام الكبير

إن إقامة الصليبية لفترة تقارب مائتي سنة في بلاد الشام لا يمكن القول المطلق بقلة التبادل الثقافي والعلمي لكن أيضا لم يكن بصورة الأندلس المهم لقد استفادوا كثيراً من الطب العربي والواقع ان طبيعة الاتصال البشري أدت إلي تعرف الإفرنج إلي علوم العرب وتعرف العرب إلي العادات والتقاليد الطبيعية عند الإفرنج .

وقد تأثرت أوربا بالعلوم الرياضية السائدة في المشرق وبالرغم من ان اقوي تاثر كان في اسبانيا حيث كان أول عالم مسيحي في الجبر وهو ليونار دو فيبو ناتشي الذكر ارتحل إلي بلاد الشام وبدأ في دراسة اللغات الشرقية لارتباطها بالبعثات التبشيرية في الشرق كما ان المبشر ريموند ل حث مجمع فيسينا ٨٣١١١ علي اتخاذ قرار إنشاء مدارس للغات الشرقية في أوربا .

وشهدت الفترة الصليبية حضاري كبير حيث أقيمت المؤسسات العلمية لاسيما المدارس سواء الصليبية أو الإسلامية وشهدت نفس الفترة مدارس مختلطة ضمن المسلمين والفرنجة وكان هناك تنوع في المدارس في الإمارات الإسلامية حيث منها تدريس الفقه الإسلامي ومن بين المدارس المدرسة النورية التي أنشأها نور الدين محمود زنكي ويلاحظ ان بلاد الشام كانت متطورة من الناحية العلمية وكانت تتعدد بها المدارس حيث الصادرية والعزيزية والقليحية والعادلية والصلاحية ومن مدارس الطب مدرسة النخوارية التي كانت دار للطب علي يد عبد الرحيم بن علي السخوار لتصبح وفقا مدرسة لدراسة الطب والحقيقة ان الظروف العلمية في فترة السلام شهدت ولاه الكثير من العلماء في الميدان الديني والعقلي حيث مثلا الف علي بن خليفة لصاحب بعلبك كتاب سماه الموجز المفيد وكتاب في المساحة في الرياضيات كما الف نجم الدين القليودي كتاب في الحساب سماه كافية الحساب وكتاب في الجبر والمقابلة سماه الرسالة الكاملة وفي مجال الكيمياء شهد دراسة كبيرة في سبيل التقدم الحربي حين توصل إلي اختراع ساعد في حرق ابراج الفرنجة في عكا

ومن الأطباء الذين توزعوا ما بين انطاكية وطرابلس والقدس ، ميخائيل اسقف حلب اليعقوبي وثيودور الانطاكي طبيب فريدريك الثاني وباسبل الحلبي ويعقوب النسطوري الطرابلسي .

وكان الطب الشرقي أو العربي الإسلامي قد بات طبا متطوراً اخذ الإفرنج عنه الكثير ومن الأطباء العرب المعروفين في تلك الفترة : مهذب الدين عبد الرحيم الذي طيب الملك العادلي من المرض وغيره من الأطباء علما ان المؤلفات الطبية كانت كثيرة وعديدة وقد بلغ الطب من التطور مما دعا للاهتمام بمساواة الحيوانات وهو ما يعرف بالطب البيطري وكانت قوانين المملكة اللاتينية تنظم حالة الأطباء في الممالك الإفرنجية في البلاد المقدسة من ذلك لم تكن لأي طبيب مزاولة المهنة قبل إن يؤدي امتحان تحت إشراف نقيب أطباء الممالك وفي مجلس يرأسه الأسقف وهو نظام إسلامي الأصل .

العلاقات التجارية أثناء الحروب الصليبية :

استمرت الحركة الصليبية سنوات طويلة ، وان اتساع دائرة الحروب الصليبية التى شملت نطاق واسع من العالم الإسلامى كان له أثره الواضح في ازدياد الصلات والروابط بين الشرق والغرب ، ولأنها فتحت الباب امام ألوف من الأوربيين الذين وفدوا من غرب أوربا ليستقروا في الشرق العربي فبدأت حركة ملاحية ضخمة في البحر المتوسط بين موانى الشرق وبلدان الغرب ، د اثرت في ازدياد النشاط التجاري وما ترتب علي ذلك من نشاط من ثروة تركت أثرها في أحوال البلاد والعباد ذلك ان التجار الأوربيين من ايطاليا ومرسيليا واسبانيا استغلوا المراكز التي أقامها الفرنجة في بلاد الشام للقيام بنشاط تجاري واسع بين الشرق والغرب وهكذا أخذت حاصلات الشرق من توابل ومنسوجات واوان زجاجية وبخور وغيرها ، فمثلث مدن البندقية – جنوا – بيزا العنصر البورجوازي في الحروب الصليبية حيث مارست جنوا وبيزا بنوع خاص نشاطهما التجاري في القسم الغربي من البحر المتوسط اما البندقية فإنها كانت ترتاد البحر الادرياني والبحار التي تحف بالإمبراطورية البيزنطية ولأول مرة تتلاقي المدن الثلاث علي إقليم مشترك وهو الشام حصلوا علي حق الحصول علي إرباح تتناسب لما قدموه من مجهودات بحرية .

وبالنظر الي المؤثرات الاسلامية في الحياه الاوربية تتجه للنمو التجاري الذي اثارته الحروب الصليبية نلاحظ انتقال النباتات وحاصلات واشجار جديدة من شرق البحر المتوسط الي غربه مثل (الثوم والبطيخ والأرز والليمون) ، كما انتشرت في الغرب العقاقير والاصباغ والتوابل الشرقية كما كثر استعمال وصناعة الأقمشة التي نسبت الي بلدان الشرق مثل (الموصليين) نسبة الي

الموصل والدامسكو نسبة الي دمشق وغيرها وكذلك الناعورة التي نقلت من حماه الي بلادهم فعندما شاهدوا النواعير ترفع المياه من العاصر اعجبوا بها فاقتبسوا بأن نقلوا نماذج منها الي المانيا .

وكان التجار الغربيون يجدون في الشام منتجات الشرق كلها علي وجه التقريب فلم يكونوا مضطرين للقيام برحلات طويلة لقلب أسيا من اجل الحصول علي المنتجات إذ كانت العديد من الطرق التجارية التي تأتي من أسيا تصل لسواحل الشام لقد كانت التجارة في المحيط الهندي نشيطة وكان العرب ينافسون الصين في مجال التجارة ، وقد نقل العرب المنتجات من الصين والهند إلي الشام ومصر حيث شحن السفن بالمسك والصبر وخشب الصبر والفلفل والقافلة والقرفة وبذور الخولجان وباختصار التوابل التي كان الغربيون يعتبرون حيازتها أعظم نتيجة لصلاتهم بالشرق .

وكانت سوريا وفلسطين تتمتعان بخصوبة مدهشة حيث منشات الري والعديد من المزارع والحقول المؤجرة بطريق المزارع والقرى التي وجدها الفرنج واستمروا في استغلالها وكانت طرابلس ومصر تشتهر بفواكه الجنوب من ليمون وبرتقال وتين ولوز وعلي سفوج لبنان من جهة البحر تزرع الكروم ويصنع منها النبيذ وأشهر أنواعه نبيذ نيفن في كوثية طرابلس وفي الأراضي المقدسة رأي الغربيون قصب السكب لأول مرة وتعلموا زراعة واستخلاص عصيره وكان من السلع التصديرية المهمة .

وكانت تنتج الإمارات الصليبية القطن والحرير وكانت مراكز صناعة الحرير في إنطاكية وطرابلس وصور كما كانت الأقمشة الحريرية الخارجة من مصانعها تصدر للغرب وكانت الأقمشة التي تصنعها الناسجون السوريون في حي البنادقة مطلوب جداً حيث كانت السفن تنقلها إلي أوربا عن طريق البندقية .

كانت السفن التي تاتي من بلاد الإفرنج لم تأتي فارغة فكانت تجلب بضائع الغرب حيث كان الفرنج في الشرق بحاجة الي منتجات وصناعات غير موجودة إلي في بلادهم في غرب أوربا، وكان الصناع ورجال الدين والفرسان يأتون في سفن وأساطيل تسمي قوافل وكانت تحمل معهم بضائع الغرب من سواحل أوربا حتى فلسطين ، وكانت الرحلات تتسم علي فترتين فقط الأولي في أعياد الفصح والثاني في عيد القديس يوحنا المعمدان .

وكانت مدن وموانى الشام مراكز لتجمع السلع أقام فيها التجار للأشراف علي مصالحهم التجارية وفي خلال القرن الثاني عشر ازدهرت بعض المدن والواقعة تحت يد الإفرنج مثل عكا وصور وبيروت وطرابلس وإنطاكية والاذقية كذلك كانت حلب ودمشق وحماه ومحص اهم المراكز

التي كانت في أيدي المسلمين وتُعد عكا اهم المدن الساحلية ببلاد الشام خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر وكان لها ميناء وتمتعت بنفوذ تجاري وكانت ملتقي تجار المسلمين والنصارى في جميع الأفاق واشتهرت بنجارة الرقيق التى تسببت فى ثراء فاحش لتجار جوة والبندقية ، كما ازدهرت مدينة حلب دمشق التى اشتهرت بصناعة الورق، وانتقلت التجارة منها الي الإمارات الصليبية منتجات الشرق حيث العراق وفارس .

وقد اولع الغرب الأوربي بالسلع الشرقية واشتد اقبالة عليها خاصة التوابل التى تم جلبها من وسط أسيا والشرق الأقصى وصارت من ضروريات الغرب الأوربي ، وانتشرت كذلك حيث صناعة الزجاج والنجف الزجاجية في بلاد الشام ، وأحرزت مدينة يبت المقدس شهرة هائلة أيام الحروب لما لها من قداسة حيث أتي لها الحجاج والمسيحيين واشتهرت بالتحف المسيحية والمسابح والصلبان والمصابيح الدينية والإيقونات التي اشتراها الحجاج عند عودتهم إلي أوربا .

ومع استقرار الفرنج في إمارتهم شرعوا في ضرب الدنانير الذهبية التي عرفت بالدنانير الإسلامية وقد تم التعامل بها مع البلاد الإسلامية وكان علي هذه القطع نقوش عربية وبعض أيات القران وقد استمر التعامل بذلك العملة حتي عام ١٢٤٩م حينما احتج عليها البابا انوسنت الرابع حيث اصدر قرار الحرمان علي كل من يتعامل بها .

الفصل الثانى

(تاريخ صقلية الإسلامية)

- موقع وجغرافية جزيرة صقلية.
- محاولات المسلمين الأولى لفتح جزيرة صقلية.
- صقلية تحت الحكم الإسلامى (الأغالبة – الفاطميين – دول الطوائف)

موقع وجغرافية جزيرة صقلية :

كان لجغرافية جزيرة صقلية الأثر الواضح فى شخصيتها، ويظهر بجلاء على تاريخها، فموقعها في البحر جعلها صعبة المنال إلا من امتلك القوة والقدرة على منازلة كل الطامعين فيها ، فتوسطها بين قارتى أوروبا وأفريقية جعلها محط النزاع بين القوى المتصارعة، فتاريخها إذن هو تاريخ الشعوب ذات الحضارات في حوض البحر المتوسط فتاريخ جزيرة صقلية جزء من تاريخ اليونان والفينيقيين(١) والرومان والقوط والبيزنطيين والعرب، فجزيرة صقلية تقع وسط البحر المتوسط والمسافة بينها وبين ساحل افريقية (مائة وأربعون ميلاً)، وأقرب المدن اليها اقليبية، يفصلها عن ايطاليا (مضيق مسينى) والذى يسميه الجغرافين العرب مضيق الغاز والذى يبلغ أقصى اتساع له ميلين، فبسيطرة المسلمين على جزيرة صقلية يستطيعون التحكم والسيطرة على موصلات البحر المتوسط، واتخاذ الجزيرة قاعدة انطلاق للفتوحات الإسلامية فى أوربا لاحقاً، وكذلك حماية بلاد المغرب الإسلامى(٢) إضافة للأهمية الإقتصادية لجزيرة صقلية حيث فيها معادن الذهب موجودة في كلّ مكان ومعادن الشّبّ والكحل والفضة ومعدن الزاج والحديد والرصاص، وكثيرا ما يوجد النوشادر في جبل النار ويحمل منه إلى الأندلس، وهي جزيرة خصيبة كثيرة البلدان والقرى والأمصار، وبها عيون غزيرة وأنهار جارية (٣) .

---

(١) الفينقيون : من القبائل العربية التى هاجرت إلى منطقة الهلال الخصيب فى الألف الثالث قبل الميلاد وتعد من القبائل السامية ، وقد اختلف المؤرخون فى تحديد الموطن الأول لها هل هو نجد أو البحرين والسواحل المقابلة لها أو من الأجزاء الجنوبية أى من اليمن ، فهم من شبه الجزيرة العربية عموما، وأن جزءاً منهم استقر فى الساحل السورى للبحر المتوسط ، وعرفوا بإسم الفينقيين ، وهم يمثلون امتدادا كنعانيا إلى لبنان، فينيقيا اسم مشتق من الكلمة اليونانية Phoinix ، أى الأحمر الأرجواني نسبة إلى صناعة الصباغ الغالبة عندهم ، اشتهرالفينيقيون في العالم القديم في مجال المالحة والكتابة،وأسسوا مستعمرات كانت بمثابة مراكز تجارية عظيمة وسط البحر المتوسط وغربه، وانتشروا فى شمال أفريقيا بدءاً من طرابلس فى ليبيا وانتهاء بطنجة فى المغرب ، وكانت قرطاجنة أكبر مستعمراتهم . لمزيد من التفاصيل أنظر : إبراهيم محمد بيومي مهران : المالحة الفينيقية في جزر البحر المتوسط، حولية الإتحاد العام للأثريين العرب " دراسات فى أثار الوطن العربى" العدد ١٥، ص ١-١٠؛ ماجد على أحمد : الفينقيون فى شرق وغرب البحر المتوسط ، مجلة العدد ٥٧، ص ٤٨٢-٤٨٣ .

(٢) المغرب الإسلامى : هو ما يقابل المشرق الإسلامى ، وجعل البعض لفظ بلاد المغرب يشتمل على بلاد شمال افريقيا، واختلف كذلك الجغرافيين والمؤرخون المسلمون فى تحديد بلاد المغرب، فجعل البعض لفظ بلاد المغرب يطلق على بلاد الشمال الإفريقى بالإضافة إلى الأندلس وجميع البلدان الإسلامية فى حوض البحر المتوسط الغربى مثل (صقلية، وجنوب إيطاليا ، وجزيرتى سردانية وقورسيقا، و جزر البليار أو الجزائر الشرقية (ميورقة، ومنورقة يابسة)، وكذلك الصحراء الكبرى ، والقلة منهم جعل مصر من من ضمن تقسيم بلاد المغرب .ابن منظور : لسان العرب، ط٣، دار صادر - بيروت١٤١٤ هـ، ص ٦٣٧؛عبد الرحمن العزاوى : تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، ص١٥.

(٣)الاصطخري : المسالك والممالك، ص٥١؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٣، ص٤١٦ ،٤١٨؛ الحميرى : الروض المعطار، ص٣٦٧.

الجزيرة على شكل مثلث متساوى الساقين زاويته الحادّة من غربىّ الجزيرة والغالب عليها الجبال والقلاع والحصون وأكثر أرضها مسكونة ومزروعة طول الجزيرة مسيرة سبعة أيام وعرضها مسيرة أربعة أيام[١] وتحيط بها ثلاثة بحار– البحر الأيونى شرقاً، والبحر التيوانى شمالاً، والبحر المتوسط جنوبا، وأبعادها ٢٠٠ ميلاً من الناحية الشرقية و ٤٥٠ من الناحية الجنوبية، والضلع الثالث ٢٥٠ ميلاً [٢] ، وعاصمتها مدينة بلرم .وصقلية أكبر جزر البحر المتوسط ،ومن أشهر مدنها مدينة مازار Mazzr،ومدينة مسينا Masina ، ومودقة، ولثنى ، و قصريانه Castragiounna. وبثيرة وقطانية وطبرمين ومدينة سرقوسة Siracousa ، تميز مناخ جزيرة صقلية بالاعتدال، وسماؤها أميل إلى الصحو منها إلى الغيم أمطارها غالباً فى فصلى الشتاء والخريف مع عدم اشتداد البرد، أما الثلوج فإنها لا ترى إلا على قمم الجبال الشاهقة مثل جبل اتنان[٣] .

وصقلية ترتبط ارتباطا وثيقيا مع شبه الجزيرة الإيطالية ويفصلها عن جنوب إيطاليا عند قلورية (كلابريا) مضيق مسينا المائى ويطلق عليه اسم "المجاز" ويصل اتساعه ستة أميال ، ولقرب هذه المسافة تعاقبت على الجزيرة الحملات البيزنطية بصفة مستمرة ، وبالتالى عدم استقرار العرب فى الجزيرة إلا بعد استسيلاء العرب على اقليم كلابريا الإيطالى واقامة مراكز عسكري قوية على طول الساحل المقابل لجزيرة صقلية، ومن ثم شن الغارات على المدن الإيطالية، غير أن صقلية البحرية، القريبة من جنوبي إيطاليا، والتى اتصلت مع بلاد الإسلام بصلات ثقافية واجتماعية، برزت فيها السمة السمة الحربية(البرية والبحرية): وهي أول الصفات التي نشأت من موقع الجزيرة وقيام حياتها على الجهاد، لقربها ممن جنوبي إيطاليا واضطلاع أمرائها بالجهاد في ذلك الاتجاه، ويحكم هذا الموقع لعبت صقلية دورا كبيراً فى التاريخ الإنسانى، فقد تعاقب على حكمها الكثير من الدول، فكان منهم الفينيقيون ثم القرطاجيون[٤] ثم الرومان والقوط من يد القوط

(١) ابن حوقل : صورة الأرض،دار صادر، أفست ليدن، بيروت١٩٣٨ م، ج١، ص١١٨؛ ابن سعيد المغربى: الألحان المسلية فى حلى جزيرة صقلية، تحقيق : موريتز من كتابCenenario (بلرم:١٩١٠) ، ص٣٤٠.

(٢) مارتينو مورينو : المسلمون فى صقلية ، منشورات الجامعة اللبنانية بيروت١٩٥٧م، ص٢.

(٣) ابن حوقل:صورة الأرض ، ليدن: بريل ، ١٩٦٧م، ص١١٨ ؛ القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر – بيروت، (د.ت) ،ص ٢١٦.

(٤) قرطاجنة :اسم قرطاجنة أو قرطاج مركب من كلمتين " قرت" ومعناها القرية أو المدينة ، و"حدشت " ومعناها الجديدة ، إذن قرطاج معناها المدينة الجديدة ، إبراهيم محمد بيومي مهران : المالحة الفينيقية ،ص١٠ .

أخذها بلزاريوس[١] قائد جستنيان[٢]، ومن أيدي البيزنطيين انتزاعها قادة بني الأغلب بعد جهاد عنيف[٣].

جزيرة صقلية تعتبر ملتقى لأجناس متعددة "لا وطن لشعب واحد " وأثر ذلك في تكوين الشخصية الصقلية ، حيث أن صقلية جزيرة في البحر وأنها في ذلك الموقع المتوسط ملتقى يجتمع فيه المسافرون، ويقف عنده المتحاربون، يوم أن كان البحر المتوسط مسرحاً للحضارات وطريقاً للحركات التجارية. فهذا الموقع هو الذي منح صقلية هذا اللون من التاريخ(أي تاريخ جزيرة يتعاقب عليها الغالبون أصحاب السيادة في البحر المتوسط) ، ولكنها لم تفقد أبداً الروح التي كانت تدفعها إلى الاستقلال حتى لاحظ أحد المؤرخين المسلمين أنها لم تزل في يد متملك لا يطيع من حوله من الملوك، ولكن الروح الوطنية في آخر العصر الإسلامي كانت قد نمت قليلاً، ولو استمر بها الحال لكان هنالك الشعب الصقلي الذي يشعر أنه ابن صقلية، ولكن الظروف لم تمهل هذه الروح طويلا .

---

(١) بلزاريوس : ولد سنه (٥٠٥م) وكان صديقا للإمبراطور جستنيان ، بدء اسمه يلمع فى المعارك وهو فى ٢٥ من عمره بعد ان احرز الانتصار على الفرس فى موقعه دارا سنة (٥٣٠م) ،و عينة الامبراطور جستنيان قائد للقوات فى الشرق استطاع القضاء على ثوره نيقيا سنه(٥٣٢م) بالتعاون مع نارسيس ارسله الامبراطور جستنيان الى شمال افريقيه سنه (٥٣٣م) حيث نجح فى القضاء على مملكه الوندال واسر زعيمهم وعاد به الى القسطنطينية سنه(٥٣٥م)حارب القوط الشرقين واستطاع تحقيق كثير من الانتصارات عليهم الى ان استدعاهالامبراطور جستنيان بعد ان ساءت العلاقات بينهم بسبب محاوله القوط الشرقين تتويجه ملك عليهم فاستدعاه الامبراطور جستنيان بحجه انه بحاجه اليه فى محاربه الفرس وفى سنة(٥٥٩م)استطاع هزيمه البلغار الذين حاصروا القسطنطينية وابعدهم عنها ، ختلفت الاراء حول نهاية بليزاريوس، فالبعض يذكر أن لامبراطور جستنيان اتهمه بالتآمر ضده وتم القبض عليه وسجنه فى عام ٥٦٢م ويقال ان بلزاريوس قضي اخر فترات حياته فى فقر وبؤس حتى اضطر للتسول بعد ان فقد بصره ويقال ايضا ان الامبراطور جستنيان عفى عنه سنه ٥٦٣م وقربه اليه حتى توفى الامبراطور جستنيان سنه ٥٦٥ م .

(٢) الإمبراطور جستنيان : ولد الإمبراطور الإمبراطور جستنيان سنة (٤٨٢م) من أبوين مزارعين من أصل إليرى - أو لعله صقلبي ،جاء به عمه جستين الى القسطنطينية ، ولما أصبح جستنيان ضابطاً أظهر في عمله براعة عظيمة. ولما مات عمه (٥٢٧م) خلفه على عرش الإمبراطورية، وكان وقتئذ في الخامسة والأربعين من عمره، تولى عرش الإمبراطورة البيزنطية سنة (٥٢٧م)، اشتهر بإصلاحه القانوني خلال لجنة (تريبونيان)، والتوسع العسكري لأرض الإمبراطورية أثناء عهده فى ايطاليا وشمال افريقيا وبلاد الغال ، ومعاركه مع الفرس ،. زوجته ثيودوراً لعبت دورا مهما فى حياته، مات سنة (٥٦٥م) عن عمر (ثلاثة وثمانين عاماً)، جلس منها على العرش (ثمانية وثلاثين سنة). بعد أن بذل كل ما وسعه من جهد ليصد عن الإمبراطورية البيزنطية البرابرة. و استرد أفريقية، ودلماشيا، وإيطاليا، وقورسقة، وسردينيا، وصقلية، وبعض أسبانيا، وطرد الفرس من سوريا، وتضاعفت رقعة الإمبراطورية في عهده ضعفين. ومثلت شريعته بما فيها من وحدة، ووضوح، واتساع في الأفق، ذروة في تاريخ القانون . لمزيد من التفاصيل عن جستينيان أنظر : سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا فى العصور الوسطى، ط٩،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٧م، ج١ ، ص١١٣- ١٢٢ ؛أحمد صالح عبوش : قادة الإصلاح والتشريع فى العالم عبر التاريخ، دار الكتب العلمية ، لبنان ٢٠١٨م ص ٨٨ -٩٥ .

(٣)ابن الأثير: الكامل ، ج٥، ص ٤٨٩ ؛ عصام عبد الرؤوف الفقى : تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة نهضة المشرق القاهرة، ص ١٢٤ ؛ مارتينو مورينو : المسلمون فى صقلية ص ٧ .

صقلية في العهد البيزنطي :

لم يلق بلزاريوس قائد جستنيان عناء في الاستيلاء على صقلية من يد القوط حينما دخلها بجيشه سنة (٥٣٥م)، إذ وجد الجزيرة تكاد تكون خالية من الحاميات القوطية، وتلقاه السكان فرحين مرحبين يريدون التخلص من حكم القوط، ولم يلق مقاومة إلا في بلرم وذلك لمناعة أسوارها وقوة الحامية القوطية فيها، ولكن لم يمض وقت طويل حتى أصبحت كل جزيرة في قبضته، وأظهر أهل صقلية الولاء بلزاريوس ، ولكن لم تطل الفرحة بالصقليين فسرعان ما وجدوا أنفسهم يدفعون الضرائب الفادحة لخزينة الامبراطور، وعين جستنيان للجزيرة بريتوراً praetor من الدرجة الثانية، وجعل منها ومن دلماتيا ولاية واحدة ، وخضعت صقلية للأنظمة التي فرضها جستنيان تلك الأنظمة التي جرت ألوان التعاسة على أفريقية وإيطالية. فأصبحت صقلية تحت عبء الضرائب المتنوعة مثل (ضريبة على الأملاك، وضريبة الرؤس، وإتاوات على التجارة والصناعة، وزيادات إضافية على الضريبة الأولى، وضرائب للجند، وأخرى للملاحين وأموالا يبتزها الموظفون، واجبار الرعايا العاجزين عن دفع المال على تقديم أبنائهم ، وقام الجباة بمصادرة الممتلكات بالقوة) بالإضافة إلى الاضطهاد الديني والثورات العسكرية(١) .

ولم تكن الدولة هي المستغل الوحيد لصقلية بل كانت الكنيسة تشاركها النفوذ والسلطان لكثرة أملاكها فيها، فكان لكنيسة روما وميلان ورافنا اقطاعات كثيرة (patrimori) وكانت أملاك كنيسة روما موزعة في أنحاء الجزيرة حول سرقوسة وقطانية وميلاص وبلرم وجرجنت، وكان يديرها رئيسان أحدهما في سرقوسة والثاني في بلرم ، وكان في الأراضي الكنسية فلاحون يسمون الكولونيينcoloni وهم طبقة من الناس تشبه العبيد في ارتباطها بالأرض وتدفع الضرائب نقداً أو محصولات، وظلت صقلية؟ كما كانت من قبل؟ " اهراء روما " يسافر منها كل عام أسطولان محملان بالقمح، مرة في الربيع وأخرى في الخريف، وإذا غرقت المؤن في البحر أو نهبت قبل وصولها، طولب الكولونيون بالتعويض، هذا بالإضافة إلى أن جامعي المحصول كانوا يتلاعبون بالمكيال ويزيدون في نسبة الضريبة المقررة. فلما اعتلى (جرجوريو الأول) كرسي البابوية سنة (٥٩٠م) ورأى سوء الحال حاول أن يصلحها، وفي الثمانية عشر شهراً الأولى من رئاسته كتب أربع عشرة رسالة إلى وكيل له بصقلية اسمه (بطرس) يحاول أن يذكره بضرورة النظر في ظلامات الناس

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر : سعيد عمران : الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان ٢٠٠٢م ، ص٥٨؛ احسان عباس : العرب فى صقلية دراسة فى التاريخ والآداب، دار المعرف ، مصر١٩٠٩م، ص ٢٦ -٢٧.

وإنصافهم وتحقيق العدالة فيهم ، ورغم ذلك نجد أن صقلية أضحت بين أطماع الحكومة والكنيسة وفساد الجيش، ومن ثم لم يكن المجتمع الصقلي في ظل الدولة البيزنطية مجتمعاً سعيداً ناهضاً مكفول الحرية ، وخصوصاً وأن الجزيرة تضم خليطاً من لأجناس مثل (الإغريق والطليان، وجماعات من اليهود تميزوا منذ البدء بانكماشهم على أنفسهم، وبكره الأجناس الأخرى لهم، ولكنهم لم يكونوا كثيري العدد). وقد حاول جرجوريو أن يغريهم بالتنصر وأضافت الحكومة إلى هذه الأجناس بعض المنفيين من المجرمين المتمردين ، وأعداد كبيرة من العبيد).

وجملة القول أن صقلية البيزنطية فقدت؟ كما يرى الأستاذ أماري؟ شخصيتها ومقومات الحياة العمرانية فيها، واختنق فيها كل شعور بالرفعة الإنسانية، وبلغت من الانحطاط درجة ليس ثمة ما هو أدنى منها [1].

(١) احسان عباس : العرب فى صقلية دراسة فى التاريخ والآداب، دار المعرف ، مصر١٩٠٩م، ص ٢٥ -٣١.

تاريخ صقلية الإسلامية

أولاً : محاولات المسلمين الأولى لفتح صقلية:

كانت فكرة فتح صقلية تراود المسلمين كثيراً منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م) ، إلا أن فكرة ركوب البحر وانشاء الأساطيل كانت أمراً غير محبب للخليفة عمر بن الخطاب لخوفه على المسلمين من مخاطر البحر وعدم درايتهم بأهواله،وذلك عندما عرض عليه والي الشام(معاوية بن أبي سفيان)[١] الأمر طالبا الإذن منه في إنشاء قوة بحرية إسلامية تدافع عن سواحل المسلمين في الشام ومصر ضد هجمات الأسطول البيزنطي، خاصة من قاعدته القريبة من شواطئ الشام في (جزيرة قبرص) التي قال عنها معاوية: إن الناس في حمص يسمعون نباح كلابها وصياح دجاجها، فلما ولى الخلافة سيدنا عُثمَان بْن عَفَّان[٢] كتب إليه يستأذنه في غزوة قبرص ويعلمه قربها وسهولة الأمر فيها، فكتب إليه أن قَدْ شهدت مارد عليك عُمَر – رحمه اللَّه– حين استأمرته في غزو البحر. فلما دخلت سنة سبع وعشرين كتب إليه يهون عَلَيْهِ ركوب البحر إِلَى قبرص فأذن له [٣]، وذلك لأن الدوافع الأولى للفتوحات الإسلامية عموماً هو نشر الدين الإسلامي، والجهاد فى سبيل الله، بالإضافة لرغبة المسلمين فى تأمين الممتلكات الإسلامية من غدر البيزنطيين والذين كانوا يتخذون جزيرة صقلية قاعدة عسكرية للإمداد والتموين للهجوم على الممتلكات الإسلامية لذلك سعت الخلافة الإسلامية منذ عهد الخليفة الراشد عثمان بن

---

(١) معاوية بن أبي سفيان : هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية ، وأمه هند بنت عتبة، وُلد قبل الهجرة بنحو خمسة عشر عامًا، ،أسلم عام الفتح، سنة (٨هـ)، وأصبح منذ أن أسلم كاتبًا من كتَّاب الوحي لرسول الله ﷺ ، وشارك في في حروب الردة وفي فتوح الشام ،عينه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه واليا علي الشام كله سنة (١٨هـ) ،و أقره سيدنا عثمان (٢٣ - ٣٦هـ) علي الشام، وبويع بالخلافة لما تنازل سيدنا الحسن رضي الله عنه عن الخلافة له، ومَاتَ مُعَاوِية رضي الله عنه بِدِمَشْق يوْم الْخَمِيس لثمان بَقينَ من رَجَب وَهُوَ ابْن اثْنَتَينِ وَثَمَانِينَ سنة وَيُقَال ثَمَانِينَ وَيُقَال سِتّ وَثَمَانِينَ وَكَانَت ولَايته تسع عشرَة سنة وَثَلَاثَة أشهر وَعشْرين يوْمًا . خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ،ط٢، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم ، مؤسسة الرسالة - دمشق ، بيروت١٣٩٧ هـ، ص٢٢٦؛ أبو الفداء عماد الدين :المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية(د.ت) ج١، ص١٨٤.

(٢) عثمان بن عفان رضي الله عنه : هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ينتسب إلي بني أُمية؛ ولد في مكة، بعد عام الفيل بستّ سنوات علي الصحيح، أحبته قريش حبا شديدا لأنه شديد الحياء، عفيف النفس، واللسان، أسلم علي يد سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، هاجر الهجرتين ،لقب بذي النورين لزواجه بنتى النبى ﷺ ، أنفق مالاً عظيما فى سبيل نصرة لنبى ﷺ والإسلام ، تولي الخلافة سنة ٢٣هـ ، وقتل سنة ٣٥هـ رضي الله عنه .ابن سعد : الطبقات ج٣، ص٣٩ -٤٧؛ خليفة بن خياط : طبقات خليفة بن خياط، ص٣٩.

(٣) ابن البلاذرى : فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال- بيروت ١٩٨٨ م، ص١٥٣؛ عبد الشافى محمد عبد اللطيف : السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي،دار السلام ،القاهرة ١٤٢٨ هـ ، ص٢٠٧..

عفان إلى بناء اسطول بحري ، ونجحوا فى تحقيق انتصار ضخم على البيزنطيين في موقعة ذات الصواري سنة(٣٤هـ/٦٥٤م)[١] .

من أسباب الفتوحات الإسلامية رغبة المسلمين توسيع مساحة الدولة العربية الإسلامية من جهة، ومحاصرة القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية التي امتنعت عن الجيوش الإسلامية من جهة أخرى ووضعوا استراتيجية تقوم على غزو ممتلكات الامبراطورية البيزنطية من الشمال الأفريقي وغرب البحر المتوسط وذلك بالسيطرة على أهم الجزر وسط البحر المتوسط ، وأهمها صقلية وجنوب ايطاليا وسواحل البحر الأدرياتيكي، ويؤكد تلك الرغبة عزم القائد موسى ابنَ نُصير غازياً بعد أن استكمل فتح الأندلس أَن" يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروب الأندلس ويخوض إليه ما بينهما من بلاد الأعاجم وأمم النصرانية مجاهداً فيهم ومستصحماً لهم إلى أن يلحق بدار الخلافة في دمشق ، فيذكر الذهبى " إِنَّ مُوسَى تَمَادَى فِي سَيْرِهِ بِأَرْضِ الأَنْدَلُسِ مُجَاهِدًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَرْضٍ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا، فَقَالَ لَهُ جُنْدُهُ: إِلَى أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ تَذْهَبَ بِنَا، حَسْبُنَا مَا بِأَيْدِينَا! فَرَجَعَ وَقَالَ: لَوْ أَطَعْتُمُونِي لَوَصَلْتُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ" [٢] .

ويبدو أَن أباطرة الروم البيزنطيين قد أدركوا هدف العرب المسلمين ، بدليل انهم بذلوا جهوداً كبيرة لحماية أجزاء امبراطوريتهم الغربية، لدرجة أن الإمبراطور قسطنطين الثاني خليفة هرقل ،اضطر إلى اتخاذ خطوة جريئة لم تتخذ من قبل وهي ترك عاصمة القسطنطينية سنة٤٢هـ/٦٦٢م والإقامة في روما وصقلية، وذلك لكى يعمل على تقوية وسائل الدفاع فى تلك الأجزاء الغربية من الإمبراطورية فى حوض البحر المتوسط، لمقاومة التوسع الإسلامى فى شمال أفريقيا فقد نقل عنه أن يعمل على " حماية الام قبل حماية البنت" ، فيقصد بذلك حماية روما" أم الملك ومركزه" قبل القسطنطينية، وذلك لحماية ثراثهم الروحى[٣] .

ويبدو أَن أباطرة الروم البيزنطيين قد أدركوا هدف العرب المسلمين ، بدليل انهم بذلوا جهوداً كبيرة لحماية أجزاء امبراطوريتهم الغربية ، لدرجة أن الإمبراطور قسطنطين الثاني خليفة هرقل، اضطر إلى اتخاذ خطوة جريئة لم تتخذ من قبل وهي ترك عاصمة القسطنطينية سنة٤٢هـ/٦٦٢م والإقامة في روما وصقلية، وذلك لكى يعمل على تقوية وسائل الدفاع فى تلك

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص٢٥٦.

(٢) الذهبى : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط٢، تحقيق عمر عبد السلام التدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت١٤١٣ هـ ، ج٦، ص ٤٨٧؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، ج١، ص٥٣ .

(٣) العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس،ص٣٥ -٣٦؛ صابر محمد دياب : بلاد المغرب فى القرن الأول الهجرى.

الأجزاء الغربية من الإمبراطورية فى حوض البحر المتوسط، لمقاومة التوسع الإسلامى فى شمال أفريقيا فقد نقل عنه أن يعمل على " حماية الام قبل حماية البنت" ، فيقصد بذلك حماية روما" أم الملك ومركزه" قبل القسطنطينية، وذلك لحماية تراثهم الروحى[١] .

فتذكر كتب التاريخ أن أولى الحملات لغزو جزيرة صقلية كانت بقيادة معاوية بن حديج[٢]سنة (٤٦-٤٧هـ/٦٦٦م) حيث أرسل عبد الله بن قيس بن مخلد الفزارى الذى غنم العديد من التماثيل المرصعة بالجواهر وأرسلها إلى معاوية بن أبى سفيان الذى أمر ببيعها فى أسواق الهند بثمن مرتفع، وقاد معاوية بن حديج حملة بحرية ضد جزيرة صقلية سنة (٤٩هـ/٦٦٩م) في مائتي راكب ونجح فى النزول على أرضها . وفوَّت على البيزنطيين فرصة استخدامها كقاعدة انطلاق ومركز إمداد لأساطيلهم الحربية المتجهة نحو سواحل مصر أو الشام [٣] .

وفى عام (٨٦هـ/٧٠٥م) بعث موسى بن نصير الْمُغيرَة بْن أَبِي بردة الْعَبْدي فِي مراكب فَافْتتحَ أولية وَهِي أول مَدَائِن صقلية من أَرض الْمغرب[٤] ،وفى عام (٨٩هـ/٧٠٨م) بعث موسى بن نصير أسطولاً صغيراً بقيادة أبنه عبد الله لغزو جزر البليار أو الجزائر الشرقية (ميورقة، ومنورقة يابسة) [٥] ،وصقلية وسردينية[٦] وتسمى هذه الحملة "بغزوة الأشراف" ، وكانت من أهم نتائج هذه

---

(١) العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس،ص٣٥ -٣٦؛ صابر محمد دياب : بلاد المغرب فى القرن الأول الهجرى.

(٢) معاوية بن حديج : ابن مُعَاوِيَة بْن جَعْفَر بْن أُسَامَة بْن سَعْد بْن أشرس بْن شبيب بْن السكون السكوني.. وقد قيل: الكندي. وقد قيل الخولانيّ وقيل التجيبي. والصواب السكوني ، يكنى أَبَا عَبْد الرَّحْمَنِ. و غزا إفريقية ثلاث مرات مفترقات، وذهبت إحدى عينيه في غزوة النوبة، وولي على برقة سنة (٤٧هـ/ ٦٦٧م) ومات سنة (٥٢ هـ/ ٦٧٢م) فى مصر . ابن عبد البر : الإستيعاب، ج٣، ص ١٤١٤؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ج٥،ص١٩٨؛ ابن حجر : الإصابة،ج٦، ص١١٦ .

(٣)البلاذرى: فتوح البلدان، ص٢٣٧؛ ابن الأثير : الكامل ، ج٤، ص ١١٨-١١٩؛ ابن عذارى: البيان المغرب ، ج١، ص١٦- ١٨.

(٤) خليفه بن خياط : تاريخه، ط٢، تحقيق أكرم ضياء العمرى، ص٢٩٢.

(٥) الجزائر الشرقية : هي عدة جزر تقع أمام الساحل الشرقي لأسبانيا وأهمها ثلاثة جزر هي : ميورقة majorca ومنورقة minorca ويابسة ibiza وتسمى في المصادر العربية بالجزر الشرقية، خضعت لنفوذ قرطبة سنة (٢٣٤ هـ /٨٤٨م) في عهد الأمير عبدالرحمن الثاني الأوسط الأموي غير أنها لم تضم نهائيا بواسطة عمال الدولة الأموية بالأندلس إلا منذ سنة (٢٩٠هـ /٩٠٢م) حينما أرسل إليها الأمير عبدالله بن محمد قائده عصام الخولاني حاكما عليها وظلت في يد المسلمين إلى أن احتلها ملك أراجون خايمى الأول (٦٢٨- ٦٨٦هـ/١٢٣٠-١٢٨٧م) . الحميرى : الروض المعطار، ص٥٤٩، ٥٧٦؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام، ج٦، ص ٤٣٨؛ عصام سالم : جزر الأندلس المنسية، دار العلم للملاين، بيروت١٩٨٤، ص١٥- ١٨.

(٦) جزيرة سردانية : بفتح أوله وسكون ثانيه ثم دال مهملة وبعد الألف نون مكسورة وياء آخر الحروف، جزيرة على طرف من البحر الشامي، وهي كبيرة النظر كثيرة الجبال قليلة المياه، طولها مائتان وثلاثون ميلاً وعرضها من الغرب إلى الشرق مائة وثمانون ميلاً، وهم في الأصل روم ، وجزيرة سَرْدِينِيَة؛ ثانى أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط من حيث الحجم بعد جزيرة صِقِلِّيَّة، وتقع بين إيطاليا، وإسبانيا،وتونس، وجنوب جزيرة كورسيكا، وقد غزاها المسلمون =

الحملة هو الاستيلاء مؤقتا على إحدى المدن والظفر بغنائم وفيرة حيث تسلم كل جندى مائة دينار ذهبيا [١]، وفى عام ٩٢هـ/ ٧١٠ م أرسل موسى بن نصير حملة أخرى ضد جزيرة سردينية[٢]، وفى سنة (١٠٢هـ /٧٢١م) أغزى يزيد بن أبى مسلم(١٠١هـ/٧٢٠م) [٣] الوالى على إفريقية قائده مُحَمَّد بْن أَوْس الْأَنْصَارِيّ إلى صقلية من بِلَاد الْمغرب وأغزى مَعَه النَّاس فغنم وَسلم[٤]، وفى سنة (١٠٩هـ/ ٧٢٧م) أرسل بشر بن صفوان الكلبى(١٠٢-١٠٩هـ/٧٢٠-٧٢٨م) [٥] والى إفريقية آنذاك حملة كبيرة على صقلية غنم المسلمين فيها العديد من الأسرى[٦] ، ونتيجة لذلك أرسل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى[٧]الذى خلف بشر بن صفوان فى ولاية أفريقية ، حملة على الجزيرة سنة (١١٠هـ/٧٢٩م) بقيادة عثمان بن أبى عبيدة، وحملة أخرى فى سنة ١١١هـ/٢٧٩م بقيادة المستنير بن الحبحاب الحرشى، إلا أن الحملتين لم تسفر عن نتائج ذات أهمية [٨].

= عِدَّة غزوات ، فقد ذكر الذهبي في العبر أنها فُتِحت سنة سبع وثمانين، وأرسل إليها موسى بن نصير جيشاً في سنة اثنتين وتسعين، ،و غزاها أسد بن الفرات رحمه الله تعالى، وكاد أن يفتحها، وفى سنة (٣٢٣هـ) غزاها يعقوب بن إسحاق بأمر من المنصور بن القائم العُبَيْدِي. ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٣، ص ٢٠٩ ؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ٣١٤، ٣١٥.

(١) خليفه بن خياط : تاريخه، ط٢، تحقيق أكرم ضياء العمرى، ص٣٠٢؛ .ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ، تحقيق: طه محمد المرينى ، مؤسسة الحلبى ، القاهرة ١٩٦٧م، ج٢، ص٢٨.

(٢) القيروانى: تاريخ إفريقية ،تحقيق :عبد الله العلى وآخرون، دار الغرب الإسلامى ،بيروت ١٩٩٠م، ص٦٤ – ٦٥.

(٣) يزيد بن أبى مسلم : استعمله الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان على إفريقية سنة (١٠١هـ / ٧٢٠م)، فلما ولي يزيد على إفريقية عزم أن يسير فيهم بسيرة الحجاج، فوضع الجزية على رقاب سواد إفريقية، فقتله أهلها؛ ابن الأثير : الكامل، ج٤، ص٣٣٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١، ص٢٣٥؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٠٤.

(٤) خليفه بن خياط : تاريخه، ص٣٢٦.

(٥) بشر بن صفوان الكلبى : بشر بن صفوان بن تويل بفتح التاء المثناة بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شرحبيل بن عرين بن أبي جابر بن زهير الكلبي أمير المغرب، وأحد الشجعان ذوي الرأي والحزم؛ ولي مصر أولا سنة (١٠١هـ/ ٧١٩م)، من قبل يزيد بن عبد الملك، ثم جاءه كتاب يزيد بتأميره على إفريقية سنة (١٠٣هـ/٧٢١م)، فخرج إليها وأقام في القيروان، فأستصفى بقايا آل موسى بن نصير وغزا صقلية؛ومات بالقيروان سنة (١٠٩هـ/ ٧٢٧م)؛ ابن الحكم : فتوح مصر، ص ٢١٥ ، ٢١٦؛ ابن الأثير : الكامل، ج٤، ص ٣٨٣؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ٤٩ ؛ السلاوى : الاستقصا، ج١، ص ١٦٠.

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٤، ص ١٨٧؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص٤٩ ؛ ابن خلدون : تاريخه ، ج٤، ص ٢٤٠؛ آرشيبالد. ر لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، مكتبة النهضة : القاهرة ، ص١٠٧م..

(٧) عبيدة بن عبد الرحمن السلمى : ولاه الخليفة هشام بن عبد الملك على المغرب بعد وفاة بشر بن صفوان، فقدم القيروان سنة (١١٠هـ / ٧٢٨م)، ونظر في أمر المغرب والأندلس معا، وكان عبيدة بن عبد الرحمن قد أخذ عمال بشر بن صفوان قبله وعذبهم فكتب بعضهم بذلك إلى الخليفة هشام فعزله لأربع سنين وستة أشهر من ولايته؛ ابن الأثير : الكامل، ج٤، ص ٤٠٣،٤٠٤؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ٥٠ ؛ ابن خلدون : تاريخه، ج٤، ص ١٥٢ ؛ السلاوى : الإستقصا، ج١، ص١٦٠.

(٨) ابن الحكم : فتوح مصر والمغرب، ص٢٤٤؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١،ص١٥ ؛ السلاوى: الاستقصا ،ج١، ص ص ٩٦-٩٧.

وفى عام (١١٥هـ/٧٣٣م) أرسل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى والى إفريقية حملة بحرية بقيادة أبى بكر بن سعيد إلا إن هذا الأسطول فقد جزء منه بسبب نيران النفط التى قذفها الأسطول البيزنطى، وتوالت الحملات فى السنوات التالية ففي سنة (١٢٢هـ/٧٣٩م) نزل حبيب بن أبي عبيدة، حفيد عقبة فاتح أفريقية، أرض صقلية ومعه ابنه عبد الرحمن، وفي نيته أن يمضي في الفتح حتى يستولي على الجزيرة كلها، غير أن حملته توقفت بسبب سوء الأحوال فى إفريقية بسبب ثورات البربر الذين أعلنوا الثورة فى المغربِ الأقصىِ سنة (١٢٢هـ/٧٣٩م) [١] .

فهذه الغزوات نهبت الروم إلى مدى الأطماع في نفوس العرب الفاتحين، وجعلتهم يتخذون من صقلية قاعدة لحماية الإمبراطورية عند حدودها الجنوبية، فعمروا فيها الحصون والمعاقل، حتى لم يتركوا جبلا إلا وبنوا عليه حصناً وصاروا يخرجون في كل عام مراكب تطوف بالجزيرة وتدافع عنها، وربما صادفوا تجاراً من المسلمين فأخذهم أسرى.

ثانياً : الفتح الإسلامى لجزيرة صقلية فى عصر الأغالبة

كان الروم يُغِيرون على سواحل تونس من قواعدهم في جزيرة صقلية، وسبَّب هذا الأمر خسائر كبيرة في صفوف المسلمين، وكان المسلمون يردُّون عليهم بغارات مماثلة، واستمرات محاولات المسلمين للإستيلاء على جزيرة صقلية حتى تم عقد هدنة مع بنى الأغلب[٢] فى عهد إبراهيم بن الأغلب (١٨٤-١٩٦هـ/٧٩٩-٨١١م)[٣]، وترجع أسباب الفتح نتيجة لقيام رجلا اسمه فيمي Euphemius[٤] بثورة على قسطنطين بطريق صقلية وأخفق فيها، فأراد البطريق أن يقبض

(١) لمزيد من التفاصيل عن محاولات المسلمين لفتح صقلية أنظر : ابن الأثير : الكامل، ج٤، ص٤٠٤- ٤١٦؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ٥٢؛ ابن خلدون : تاريخه، ج ٤، ص٢٤١؛ إيمان فؤاد على أحمد الجويلى : صقلية فى عهد الأسرة الكلبية (٣٣٦-٤٤٤هـ/٩٤٨-١٠٥٢م رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة جنوب الوادى ، ٢٠٠٤، ص١٢- ٢٣..

(٢) تمت هذه الهدنة ومعاهدة صلح فى عهد إبراهيم بن الأغلب (١٨٤-١٩٦هـ/٧٩٩-٨١١م) وأبرمها مع البيزنطيين بقيادة قسطنطين البطريق سنة (١٩٠هـ/٨٠٥م)، فى صقلية ومدتها عشر سنوات، ثم جددت المعاهدة فى سنة (١٩٨هـ/٨١٣م) فى عهد أبو العباس عبد الله بن إبراهيم الأغلب (١٩٦-٢٠١هـ/ ٨١١-٨١٦م) والى إفريقية وكانت مع جريجورى البطريق وانتهت فى ٢٠٤هـ/٨١٩م . المالكى : رياض النفوس ،دار الغرب الإسلامى، بيروت ١٩٩٤م ،ج١، ص١٨٦ ؛ فازيليف : العرب والروم ، ترجمة محمد عبد الهادى شعيره، دار الفكر العربى، القاهرة، ص٧٥ .

(٣) إبراهيم بن الأغاب : هو إبراهيم بن سالم بن عقال أبو اسحاق اليمنى ،تولى أفريقية من قبل هارون الرشيد الخليفة الأموى ، وكان عالماً وابتنى مدينة العباسة واستطاع القضاء على الفتن الداخلية فى أفريقية، توفى سنة (١٩٦هـ/٨١٢م). ابن وردان : تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق : محمد زينهم عزب ، مكتبة مدبولى، القاهرة: ١٩٨٨م ، ص٤٥-٥٠؛ القيروانى : تاريخ أفريقية، ص ص ٢٦-٣١.

(٤) يوفيموس : قائد الاسطول البيزنطى فى صقلية ، لديه نزعة استقلالية عن البيزنطيين ، وخطف راهبة تدعى مونتيرا Monowtire من الدير، فأمر الأمبراطور بإعتقاله، وجدع أنفه ، فقام بمؤامرة وفكر فى اللجوء للمسلمين،

عليه ويعذبه بأمر من حكومة القسطنطينية ، فلجأ فيمي إلى بني الأغلب، يطلب منهم المعونة رغم وجود الهدنة بين الجانبين ، لذلك جمع زيادة الله بن الأغلب (٢٠١-٢٢٣هـ/٨١٦-٨٣٨م) [١]، وجوه أهل القيروان وفقهائها، وفيهم أسد بن فرات[٢] وسحنون الفقيه، واستشارهم في الأمر فانقسم الناس فريقين: أقلية معتدلة متريثة لا ترى الغزو ولا تشير به، فيها سحنون الذي سأل المجتمعين كم بينها وبين بلاد الروم، قالوا: يروح الإنسان مرتين وثلاثة في النهار ويرجع قال: ومن ناحية إفريقية؟ قالوا يوم وليلة قال لو كنت طائراً ما طرت عليها .

وأم الفريق الآخر فكان متحمساً للغزو ، ويعدون القيام به جهاداً في سبيل الله، وإعزازاً لدينه، وغلب سحنون على رأيه، وبقي أمر الهدنة ، فوجد أسد بن الفرات المخرج منها حيث رأى أن يسأل رسل الصقليين ليعرف هل لديهم في صقلية أسرى من المسلمين،وحلت العقدة حين أقر الرسل بوجود الأسرى من المسلمين في صقلية، فقرر زيادة الله وقواده فتح صقلية [٣]، وكان على رأس جيش الفتح القاضى الفقيه أسد بن الفرات، وتم تجهيز الجيش من سبعين مركبا تحمل عشرة آلاف مقاتل منهم سبعمائة فارس، وكان الجيش مزيجا من العرب والبربر ، ومعهم مراكب فيمي، وفى يوم السبت منتصف (ربيع الأول ٢١٢هـ يونيو ٨٢٧م)، أقلع الأسطول الإسلامى من مدينة سوسه بقيادة أسد بن الفرات وكان عمره سبعون عاماً قاصداً صقلية، فدخل جيش أسد بن الفرات صقلية من الجهة التي دخلها منها الفينيقيون (مدينة مازار Mazzr) يوم الثلاثاء بعد ثلاثة أيام من الإبحار وهى أقرب المدن إلى ساحل أفريقية استولَّى أسد على العديد من القلاع أثناء سيره؛ مثل: قلعة بلوط والدب والطواويس، حتى وصل إلى أرض المعركة فواجه حاكم صقلية (بلاتريوس وتُسَمِّيه المصادر الإسلامية بلاطه)، الذى أقبل في جيشٍ عدته مائة ألف مقاتل ، فقام أسد بن الفرات

لدخولهم صقلية وانتزاعها من البيزنطيين٠ مارتينو مورينو : المسلمون فى صقلية ص ٧؛ فازيليف : العرب والروم ، ص ٦٧-٦٨.

(١)زيادة الله الأغلب : ولاه على أفريقية الخليفة المأمون وكثرت الثورات فى بداية عصره ، ثم استتب الأمن فكان فتح صقلية الحقيقى فى عهده . ابن الآبار: الحلة السيراء ، ج٢، ص٧٩؛ ابن عذارى: البيان المغرب ، ج١، ص٦٥؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى ، مكتبة النهضة ،القاهرة: ١٩٨٦م، ج٢، ص٢١٦-٢٢٠؛ محمد الرفاعى ، وهاشم عبد الراضى: تاريخ المغرب، ص ص ١٣٦-١٤١ ؛ محمود إسماعيل: الأغالبة وسياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة: ٢٠٠٠م، ص ١٢٠-١٢٢م.

(٢)اسد بن الفرات: هو أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان مولى بنى سليم، ولد بحران سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م ، أصله من نيسابور ، وقدم مع والده إلى إفريقية ، ثم غادرها إلى المدينة المنورة ودرس الفقه على يد الإمام مالك ، وتتلمذ على يد أصحاب أبى حنيفة فى الكوفة وبغداد ، وأخذ عن علماء المدرسة الفقهية فى مصر ، ثم عاد للقيروان وتولى القضاء بها سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م ، ويشاركه القاضى أبى محرز، ومن مؤلفاته الفقهية الأسدية، . المالكى: ريا ض النفوس ، ج١، ص١٨٧؛ القاضى عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، تحقيق محمد سالم ، دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٩٨م .

(٣) ابن الأثير: الكامل ، ج٦، ص ص ٣٣٤-٣٣٥؛ عصام عبد الرؤوف الفقى : تاريخ المغرب والأندلس ،(القاهرة: مكتبة نهضة المشرق)ص ١٢٤.

خطيباً وهو يحمل اللواء في يده لرفع حماسة المسلمين ، ثم أخذ يتلو آيات من القرآن، ثم اندفع للقتال ، فدارت معركة طاحنة لا يُسمع منها سوى صوت قعقعة السيوف وصهيل الخيول، والتكبير الذي يخترق عنان السماء، ونجح المسلمين فى هزيمة الجيش الصقلي شرَّ هزيمة، وفرَّ بلاطه من أرض المعركة، وانسحب إلى مدينة قَصْرِيَانِه، ثم غلبه الخوف من لقاء المسلمين ففرَّ إلى إيطاليا فقتلوه بسبب جُبنه وإحجامه عن قتال المسلمين، وجعل اسد ابن الفرات مدينة (مدينة مازار Mazzr) قاعدته التى ينطلق منها الجيش إلى باقى الجزيرة، فغنم مغنائم كثيرة، وكان أسد قد يترك في كل حصن استولى عليه حامية تضبطه فقل عدد جيشه ،وحاول فتح سرقوسة. واستطاع أن يضيق عليها ويحرق مراكبها، مستعينا بأمداد من أفريقية والأندلس، ولكن اسطولا من القسطنطينية وصل لنجدتها، فحدث مالم يكن فى الحسبان فقد تفشى الوباء في المسلمين وهلك من جرائه كثيرون فيهم أسد بن الفرات نفسه، وذلك في شعبان سنة (٢١٣هـ= ٨٢٨م)، وَوَلِيَ الْأَمْرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْجَوَارِي، فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ شِدَّةَ الْوَبَاءِ وَوُصُولَ الرُّومِ، تَحَمَّلُوا فِي مَرَاكِبِهِمْ لِيَسِيرُوا، فَوَقَفَ الرُّومُ فِي مَرَاكِبِهِمْ عَلَى بَابِ الْمَرْسَى، فَمَنَعُوا الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْخُرُوجِ فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ أَحْرَقُوا مَرَاكِبَهُمْ وَعَادُوا، وَرَحَلُوا إِلَى مَدِينَةِ مِينَاوَ، (فَحَصَرُوهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) ، وَتَسَلَّمُوا الْحِصْنَ، فَسَارَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى حِصْنِ جَرْجَنْتَ، فَقَاتَلُوا أَهْلَهُ وَمَلَكُوهُ، وَسَكَنُوا فِيهِ، وَاشْتَدَّتْ نُفُوسُ الْمُسْلِمِينَ بِهَذَا الْفَتْحِ وَفَرِحُوا، ثُمَّ سَارُوا إِلَى مَدِينَةِ قَصْرِيَانَّةَ وَمَعَهُمْ فِيمِي، فَخَرَجَ أَهْلُهَا إِلَيْهِ، فَقَبَّلُوا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجَابُوا إِلَى أَنْ يُمَلِّكُوهُ عَلَيْهِمْ، وَخَدَعُوهُ، ثُمَّ قَتَلُوهُ" وتواصلت الأمداد من القسطنطنية التى استطاع المسلمين صدها ودخلوا مدينة قصر يانة ، وتوفى محمد بن الجورى أمير المسلمين ، وولى من بعده زهير بن غوث ، وبدأت الأمور تصعب على المسلمين بتفشى الوباء وانشغال زيادة الله بفتنة في الداخل وغزاة من الخارج، ونجح الروم بمحاصرة المسلمين فى مدينة مِينَاوَ، وَدَامَ الْحِصَارُ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَكَلُوا الدَّوَابَّ وَالْكِلَابَ، فَلَمَّا سَمِعَ مَنْ فِي مَدِينَةِ جِرْجِنْتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا هُمْ عَلَيْهِ هَدَمُوا الْمَدِينَةَ، وَسَارُوا إِلَى مَازَرَ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى نُصْرَةِ إِخْوَانِهِمْ، وَدَامَ الْحَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ دَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، وَقَدْ أَشْرَفَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْهَلَاكِ، وَإِذْ قَدْ أَقْبَلَ أُسْطُولٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْدَلُسِ، خَرَجُوا غُزَاةً، وَوَصَلَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَرَاكِبُ كَثِيرَةٌ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ مَدَدًا لِلْمُسْلِمِينَ، فَبَلَغَتْ عِدَّةُ الْجَمِيعِ ثَلَاثَمِائَةِ مَرْكَبٍ ، فَنَزَلُوا إِلَى الْجَزِيرَةِ، فَانْهَزَمَ الرُّومُ عَنْ حِصَارِ الْمُسْلِمِينَ وَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَسَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَدِينَةِ بَلَرْمَ، فَحَصَرُوهَا، وَضَيَّقُوا عَلَى مَنْ بِهَا، فَطَلَبَ صَاحِبُهَا الْأَمَانَ لِنَفْسِهِ وَلِأَهْلِهِ وَلِمَالِهِ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ، وَسَارَ فِي الْبَحْرِ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ الْبَلَدَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ. فتحوا بلرم سنة (٢١٦هـ /٨٣١م) وكان فتح بلرم خطوة كبيرة أدت إلى استيلاء على سائر الجزيرة، وكانت بلرم مدينة بحرية جيدة الميناء،

واتصالها بأفريقية سهل، ولذلك أصبح في استطاعتهم وأن يحصلوا على المؤن باستمرار من أفريقيا. ثم إن المنطقة حول بلرم خصبة يمكنها أن تزود عساكرهم بمؤن كثيرة، ولذلك اتخذها المسلمون قاعدة لهم ، فنجح المسلمون فى الإستيلاء على مدينة مسينا Masina فى سنة (٢٢٨هـ/٨٤٢م) ،وهى قاعدة بحرية لها أهمية كبرى ، وفى سنة (٢٣١ هـ/ ٨٤٥م) ، زادت هجمات العرب على إقليم نوطس فاحتلت مودقة، وفى السنة التالية فتحت لثنى وفى عام (٢٣٥هـ/٨٤٩م) دخل العرب قصريانه Castragiounna [١]

ونجح أبو العباس بن الفضل(٢٣٦-٢٤٧هـ/٨٥١-٨٦١م) فى ولايته بفتح الكثير من مدن صقلية وقلاعها ،وأخذت السرايا تخرج كل يوم فتغير في انحاء الجزيرة، وترجع محملة بالرقيق والغنائم ،و أهم ما فتحه أبو العباس بثيرة وقطانية وطبرمين، وفى رمضان سنة (٢٤٤هـ/ يناير ٨٥٨م) فتح العباس قصريانة بخيانة أهلها ،وَهِيَ الْمَدِينَةُ الَّتِي بِهَا دَارُ الْمَلِكِ بِصِقِلِّيَةَ، وَكَانَ الْمَلِكُ قَبْلَهَا يَسْكُنُ سَرْقُوسَةَ، فَلَمَّا مَلَكَ الْمُسْلِمُونَ بَعْضَ الْجَزِيرَةِ تَمَّ نَقْلُ دَارِ الْمَلِكِ إِلَى قَصْرُيَانَه ؛ لِحَصَانَتِهَا. حيث أقام العباس ثلاثة أشهر حول قصريانة، يقتل ويصيب ويغنم، ونجح المسلمون فى أسر رجل كان له عند الروم قدر ومنزلة فلما راى هذا الرجل أنه مقتول، طلب إلى العباس أن يستبقيه ووعده بأن يسهل للمسلمين فتح قصريانة؟ كان الوقت شتاء والثلج قد غطى البقاع، وأهل قصريانة آمنون من قصد المسلمين وغير مستعدين للقاء، فأرسل العباس مع الرومي نحو ألفي فارس من عسكره، فدلهم على المدخل إلى المدينة، فدخلوا ووضعوا السيف في الروم وفتحوا الأبواب، ولما دخلها العباس بني فيها مسجداً ونصب فيه منبراً وخطب فيه الجمعة، وقتل من فيها من المقاتلة وأسر من فيها من بنات البطارقة بحليهن، وأصابوا فيها ما يعجز الوصف عنه، واهتزت لسقوط المدينة القسطنطينية، فأرسلوا أسطولاً ليثأر لها ففجأه المسلمون وقضوا عليه، والقسم الشرقي من صقلية قريب من القسطنطينية فنجد أن كثيراً من القلاع التي استسلمت للمسلمين انتقضت عليهم سنة ٢٤٦ هـ، مثل مدن (سَطْرُ، وَابِلًا، وابلاطنوا، وَقَلْعَةُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَقَلْعَةُ الْبَلُّوطِ، وَقَلْعَةُ أَبِي ثَوْرٍ، وَغَيْرُهَا مِنِ الْقِلَاعِ) وَسَارَ إِلَى قَلْعَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَقَلْعَةِ ابلاطنوا، فَحَصَرَهَا، فَأَتَاهُ الْخَبَرُ (بِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ عَسَاكِرِ الرُّومِ قَدْ وَصَلَتْ) ، فَرَحَلَ إِلَيْهِمْ، فَالْتَقَوْا بجفلودي، وَجَرَى بَيْنَهُمْ قِتَالٌ شَدِيدٌ، فَانْهَزَمَتِ الرُّومُ، وَعَادُوا إِلَى سَرْقُوسَةَ، وَعَادَ الْعَبَّاسُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَعَمَّرَ قَصْرُيَانَه، وَحَصَّنَهَا، وَشَحَنَهَا بِالْعَسَاكِرِ.وقام أبو العباس بن الفضل بمحاولة غزو على سرقوسة Siracousa ، وتوفى عندها فدفنه المسلمون هناك وجاء الروم فنبشوا القبر وأحرقوا جثته ،وتولى صقلية خفاجة بن

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٥، ص٤٩١؛ ابن خلدون : العبر ، ج٤، ص٢٥٤ .

سفيان الذى قام بدوره فى استكمال الجهاد ففى سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م فتح نوطس Notes وفى سنة ٢٥٤هـ /٨٦٨م وهزم البيزنطيين فى معركة بينهما قرب سرقوسة إلا أنه لم يتمكن من الاستيلاء على المدينة [١].

وفى ١٤ رمضان سنة ٢٦٤هـ/ ٢١مايو ٨٧٨م فتح العرب سرقوسة بعد سلسلة من المحاولات والمعارك والتى دارت فى الأعوام السابقة ، وواجهت الفتوحات العربية لمدن صقلية الكثيرة من العقبات منها الفتن التى نشبت بين المسلمين على صقلية ، واستمرت محاولات الأمراء الأغالبة فى فتح صقلية أكثر من سبعين عاماً من الحروب شبه المتصلة وذلك بسبب المقاومة المزودجة التي يلقاها المسلمون ، فهم يواجهون القوات المحلية التي يقودها بطريق صقلية، ويواجهون الجيوش والأساطيل التي ترسلها حكومة القسطنطينية لتدافع عن الجزيرة. وكانت أعنف مراكز المقاومة ثباتاً هي قصريانة وسرقوسة وطبرمين ومنطقة دمنش، واستولى المسلمون على مسينة فانفتحت أمامهم الطريق إلى جنوبي إيطاليا، استطاع فيها المسلمون أن يقضوا على حكم البيزنطيين فى هذه المنطقة، ويحكموا هم قبضتهم على جزيرة صقلية"[٢].

ثالثاً : **<u>التقسيم الإدارى لجزيرة صقلية بعد الفتح الإسلامى :</u>**

كانت جزيرة صقلية تنقسم إلى ولايتين منذ عصر الفنيقيين ثم البيزنطيين، وهما بلرم وسرقوسة وكانت مدينة سرقوسة عاصمة للجزيرة، ومنذ الفتح الإسلامى للجزيرة سنة (٢١٢هـ/ ٨٢٧م) تغير التقسيم الإدارى إلى ثلاثة أقسام أو ولايات بما يتلاءم مع موقع الجزيرة ومساحتها، فأتخذ المسلمون مدينة (بلرم Palermo) عاصمة للجزيرة لأنها محصنة طبيعياً والجبال تحيط بها من شرقها وغربها فاتخذت مقراً للوالى[٣].

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٦، ص١٣٦- ١٣٨؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ص ١١٩-١٢٠؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٣، ص ١١٥-١١٦.

(٢) القيروانى : تاريخ إفريقية ، ص٥٨؛ سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٧٩م ، ص ٢٣٧-٢٤٣؛ إحسان عباس : العرب في صقلية ،ص ٢٩.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض، ج١، ص ١١٨؛ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٣، ص ٤١٨ ؛غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٠٨؛ حامد زيان غانم: الحضارة اسلامية فى صقلية، ص ٤٥ ؛أمين توفيق الطيبى: دراسات فى تاريخ صقلية، ص ١٤٦..

وظلت بلرم عاصمة للمسلمين ومركزاً للإدارة طوال فترة حكم الأغالبة وحتى فى العصر الفاطمى، إلا أن والى الجزيرة (الخليل بن إسحق) قام بتشييد مدينة خارج بلرم لتكون عاصمة جديدة، أخذ خليل يهدم أسوار بلرم، ويبني عند المرسي مدينة ويحصنها، وهي التي سماها " الخالصة " وأرهق الناس في أعمال البناء (٣٢٩هـ/٩٤٠م) ، فأصبحت المدينة الجديدة مركزاً للإدارة، ومقراً للوالى والدواوين، وبها مخازن السلاح، وكافة أجهزة الدولة الأخرى، أحاط الولاة الخالصة بسور من حجارة وبه أربعة أبواب تشرف على جهاتها الأربعة(وهى باب كتامة، وباب الفتوح، وباب البنود، وباب الصناعة) ،وفى سنة (٤٣١هـ/١٠٣٩م)عادت بلرم عاصمة للجزيرة مرة أخرى ومقراً للحكم ودواوين الإدارة، واستمرت حتى دخول النورمان، الذين اتخذوها عاصمة لهم وأحيطت بلرم والخالصة سور واحد [١] .

ثم تأتى مازر لتكون ثانى هذه الولايات، وكان بها أكبر عدد من المسلمين ولعل هذا يرجع إلى قربها من إفريقية، أما عن ثالث هذه الولايات فهى ولاية نوطس فى الوسط، وقد ظل هذا التقسيم الإدارى للجزيرة حتى إرتقاء الكلبيين لعرشها وكان على رأس كل ولاية من هذه الولايات الثلاث عامل يعينه الوالى، كما كان لكل مدينة جاب يشرف على إدارة أمورها المالية، والمحاسبة، بالإضافة إلى عدد من الموظفين فى المجالات المختلفة[٢].

رابعاً : الفاطميون وحكم صقلية:

قضى عبيد الله المهدى(٢٩٨-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٤م)، على حكم الأغالبة فى إفريقية سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م، واستولى على ممتلكاتهم، بما فيها صقلية[٣]،ومنذ ذلك الحين نجد صقلية وشمالي أفريقية مسرحاً للتنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية، وأصبح أهلها يستغيثون بالعدو الخارجي طوال تاريخها وذلك بحكم موقعها، وسيكون هذا الأمر سبباً في القضاء على السيادة الإسلامية في أرجائها.

أقر عبيد الله المهدى (على بن ابى الفوارس ٢٩٦-٢٩٧هـ/٩٠٨-٩٠٩م) والياً على صقلية ثم ولي الحسن بن أبى خنزير الكتامى (٢٩٧-٢٩٩هـ/٩٠٩-٩١١م) من قبيلة كتامة

(١) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ١٦٨؛ ابن خلدون : العبر، ج٤، ص ٢٦٦؛ عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٣٤؛ عبد المنعم رسلان، الحضارة الإسلامية، ص ١٩٣.

(٢) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ١٧٦؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص٣٠٨.

(٣)ابن الأثير: الكامل : ج٧، ص ٧١-٧٢؛ ابن خلدون ، العبر، ج٣، ص ٧٦٩.

البربرية، وكان يميل للبربر على حساب العرب مما أدى إلى اندلاع الثورة فى عهده ، فعزلة المهدى وولى بدلا منه على بن عمر البلوى (٢٩٩-٣٠٠هـ/٩١٠-٩١١م)، وكان شيخاً كبيراً ، فقامت ضده ثورة كبرى عام ٣٠٠هـ/٩١١م، أطاحت بحكمه ، واختار أهل صقلية ابن فرهب (٣٠٠-٣٠٤هـ/٩١٢-٩١٦م) فرفض المذهب الشيعى ونادى بالمذهب السنى وخرج عن الفاطميين، فإذا به يستميل أهل صقلية، ويقنعهم بالثورة على المهدي والدعوة لبني العباس، ودعوة الناس إلى طاعة المقتدر فخطب له بصقلية وقطع خطبة المهدي . وكتب إلى المقتدر ببغداد أن يكون داعياً له وقائماً بأمره بجزيرة صقلية، فأنفذ المقتدر ذلك له، وبعث إليه بألوية سود ، ولما وصل إليه ذلك سر به، وأظهر الحزم والجد في أمره وهاجم الأسطول الفاطمى فى مرسى رمطة ، وصفاقس ، وطرابلس وأسر من الفاطميين نحو ستمائة رجل، وبلغ الأمر عبيد الله فأرسل جيشاً يدافع عن الأسطول، فظفر ابن هرقب به وغنم ما معهم. واراد ابن هرقب أن يغزو المهدي في عقر داره فبعث بأسطول إلى أفريقية، ولكن أسطول المهدي انقض عليه، وأخذ مراكبه، وطارت أحلام ابن قرهب ، فأعلن أهل صقلية العصيان وثأروا على ابن قرهب ودعوته العباسية ، وكتبوا إلى الخليفة المهدي، وحاول بن قرهب الهروب إلى الأندلس واكترى مراكب وشحنها متاعاً، فحال أهل صقلية بينه وبين ما أراد، وانتهبوا ما كان له وأسروه هو وابنه وقاضيه ابن الخامي، وبعثوا بهم إلى المهدي الذى وأمر بقتله [(١)]. ثم أرسل الخليفة (أبو سعيد مرسى المعروف بالضيف) للقضاء على ثورات أهل صقلية ، الذين أرادوا ان تكون الإمارة في أيديهم وأن لا يكون المهدي إلا اسم، فأرسلوا يطلبون منه واليا وقاضياً، ويشترطون شروطاً خاصة، وأن يتحكموا في الوالي كيفما طاب لهم، فجهز المهدى إليهم جيشاً من أهل كتامة ، وحاصروا العاصمة بلرم وقتلوا جملة من أهلها، عندئذ طلب أهل صقلية الأمان ودفعوا المحرضين على الفتنة، ثم ولى الخليفة الفاطمى (سالم بن راشد) وجعل له حراساً من كتامة ،وكان سالم مثال الوالي الظالم العسوف، فعهد بحكم المدن إلى ولاة غلاظ قساة، فثار الناس وخرج عليه أهل صقلية لظلمه وإساءته معاملتهم مما دفع الخليفة القائم بأمر الله (٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٤-٩٤٥م) ، لإرسال قوة عسكرية بقيادة خليل بن اسحق فاستقبله الناس بالشكوى، وظنوا أن الخلاص سيكون على يدي خليل ، ولكن سالم بن راشد خلا بهم وأفهمهم أن خليلاً جاء لينتقم منهم بمن قتلوا من عسكره، وتحقق لديهم صدقه حينما أخذ خليل يهدم أسوار بلرم، ويبني عند المرسي مدينة سماها " الخالصة " وأرهق الناس في أعمال البناء، فثار أهل مدينة جرجنت، وحصنوا مدينتهم واستعدوا للحرب، فسار إليهم خليل سنة ٣٢٦هـ/ وحاصرهم ثمانية أشهر ولم يخل يوم واحد فيه من

(١)ابن الأثير : الكامل، ج٧، ص٧٢، النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٦٥؛ المقريزى: اتعاظ ، ج١،ص١٦٨، ؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ، ص٥٨.

القتال، وسعى أهل جرجنت فألبوا عليه المدن الأخرى، و ثارت جميع القلاع وأهل مازر. وكاتب الجرجنتيون ملك القسطنطينية يستنجدونه فأمدهم بالمراكب فيها الرجال والطعام. وفزع خليل فاستنجد بالخليفة القائم فأمده بجيش كبير، فأخذ يحاصر القلاع، حتى سنة ٣٢٩، فسار كثير من أهلها إلى بلاد الروم، وتنصر أكثرهم، وطلب الباقون الأمان فأمنهم على أن ينزلوا من القلعة، فلما نزلوا غدر بهم وحملهم إلى المدينة، ولما عاد خليل إلى إفريقية أخذ معه وجوه أهل جرجنت وفي عرض البحر خرق بهم السفينة فغرقوا، ثم تولى بعدها عطاف الازدى الذى استضعفه أهل الجزيرة وثاروا عليه فى ٣٢٥هـ/٩٤٧م بقيادة بنى الطبرى[١]، وهذا ما دعى الخليفة المنصور (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م) (٢)، إلى توليت الحسن الكلبى أمر صقلية.

خامساً : - صقلية تحت حكم بني أبي الحسين الكلبيين

في سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م) تولى الحسن بن على الكلبى حكم صقلية [٣]، وهو من أسرة الكلبيين[٤]، صاحبة المكانة البارزة فى أعين الخلفاء الفاطميين ،وخاصة بعد أن أخلصوا للخلافة الفاطمية وأظهروا تفانيهم فى خدمتها وخصوصا عندما قامت هذه الأسرة بالدور المؤثر بزعامة الحسن بن على الكلبى وأخيه عمار من أجل القضاء على ثورة ابن كيداد حتى أن الخليفة الفاطمى المنصور كافأهم بمنحهم حكم صقلية وجعلها ملكاً وميراثاً يتبادلونها خلفاً عن سلف .

أ- الحسن بن على الكلبى والقضاء على بنى الطيرى

(١)ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج١، ص٣٠٢؛ ابن الأثير :الكامل ، ج٨، على ١٥٨؛ ابن عذارى : البيان ، ج١، ص١٧٤؛مجهول: تاريخ صقلية حين دخلها المسلمون ، أمارى المكتبة الصقلية(بغداد : ليبسك ١٨٥٧م) ص١٩٥.

(٢) الخليفة المنصور: تولى أمور الخلافة بعد وفاة والده فى ٣٣٤هـ/٩٤٥م، وكان عمره قد تجاوز الثلاثين ، حيث كان مولده فى العشر الأوائل من شهر رمضان سنة ٣٠١هـ/٩١٣م، أبريل ٩١٤ بالقيروان، ؛المقريزى : الاتعاظ ، ج١، ص ص ٩٣-٢٣٥ ؛إدريس : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار (بيروت: دار الغرب الإسلامى) ص ص ٣٣٨-٣٣٩. سعد زغلول ، تاريخ المغرب ، ج٢، ص١٨٥.

(٣)ابن الأثير : الكامل ؛ ج٧، ص ٢٢٦-٢٢٧، النوبرى: نهاية الأرب ، ج٢٤، ص١٦؛ عبد المنعم ماجد: العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، (بيروت: الجامعة العربية ،١٩٦٦م)، ص٨١.

(٤) الكلبيين : سطع نجم الكلبيين على يد على بن أبى الحسين الكلبى والذى يعد من المع محاربى الجيش الفاطمى فى صقلية ، وممن استشهدوا فى جرجنت عام ٣٢٦هـ/٩٣٧م ، ثم جاء أبناؤه من بعده وعلى راسهم الحسن ابن على وأخيه عمار، ليؤسسا لهما وللأسرة الكلبية مكانة بارزة فى أعين الخلفاء الفاطميين خاصة بعد النجاح الذى حققه الأخوان الحسن وعمار فى القضاء على فتنة للبربر بتونس عام ٣٣٣هـ /٩٤٤م ، وكذلك القضاء على ثورة أبى يزيد مخلد ابن كيدار التى شهدتها بلاد المغرب ضد الحكم الفاطمى عام ٣٣٣هـ/٣٤٣-٩٤٤م.المقريزى : اتعاظ ، ج١، ص ٧٥ ؛ عصام الدين عبد الرؤوف الفقى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ،دار الفكر العربى ،القاهرة ١٩٩٩م، ص١٨٠.

وفور وصول الحسن الكلبى إلى مدينة مازر سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م) واجه أطماع السادة المحليين وعلى رأسهم آل الطبري وهم قبيلة تنحدر من أصل فارس [١]. فأستطاع الحسن بدهائه فذ أن يفسد خططهم وذلك بإستقطابه وكل من يريد العافية و كل منحرف عن بني الطبري، وبدأ ال الطيرى مخططهم فى حكم صقلية ، بتوجه جماعة منهم على رأسهم محمد بن عبد ربه ، ومحمد بن الطبرى، إلى إفريقية لمقابلة الخليفة الفاطمى المنصور [٢]. متوددين إليه ليمنحهم حكم صقلية ، ، وعندما فشل بنوا الطبرى فى الحصول على حكم صقلية من قبل الخليفة الفاطمىدبروا مؤامرة لقتل الحسن الكلبى ، حيث أرسلوا إليه وفداً من قبلهم يحمل فى ظاهره الترحيب وفى باطنه الغدر ، حيث كان هدفهم من هذه الزيارة معرفة عدد جند الحسن وعتاده. وعندما علموا بقلة جنوده أخبروه بأنهم سيقدمون عليه فى صباح اليوم التالى، مصطحبين معهم باقى وفود أعيان المدينة لتقديم فروض الولاء والطاعة ، ولكن الحسن بن على الكلبى فطن لما يدبرونه وأنهم يريدون بقاءه لقتله، ولذا سارع الحسن بالخروج من مدينة مازر متجها صوب قرية البيضاء، فى مدخل بلرم التى استقبله بها حاكمها وأهلها أحسن استقبال ، أدرك عندئذ بنو الطبرى ضعف موقفهم بعد محاولاتهم البائسة فى القضاء على الحسن الكلبى ، فلم يجدوا بدا من إرسال وفد على رأسه إسماعيل الطبرى زعيمهم لاستقبال الحسن [٣]. ولكن لا يعنى أن بنى الطبرى قبلوا الحسن الكلبى حاكماً عليهم ، وليس أول على ذلك من محاولتهم اغتيال الحسن وإثارة أهالى الجزيرة عليه ، ولكن الحسن بذكائه السياسى المعهود استطاع القضاء على هذه الفتنة ونجح فى تجميع الناس حوله،وأرسل إلى الخليفة المنصور يعلمه بسوء مسلك آل الطبرى ومؤامراتهم فرد عليه الخليفة مطمئنا إياه بأنه ألقى القبض على من بإفريقية من بنى الطيرى، وأوصى الحسن بن على الكلبى بأن يقضى عليهم بالجزيرة وعلى رأسهم زعيمهم إسماعيل الطبرى ، وقد تم للحسن هذا بالفعل حيث دعا إليه إسماعيل الطبرى وجماعته لقضاء يوم فى بستانه الخاص، وهناك تم القبض عليهم حيث وجه إليهم تهمة إثارة الفتن والثوات ضد الحكم الفاطمى ، وقام بقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم، كما صُدرت أموالهم وممتلكاتهم[٤]

وبالقضاء على فتنة إسماعيل الطبرى واتباعه استقرت أوضاع الجزيرة الداخلية ثبتت الحسن قدمه في المدينة، و قبض على أهل الفتنة وصادر أموالهم .و أجرى الله على يديه من العدل

---

(١) عزيز أحمد :تاريخ صقلية الإسلامية،ص١٧.
(٢) ابن الأثير :الكامل ،ج٧، ص٢٢٣؛ الصيرفى: تريخ دولة الإسلام ، ج٢، ص٤٢٧.
(٣) ابن الأثير : الكامل، ج٧، ص٢٢٣؛ ابن خلدون : العبر ، ج٤٠، ص٢٩٧؛ إحسان عباس، العرب فى صقلية ، ص٢٤٤. سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربى، ج٣، ص٢٦٤-٢٦٥.
(٤) ابن الأثير : الكامل، ج٧، ص٢٢٣، ابن خلدون : العبر ، ج٤٠، ص٢٩٧، إحسان عباس: العرب فى صقلية ، ص٤٥...

وظهور الخير ومن ثم فقد توجه الحسن بن على لمهمة أكثر خطورة والتى تجلت فى الجهاد ضد البيزنطيين [١].

ب - دور الكلبيين فى الصراع البيزنطى الفاطمى

كان لموقع جزيرة صقلية فى البحر المتوسط أثر فعال فى مجال العلاقات السياسية بين الجانب الإسلامى والجانب الغربى متمثلا فى (الدولة البيزنطية من ناحية والقوى الأوربية) فى الغرب الأوربى من ناحية أخرى، فقد حرص الفاطميون منذ بداية حكمهم لصقلية على سياسة الهجوم والمستمر على المدن والقلاع الواقعة تحت السيطرة البيزنطية فى إيطاليا ، حيث كلف الوالى يعقوب ابن اسحق بمواصلة النشاط الحربى ضد البيزنطيين حيث نجح فى فتح مدينة جنوة كبرى مدن جنوب إيطاليا ثم توقف النشاط الفاطمى الصقلى فى إيطاليا مدة خمس عشرة عام (٣٢٥-٣٤٠هـ/٩٣٦-٩٥١م) ، نتيجة الاضطرابات التى سادت صقلية والثورات التى قام بها أهلها على الولاة الفاطميين ، حتى جاء الحسن بن على الكلبى ليعتلى حكم صقلية فعاد الأمن والهدوء إلى الجزيرة. وأعاد النشاط العسكرى ضد البيزنطيين، حيث تصاعد النزاع بني الحسن الكلبى ومسيحى صقلية الذين طلبوا النجدة من الامبراطور البيزنطى قسطنطين السابع بورفير جينتوس (٣٠١-٣٤٨هـ/٩١٣-٩٥٩م) بعدما قيامهم بدفع جزية متأخرة قدرت بثلاث سنوات ، فما كان إلا أن لبى ندائهم إذ وجد فى ذلك فرصة ذهبية لإعادة السيطرة البيزنطية على الجزيرة ، فأرسل الامبراطور البيزنطى قسطنطين السابع على الفور جيشاً بيزنطياً وضع قيادته تحت أحد البطارقة وهو السردغوس باسكاليوس قائد قلورية (كلابريا) [٢]

فأدرك الحسن بن على خطورة مقدم الجيش البيزنطى نحو الجزيرة ، فطلب النجدة العاجلة من الخليفة الفاطمى المنصور فأمده الأخير بجيش مكون من سبعة آلاف فارس وثلاثة آلاف وخمسمائة راجل، تقابله على الجانب الآخر أسطولاً بحريا، ووضعت كل هذه القوات تحت إمرة القائد الفتى (فرج الصقلى مولى المنصور) ، واتجهت القوات صوب مدينة مسينا Massana فاستولى عليها ثم سار الحسن بعد ذلك متقدماً نحو(قلورية وريور) وحاصر جراجه حصاراً شديداً حتى

---

[١] سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ج٣، ص٢٦٧؛ صابر محمد دياب: المرجع السابق، ص ص ١٤٩-١٥٠، عبد المنعم ماجد ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها فى مصر ،دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م ، ص٢٨١.

[٢] ابن الأثير :الكامل ،ج٧، ص٢٢٤، حسن إبراهيم حسن تاريخ الدولة الفاطمية ، ص١٠٥ ؛ أرشيبالد لويس ، مرجع سابق ، ص١٣٩.

أشرف أهلها على الهلاك، ولم ينقذهم من هذا الحصار سوى تقدم القوات البيزنطية، مما دفع بالحسن بن على إلى مصالحة أهل جراجة مقابل دفعهم الجزية ولكى يتفرغ لقتال الجيش البيزنطى الذى أنسحب أمام القوات الإسلامية متقهقراً نحو مدينة بارة Bara طالبا الصلح فعقدت الهدنة بين الجانبين [١].

وفى سنة ٣٤٠هـ/٩٥٢م نقدت بيزنطة الهدنة مع المسلمين وذلك عندما قام أهل قلورية يطلب النجدة من الإمبراطور البيزنطى قسطنطين السابع للتخلص من النفوذ الإسلامى ، والذى قام بتسيير حملة بحرية بقيادة مكر وجاها رنس Mcrogaharns وحملة أخرى برية وضع قيادتها تحت يد ملجان مالكينوس malkinos Malgan بالإضافة إلى قوات قلورية تحت قيادة باسكاليوس Paskalios، والتقى بجيوش المسلمين عند مدينة جراجة ، ودارت معركة عنيفة أسفرت عن تفوق القوات الإسلامية على الجيش البيزنطى ، وتحقيق انتصارا ساحقا حيث قتل البطريرك ملجان مالكينوس، وهروب قائد قلورية باسكاليوس،بصعوبة بالغة كما غنم المسلمون من هذه المعركة مغانم كبيرة، من الأسلحة والعتاد وغيرها، كما استطاع الجيش الإسلامى فتح (رستة ولطره) وهما من أهم الحصون التى كانت واقعة تحت السيادة البيزنطية ، إلى جانب وقوع العديد من الأسرى الذين تم إرسالهم إلى إفريقية وجاء على رأسهم القائد البيزنطى مكروجوهارنس Mcrojahrns قائد القوات البرية والذى تم صلبة [٢].

وخرج الحسن بن على بحملة عسكرية سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م استطاع خلالها من فرض الحصار حول مدينة جراحة ، وأمام ذلك أضطر الإمبراطور البيزنطى قسطنطين السابع عقد معاهدة صلح مع القائد الحسن بن على ، وبناء على ذلك أرسل الإمبراطور البيزنطى أحد سفرائه وهو جان بلاطوس jean Plates إلى الحسن بن على وذلك لعقد معاهدة بين الطرفين ، ولعل أهم ما جاء فيها هو أن يقوم الحسن بن على ببناء مسجد كبير وسط ريو فى إيطاليا يقيم فيه المسلمون الصلاة ولا يمنعون من عمارته، ولا يدخله نصرانى ومن دخله من أسرى المسلمين فهو آمن وإن خربوا فيه هدمت كنائسهم جميعاً فى كل من صقلية و إفريقية ،ومن شروط هذه المعاهدة يتضح لنا مدى قوة مركز الحسن بن على، ونجاح سياسته الخارجية مع البيزنطيين بحيث أنهم وافقوا على مطالبة دون قيد أو شرط[٣] .

---

[١] ابن الأثير: الكامل ،ج٧،ص٢٢٤، ؛ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى، ج٣، ص٢٦٦.
[٢] ابن الأثير: المصدر السابق ،ج٧،ص٢٢٤، سعد زغلول : المرجع السابق، ج٣، ص٢٦.
[٣] ابن الأثير: الكامل ،ج٧،ص٢٢٤-٢٢٥؛ ابن خلدون العبر: ج٤، ص٢٦٧؛ حسن إبراهيم: حسن تاريخ الدولة الفاطمية ، ص١٠٠ ؛ تاريخ المغرب العربى، ج٣، ص٢٦٧ - ٢٦٨.

ورغم ذلك لم تخرج جزيرة صقلية عن دائرة اهتمام الدولة البيزنطية، فكانت تتحين الفرص لاستردادها ، ومن أجل ذلك فقد أرسل الإمبراطور البيزنطى قسطنطين السابع سفارة بيزنطية إلى الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر فى سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م، قد جاء هذا التحالف البيزنطى الأموى لتوحيد جهود الدولتين لوقف النشاط الفاطمى، وخاصة فى البحر المتوسط ، كما يهدف الاتفاق كذلك إلى قيام الأسطول البيزنطى بمهاجمة المناطق الخاضعة لسيطرة الفاطميين على السواحل الإفريقية ، وفى الوقت ذاته تتقدم البحرية الأندلسية بمهاجمة الممتلكات الفاطمية الواقعة غرب البحر المتوسط، ولعل هذا التحالف البيزنطى الأموى يعد نقضاً صريحاً للهدنة التى سبق أن أبرمها البيزنطيون مع الدولة الفاطمية ، مما دفع بالأخيرة لرفع أقصى درجات الاستعداد لمواجهة هذا التحالف [١].

وعاد الاحتكاك العسكرى بين البيزنطيين والمسلمين فى سنة (٣٤٧هـ/ ٩٥٨م) ، وكان ذلك عندما قام باسيل Basil أحد القواد البيزنطيين بهدم مسجد مدينة ريو، واستولى على مدينة ترمينى Tarmini، مما أدى لتحرك الأسطول الإسلامى الذى نجح فى مهمته ، ولكنه دمر أثناء عودته فى ٣٤٨هـ/٩٥٩م، لتعرضه لرياح عاصفة،وفى عام ٣٥١هـ/٩٦٢م استطاع أحمد الكلبى من إعادة فتح طبرمين Tarmina ، وحاصر مدينة رمطة فى سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م فاستنجد أهلها بالإمبراطور البيزنطى نقفور فوقاس Nicphocos (٣٥٢- ٣٥٩هـ/٩٦٣- ٩٦٩م) ، الذى أرسل لصقلية جيشاً عظيماً بلغ عدده أربعين ألفاً وضع قيادتها تحت يد القائد البطريرك نيقتاس Nicetas ومعه مانويل Manuol ابن أخ الإمبراطور قائد لفرقة الفرسان كما انضمت إلى هذه القوات أيضاً أعداداً كبيرة من السفن الحربية [٢].

وعندما علم أحمد بن الحسن الكلبى والى صقلية بكل هذه الأعداد الغفيرة للقوات البيزانطية أسرع فى طلب العون من الخليفة المعز لدين الله ، الذى أرسل إليه على الفور جيشاً فاطمياً بقيادة

---

[١] ابن عذارى: البيان المغرب، ج١، ص٢٤٧؛السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادى: تاريخ البحرية فى حوض البحر المتوسط فى المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ١٩٩٣م ، ج٢، ص١٤٠؛ صابر محمد دياب : سياسة الدول الإسلامية فى حوض البحر المتوسط، ص١٥٢.

[٢] ابن الأثير : الكامل ، ج٧، ص٢٨٤؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٧٠؛ المقريزى: المقفى،ج٣، ص ص٤٣٥- ٤٣٦؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١١-١٣؛ محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٢٨-٢٣٠.

الحسن الكلبى عام٣٥٢هـ/٩٦٣ ، وكان البيزنطيون فى هذه الأثناء قد وصلوا إلى مسينا ومنها توجهوا نحو رمطة. فبدأ المسلمون فى تنظيم صفوف قواتهم حيث قام الحسن بن عمار الكلبى ابن عم أمير صقلية ، بتقسيم الجيش الإسلامى إلى قسمين الأول: خصص مهمته فى حصار رمطة ولا يتركها وألا يسمح لأهلها بالاتصال بالبيزنطين . أما القسم الثانى فيتجه تحت قيادته لملاقاة الجيش البيزنطى قبل وصوله رمطة وقد وصلت المعلومات بكثافة الجيش البيزنطى وحسن تسليحه ، اشتبك الجيشان الإسلامى والبيزانطى فى معركة حاسمةاستبسال المقاتلين المسلمين فحلت الهزيمة بالبيزنطيين وقتل قائدهم مانويل Manuel وسقط المنهزمون فى حفرة، فقتل بعضهم البعض وبذلك كان الفتح لرمطة سنة٣٥٣هـ/٩٦٤م بعدما هلك من البيزنطيين أعداد كبيرة، وأسر منهم ألف أسير فيهم مائة بطريرك وكان منهم البرطريك نيقتاس ، وحيث حصد المسلمون أموالهم وسلاحهم ما لا يحصى عدده ، وترك حاكم صقلية عدد من المسلمين لنشر الدين الإسلامى على المذهب الشيعى بين أهل رمطة كما فعل من قبل فى طبرمين [١].

ورغم هزيمة البيزنطيين إلا أن فلولهم تجمعت لتلتقى فى معركة بحرية عنيفة مع المسلمين بقيادة أحمد بن الحسن الكلبى ، الذى استطاع أن يوقع بالبحرية البيزنطية هزيمة قاسية عام (٣٥٤/٩٦٥) بموقعة المجاز نسبة لخليج المجاز الذى يفصل بين صقلية و إيطاليا ،قتل فيها عددا كبيرا من القوات البيزنطية. ،وبتفوق الولاة الكلبيين العسكرى فى طبرمين ورمطة والمجاز أخذت المدن الثائرة فى صقلية تستلم الواحدة تلو الأخرى ، ولم يقف أثر هذه المعارك عند هذا الحد ، بل أننا نجد أن أهل كلابريا يعقدون هدنة مع أحمد الكلبى يتعهدون بمقتضاها بدفع الجزية للفاطميين، كما استغل المسلمون كذلك هذا النصر فهاجموا المدن الإيطالية وغنموا فيها مغانم كثيرة، فاضطر الإمبراطور البيزنطى نقفورفوكاس لعقد صلحاً مع الخليفة المعز لدين الله عام ٣٥٦هـ/٩٦٦م ، خاصة بعد ظهور الملك الألمانى أوتو الأول Otto I(٣٢٤-٣٦٢هـ/٩٣٦-٩٧٣م) فى إيطاليا ، الذى وضع نصب عينيه منذ توليته عرش الإمبراطورية الرومانية المقدمة هدفاً واحداً وهو إحياء إمبراطورية

[١] ابن الأثير : الكامل ، ج٧، ص٢٨٤؛ النوبرى : نهاية الأرب ،ج٢٤، ص١٠٢، محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربى القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص٢٣٥؛ محمد مرسى، الشيخ : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٢٣٨؛ سعد زغلول : تاريخ المغرب، ج٣، ص٢٧٣.

شارلمان على حساب الدولة البيزنطية ، هذا مما دفع بالإمبراطور البيزنطى نقفور إلى طلب الصلح مع المسلمين، فأرسل الإمبراطور البيزنطى نقفورسفيرا من قبله يدعى نيقولا Nicola لعقد هدنة مع الخليفة المعز لدين الله فى ٣٥٧هـ/٩٦٧م ، ووافق المعز على هذا الصلح ، لأنه أراد أن أن يأمن جانب البيزنطيين حتى يتفرغ ويلقى ثقله كله فى الاستعداد لتجهيز جيش إلى مصر وأخذها من الإخشيدينوبموجب هذا الصلح تقرر تنازل المعز عن كل من مدينتى طيرمين ورمطة فى صقلية للبيزنطيين ، وكان لهذا التنازل أثر كبير فى سخط مسلمى صقلية ، ويبدو أن والى صقلية أحمد بن الحسن الكلبى كان غير راضى عن ذلك ، لأنه والمسلمين بذلوا جهداً عظيماً فى فتحها فلم يكن من السهل على أحمد بن الحسن ، وأهل صقلية المسلمين التفريط فيها بهذه السهولة ولكنه كان مضطراً لتنفيذ أوامر المعز لدين الله، عدما أقدم على إحراق كل عمره المسلمون فى المدينتين قبل تسليمها للبيزنطيين كى لا يستخدمها الأخيرين فى مهاجمة المسلمين بصقلية[١].

امر المعز بتولية الأمير أحمد بن الحسن الكلبى قيادة الأسطول الفاطمى المتجه إلى مصر ، كما أنه أبقى محمد بن الحسن بن الكلبى فى البلاط الفاطمى فى القاهرة ، مثلما كان فى المنصورية وعين جعفر الكلبى وزيراً له أيضاً، فى الوقت الذى قام فيه بتولية يعيش موالى الحسن الكلبى على صقلية، فى هذه الأثناء ثارت فتنة كبيرة بالجزيرة بين قبيلة كتامة وبعض القبائل الأخرى بسبب تنظيم العمل بدار صناعة السفن فى بلرم ،استطاع أبا القاسم على بن الحسن الكلبى، القضاء على هذه الثورة عام ٣٥٩هـ/٩٦٩م[٢].

ج - محاولات البيزنطيين استرداد صقلية بعد وفاة الإمبراطور البيزنطى (نقفور) :

تعددت محاولات البيزنطيين لإسترداد جزيرة صقلية وخاصة بعد وفاة الإمبراطور البيزنطى (نقفور فوقاس Nicphore phace)، وتولية (يوحنا تزيميسكس (٣٥٩-٣٦٦هـ/٩٦٩-٩٧٦م) الذى أخذ على عاتقه إعلان الحرب ضد الفاطميين وباتوا يشكلون خطراً كبيراً على أملاك

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج٧، ص٢٨٤؛ النويرى : نهاية الأرب ،ج٢٤، ص٢٧٤، السيد عبد العزيز سالم ، أحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية فى حوض البحر المتوسط ، ج٢، ص ١٤٠ - ١٤١؛ أحمد توفيق المدنى : المسلمون فى جنوب إيطاليا وصقلية ، ص١٥١ . سعد زغلول : تاريخ المغرب، ج٣، ص ٢٧٤؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٠٤ .

(٢)ابن الأثير: الكامل ،ج٧، ص٣٩٧؛ إحسان عباس : العرب فى صقلية ، ص٤٧، عزيز أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ص٣٨|؛سعد زغلول : تاريخ المغرب، ج٣، ص ٢٧٥.

الإمبراطورية البيزنطية فى الشرق[١]. وأصبح الصراع برا وبحرا بعد أن كان فى معظمه بحرياً، ولقد انعكست أثار هذا الصراع أيضاً على صقلية، حيث تحرك البيزنطيون عند كلابريا وبالقرب من مضيق مسينا، فأصبحوا يهددون جزيرة صقلية، فتحرك الأمير أبو القاسم على بن الحسن على رأس جيش من صقلية و التقى بالبيزنطين فى معركة حاسمة ، مما دفع بالجيش البيزنطى للانسحاب نحو المجازالى كلابريا، فتقدم عندئذ أبا القاسم متعقباً أياه ، ولم يلبث أن اتجه شمالاً نحو كسنته casanta فى وادى كراتى Carti ، وأقام حولها الحصار عدة أيام حتى اضطر أهلها إلى طلب الأمان، مقابل دفعهم الجزية ، ثم اتجه أبو القاسم بعد هذا إلى قلعة جالو Galo ، وفى ذات الوقت : كان قد أرسل أسطولاً نحو أبوليا Apuluia ناحية بطنطة Bitanta فغنم المسلمون ، وأسر الكثير من البيزنطيين ، ثم عاد الأسطول وعلى رأسه أبو القاسم إلى بلرم للإستعداد لهجمة أخرى [٢] .

شنت القوات العربية الإسلامية هجماتها فى عام ٣٦٦هـ/٩٧٧م على جنوب إيطاليا، فهاجمت طارنت Taranto فأحتمى أهلها داخل أسوار ، التى تسلقها جيش المسلمين و استطاعوا فتح أبوابها ودخلها أبو القاسم فى النهاية و اثخن فيها، كما استولى أيضاً على سانت أجاثه Sant Agatho بالقرب من ريو وتكررت غزوات المسلمين فيما بين (٣٦٨-٣٧١هـ/٩٧٨-٩٨١م) على مقاطعتى كلابريا وبوليا Babalia حيث كانت دائما هدفا لحكام صقلية المسلمين ، واتجهت جماعات من المتطوعين المسلمين إلى كل من وادى البراندا Baranda وهاجموا جرافينا Gravina جنوب غرب بارى وعاد المسلمون بالغنائم والأسرى فتحرك الإمبراطور باسيل الثانى (٣٦٦-٤١٦هـ/٩٧٦-١٠٢٥) (٣) لطرد المسلمين من صقلية وجنوب إيطاليا وقد فشلت مخططاته وذلك لحروبه فى الغرب ضد البلغار والأرمن وفى الشرق ضد الحمدانيين والفاطميين [٤].

---

(١) ابن الأثير: الكامل،ج٧،ص٢٢٩؛ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص ص ٥١٠-٥١٤؛ المقريزى: اتعاظ ، ج١، ص١٢٨؛ محمود سعيد عمران :معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٠٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل ،ج٧، ص ٣٩٠-٣٩٩؛ عزيز أحمد: صقلية الإسلامية، ص٤١؛ سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى، ج٣، ص٣٧٨؛ محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الإمبراطورية، ص٢٠٧؛ محمد مرسى الشيخ : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٢٦٦..

(٣)باسيل الثانى Basile II : بدأ تولية عرش الإمبراطورية البيزنطية كشريك لأخيه قسطنطين الثامن ، و تفرد بالحكم سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م ، و قضى على الثورات والفتن الداخلية فى بلاده ،وقام بسلسلة حروب طويلة فى أوربا أشهرها حربه ضد البلغار. والتى استخدم فيها العنف والأضطهاد حتى أطلق عليه لقب (سفاح البلغار)، وتوفى عام ١٠٥هـ/١٠٢٥عن عمر يناهز الثامنة والستين عاماً. محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص٢١٥-٢٢٧ .

(٤) وسام عبد العزيز فرج : الإمبراطور باسيل الثانى ، ص١٦٩ وما بعدها .

أما الخطر الأكبر الذى واجه المسلمين فى صقلية تمثل فى الإمبراطور الألمانى أتو الثانىII otto (٣٦٣-٣٧٣هـ/٩٧٣-٩٨٣م). الذى ، فقام عام ٣٧١هـ/٩٨٢ بحصار قلعة إسلامية فى جنوب إيطاليا، وهزم المسلمين فى معركتين عسكريتين مما دفع بالوالى الصقلى أبو القاسم على بن الحسن الكلبى إلى التقدم فى قوة من جنده عابراً مضيق مسينا للقاء الألمان ، وعندما علم أبو القاسم بكثرة جند خصمه الألمانى فإنه تراجع ليعيد تنظيم صفوف قواته، ولكن الألمان لم يتركوا له تلك الفرصة. حيث تتبع الألمان الجيش الإسلامى ونجحوا فى عام ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م فى اختراق قلب صفوف القوات الإسلامية ، وقتلوا أبا القاسم الذى شهيداً فى ساحة المعركة ، مما أثار غضب المسلمين، فقاموا بالهجوم على الجيش الألمانى، فقتلوا منهم أربعة آلاف ، وأسروا عدداً كبيراً من قوادهم وغنموا مغانم كثيرة وفر الألمان أمام المسلمين فى دهشة من أمرهم وكان على رأسهم الملك أوتو الثانى Otto II الذى هرب إلى رسان Rassane ومنها اتجه إلى روما فى مركب بيزنطى [١] ،وباستشهاد أبى القاسم، اختار الجند أبنه جابر الكلبى (٣٧٢-٣٧٣هـ/-٩٨٢-٩٨٣م). ليتولى شئون الحرب والحكم فى صقلية ، بعد أن أقره عليها الخليفة الفاطمى العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) ، فظل على ولايتها لمدة عام واحد، ثم عزله الخليفة العزيز، لأنه ولم يكن ذا حزم، فاختلف عليه الجند، وكرهوا ولايته، لعدم قدرته على الإدارة شئون البلاد. [٢] .

وفى سنة (٣٧٣هـ/٩٨٣م) ، أرسل الخليفة الفاطمى بمصر العزيز بالله واليا جديداً على صقلية هو (جعفر بن محمد بن الحسن بن على الكلبى (٣٧٣-٣٧٥هـ/٩٨٣-٩٨٥م) وقد استمر جعفر فى ولايته على صقلية إلى أن توفى فى عام (٣٧٥هـ/٩٨٥م) بعد أن نشر الرخاء فى صقلية [٣]خلف جعفر فى حكم صقلية أخاه عبد الله بن محمد الكلبى (٣٧٥-٣٧٩هـ/٩٨٥-٩٨٩م) ، فأقام الجهاد ضد البيزنطيين فى الجنوب الإيطالى، حيث هاجم كالابريا وبعض المناطق القريبة منها الواقعة تحت حكم البيزنطيين وكذلك هاجمت السفن الإسلامية الصقلية مدينة كورنز Cornz فى جنوب إيطاليا ، وعاد عبد الله محملاً بالأسلاب والغنائم ، لذلك قام الإمبراطور البيزنطى

---

[١] ابن الأثير: الكامل ،ج٧،ص ٣٩٧؛ محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، ص ص ٢١٣-٢١٥.رأفت عبد الحميد : المشكلة الإيطالية فى السياسة الألمانية: الفكر السياسى الأوربى فى العصور الوسطى . ص١٥٦.

[٢] أبو الفدا : المختصر ، ج٢، ص٩٧؛ النويرى: نهاية الأرب ، ج٢٤، ص٣٧٦الزركلى : قاموس الأعلام ، ج٢، ص١٠٤.

[٣] ابن الخطيب: أعمال الأعلام ، ج٣، ص ص١٢٥-١٢٦؛ ابن أبى دينار:المؤنس، ص١٨٦؛ الزركلى : قاموس الأعلام ، ج٣، ص١٢٨.

باسيل الثانى إلى طلب الهدنة فأرسل إلى الخليفة الفاطمى العزيز بالله بذلك فوافق الأخير على طلبه ولكن الصلح لم يدم طويلاً، حيث استنجد الحمدانيون فى الشرق بالبيزنطى باسيل ضد الفاطميين مما دفع بباسيل إلى تلبية استغاثتهم ، ولعل هذا ما وتر العلاقات بين الدولة الفاطمية والبيزنطيين ، وعلى أثر ذلك توجه الكلبيون عام ٣٧٨هـ/٩٨٨م بالإغارة على مدينة بارى وعادوا منها محملين بالغنائم [١].

وفى تلك الأثناء توفى الوالى الصقلى عبد الله بن محمد فولى الخليفة الفاطمى ابنه أبا الفتوح يوسف بن عبد الله محمد الكلبى (٣٧٩-٣٨٨هـ/٩٨٩-٩٩٨م، و أنعم عليه الخليفة العزيز لقب " ثقة الدولة"، فضبط الجزيرة ، وأحسن إلى الرعية ودن له البيزنطيون بعد أن كبدهم خسائر فادحة نتيجة لهجومه على بلدة ماتيرا Matera واستيلائه عليها عام ٣٨٤هـ/٩٩٤م ، برغم مقاومة أهلها الشديدة؛ لقد ظلت البلاد فى عهده تنعم بالعدل والرخاء والأمان حتى أصابه الفالج (الشلل) فى جانبه الأيسر ، فألت الولاية إلى أبنه جعفر بن يوسف الكلبى(٣٨٨-٤١٠هـ/٩٩٨-١٠١٩م)[٢]

ولقد وتعاقب على صقلية من الكلبيين عشرة ولاة في مدة خمس وتسعين سنة شهدت في أثنائها تقدماً في الحياة العمرانية وفي العلوم والأداب، كما شهدت جهادهم المستمر في جنوب إيطاليا وفي مقاومة أطماع الروم في الجزيرة. وأخلدت صقلية إلى الهدوء وجنت من ذلك خير الثمار. وكان من أسباب هذا الهدوء انشغال الجند في اكثر الأوقات بالحروب في جنوبي إيطاليا، وإخلاص الكلبيين في الدفاع عن صقلية، واعتبار أنفسهم مستقلين استقلالا داخلياً في شؤون الجزيرة.

أوضاع السياسية لجزيرة صقلية فى عهد الأمير جعفر بن يوسف الكلبى

يعد عهد جعفر بن يوسف الكلبى (٣٨٨-٤١٠هـ/٩٩٨-١٠١٩م) من الأهمية بمكان بحيث أنه كان بداية النهاية لحكم الكلبيين فى صقلية، وذلك لما شهدته أرض الجزيرة على يديه من اضطرابات وثورات داخلية وحروب خارجية ضد البيزنطيين، منذ أن ولى أميراً عليها من قبل

---

(١) المقريزى :اتعاظ ، ج١، ص٨٥؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص٢٥٨؛ محمد جمال سرور : مصر فى عهد الدولة الفاطمية ، ص ١٦٧عزيز أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ،ص٣٩- ٤٠.

(٢) أبو الفدا : المختصر ، ج٢، ص٩٧، النوبرى: نهاية الأرب ، ج٢٤، ص٣٧٦ ، ابن الخطيب : الأعلام ، ج٣، ص١٢٩؛ عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية ، ص٢٨٥

الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)[١] الذى أنعم عليه بلقبى "تاج الدولة" و "سيف الملة" وأحاط الأمير جعفر الكلبى نفسه بكثير من الشعراء وقام بتشجيع العلماء والأدباء ، مما كان له أثر فى إعلاء شأن الأدب والفن بها وعلى الرغم من كل هذا فإن ثقافة الأمير جعفر، وتقدم شئون بلاطه، لم تحد من تصرفاته وسوء تدبيره؛ ضد أسرته الكلبية ، وليس أدل على هذا من الثورة التى قامت ضد الأمير جعفر بن يوسف الكلبى فى أول شعبان٤٠٨هـ/٢٥فبراير ١٠١٨م من قبل أخيه على بن يوسف، لسوء معاملتة لأفراد أسرته ، فتجمع حول على بن يوسف الكلبى جماعة من العبيد والبربر المناصرين له، وحاولوا الإطاحة بحكم الأمير جعفر إلا أنه استطاع بمعونة رجاله وخاصته القضاء على هؤلاء الثوار وقتل زعيمهم على بن يوسف الكلبى ، وقام بإتباع سياسة تعسفية متطرفة ضد أخوته وأهل بيته مما أضعف مركزه السياسى بالجزيرة بعد أن أمر بقتل العديد من جنوده لشكه فى ولائهم له، وقام بطرد البربر المشاركين فى هذه الثورة ومعهم أولادهم إلى إفريقية، فضعف بذلك شأنه وقل جنده[٢].

انفجرت ثورة عارمة فى المحرم ٤١٠هـ/ ١٠١٩م شارك فيها هذه المرة أهل صقلية عامة كبارهم وصغارهم وحاصروا قصر الأمير جعفر فى الخالصة (بلرم) مع أن أسباب تلك الثورة هذه المرة إنما ترجع إلى طغيان واستبداد محمد البغانى وزير الأمير جعفر بن يوسف ففى الوقت الذى كان فيه الأخير مهتماً بإحكام سيطرته على دواوين الحكم والإدارة فقد ترك الشئون المالية لوزيره محمد البغانى الذى استخدم ونفوذه منتهجاً سياسة قاسية فى جباية الضرائب ،ونتيجة لذلك اندلعت ثورة أخرى ضد الأمير جعفر بن يوسف الكلبى وبلاطه، وكاد الثوار أن يقبضوا عليه ويفتكوا به لولا خروج والده ثقة الدولة يوسف المفلوج إلى الثوار، وأخذ بلباقته ولطف حديثه أن يخلى بين الثوار وابنه جعفر، واعداً إياهم بالتصرف فى الأمر، فخلع الأمير جعفر وولى بدلاً منه أخاه الأمير أحمد بن يوسف المعروف بالأكحل، فوافق الثوار على ذلك، بعد أن أجمعوا عليه، أما جعفر فقد

---

[١] الحاكم بأمر الله : ولد بالقاهرة فى عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، وتولى الخلافة بعد وفاة والدة الخليفة العزيز بالله فى ٣٨٦هـ ،٩٩٦م، وكان عمره آنذاك إحدى عشر عاماً، وخطب له فى مصر والشام وإفريقية والحجاز وصقلية، وقد أهتم الحاكم بعلوم الفلسفة والفلك وبنى مرصداً فلكيا. المقريزى: اتعاظ الحنفا، ٢، ص ٤٣٣-٤٣٤ ؛ عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ط٢مؤسسة الخانجى ، القاهرة ،١٩٥٩م ، ص ١٧٢-١٧٤..

[٢]ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ١٢٠؛ ابن عذارى: البيان، ج١، ص ٢٦٨- ٢٦٩؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٢٦٨؛ الزركلى: قاموس الإعلام، ج٢، ص ٢٣٩؛ ؛ السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م ، ص٧١٢.

أرسله والده يوسف إلى مصر خوفاً عليه من الثوار خاصة بعد أن قاموا بقتل وزيره محمد البغانى. ثم أتجه الأب بعد ذلك مسافراً إلى مصر [١]

ومن الملاحظ أن الأوضاع الخارجية فى عهده لم تكن أقل شأنا من السياسة الداخلية التى شهدتها أرض الجزيرة حيث عمت هى الأخرى بالأحداث الهامة.

كانت سياسة الأمير جعفر بن يوسف الكلبى الخارجية متجهة دائما للجهاد ضد العدو التقليدى البيزنطيين، حيث واصل الأمير جعفر جهاد أسلافه ضد البيزنطيين فأرسل جيشاً كبيراً لمهاجمة مدينة بارى، مستغلا ما حدث بالأخيرة من ثورة للومبارديين بزعامة سمار أُجدوس Smaragdus ضد الحكم البيزنطى، تلك الثورة التى استمرت نحو أربع سنوات (٣٩١-٣٩٥هـ/١٠٠٠-١٠٠٤م) ، فحاصرتها القوات الإسلامية سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٤م بجيش ضخم بقيادة "صافى" غلام الأمير جعفر، من البر والبحر ، وظل الحصار مضروباً على المدينة حتى ذو الحجة الموافق مايو حتى ديسمبر عام ٣٩٤/١٠٠٤م عانى فيها سكان المدينة بارى مرارة الجوع فيها جراء شدة الحصار نظراً لنفاذ الأقوات، وكادت المدينة أن تستسلم لولا أن قدم لإنقاذها أسطول البنادقة بقيادة الدوق بطرس أوسيولو Pater orseol ووفقاً لمرسوم عام ٣٨٢هـ/٩٩٢م الذى يحدد العلاقة بين البنادقة والبيزنطيين، تحتم على البنادقة المبادرة إلى تقديم المساعدة للبيزنطيين فى إيطاليا، التى تعرضت لهجوم المسلمين فتولى الدوق قيادة الحملة البحرية فى أغسطس عام ٣٩٤هـ/١٠٠٤م، غير أنها لم تصل إلى بارى إلا فى سبتمبر، فلقى الأسطول استقبالاً حافلاً، ولم يجد البنادقة مقاومة تمنعهم من شق طريقهم إلى الميناء، لإنزال المؤن والجنود حيث دارت معركة عنيفة فى بارى أشترك فيها المسيحيين المتحالفين من البنادقة واللومبارديين والبيزنطيين والروس فضلاً عن جنود من أصل أسيوى استمر القتال براً وبحراً ثلاثة أيام متتالية وأنتهى بإرتداد المسلمين عن بارى فى أواخر عام ٣٩٤هـ/١٠٠٤م، وقد أحرز البنادقة من الانتصار ما كفل لسكان أبوليا الهدوء والسلام سنوات عديدة غير أن مدن كالأبريا، تعرضت كثيراً لهجمات المسلمين. ففى عام ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م دارت معركة بحرية شديدة قرب ريو Regye بين الأسطولين الإسلامى

[١] ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ١٥١؛ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص ٢٩٨؛ النويرى: المصدر السابق، ج٢٤، ص ٢٧٧؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٢٦٨ ؛ أحمد توفيق المدنى: المسلمون: ص ١٦٣..

والبيزنطى، وانتفض البيازنة لمساعدة البيزنطيين، فرجع المسلمون إلى قواعدهم بصقلية على أنهم لم يلبثوا أن هاجموا كسنته Casenta واستولوا عليها عام ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م [١]

صقلية فى عهد الأمير الأكحل بين بنى زيرى والبيزنطينين

جاءت إمارة أحمد بن يوسف المعروف بالأكحل على جزيرة صقلية- بعد خلع أخيه جعفر بن يوسف الكلبى، ، وبعد وصول خطاب الولاية من قبل الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله، الذى (لقبه بتأييد الدولة)،حيث نجح فى أعادة الهدوء والسلام إلى صقلية ، وبدأ الأكحل القتال ضد البيزنطيين وتوجه بحملة عسكرية نحو الجنوب الإيطالى مستغلا إنشغال الإمبراطور البيزنطى باسيل الثانى بحروبه فى شبه الجزيرة البلقانية التى خرج منها منتصراً ، فوجه الإمبراطور باسيل الثانى فى عام ٤١٥هـ/١٠٢٥م إلى صقلية جيشاً ضخماً بقيادة (أورستس Orestes)، فنزل بإيطاليا وأنحاز إلى القوات المحلية التى يقودها (القطبان بويانس Bayans) فأسترد القطبان مدينة ريو Reygo وعمر أسوارها. ثم نزل بمسينا على شاطئ صقلية وأحتلها. فتوجه الأمير الأكحل أمير صقلية إلى طلب العون والمساعدة العسكرية من المعز بن باديس أمير إفريقية(٢) وفى الوقت نفسه اتجهت القوات الإسلامية للإلتقاء مع الجيوش البيزنطية-حتى تأتيهم الإمدادات من إفريقية- فى ملحمة عسكرية رائعة ذاق بعدها البيزنطيون هزيمة ساحقة، برغم ما جاءتهم من أمدادات من بلاد اليونان ومقدونيا وفى هذه الأثناء مات باسيل الثانى، وخلفه على الحكم أخوه قسطنطين الثامن Canstantin vIII (٤١٦-٤١٩هـ/ ١٠٢٥-١٠٢٨م) فتقرر استدعاء أورستس إلى القسطنطينية [٣] .

نهاية حكم الكلبيين بصقلية:

اضطربت العلاقات الطيبة بين الكلبيين وبنى زيرى والتى لم تستمر طويلاً، فقد أنهار التحالف بينهما على أثر الفتنة التى يعد المسئول الأول عن أشعالها هو (جعفر بن الأمير الأكحل)، حيث أستغل جعفر غياب والده عن الجزيرة لجهاده ضد البيزنطنين عام ٤٢٧هـ/١٠٣٥م وقام بفرض نفوذه ، وقام بمحاولة إغواء أهل صقلية وضمهم إليه ضد البربر و العرب باعتبارهم

---

[١] السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية، ص ٧٠٦؛ عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ص ٤٢-٤٣؛ صابر محمد دياب: دراسات فى التاريخ الإسلامي ، دار النهضة، القاهرة ١٩٧٧م، ص ٩١.

[٢] ابن الأثير: المصدر السابق، ج٨، ص ١٠٢ ؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ص ٣٧٨-٣٧٩؛ إحسان عباس: العرب فى صقلية، ص ٤٨.

[٣] ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١٥٠- ١٥٢، السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية ص ٧١٣؛ عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ص ٣٧- ٣٨؛ محمد محمد مرسى الشيخ: تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٨٣؛ إبراهيم طرخان: المسلمون فى فرنسا، ص ١١٤- ١١٧.

دخلاء، ولكن أهل صقلية رفضوا الانصياع له، والوقوف ضد إخوانهم المسلمين من العرب والبربر، مؤكدين لجعفر بن الأكحل الكلبى أنهم تصاهروا وتناسبوا اختلطت دماؤهم بدماء العرب، لكن الأخير استطاع بحيلة ماكرة أن يضم العرب والبربر إليه بعد ما عرض عليهم ما سبق أن عرضه على الصقليين ، فقبلوا ذلك فجعل منهم الفريق صاحب الامتياز فى الجزيرة على حساب أهلها الأصليين، فأعفاهم من الضرائب فى حين فرضها على أهل الجزيرة فقط، فشعر الصقليون بالفارق الهائل فى المعاملة كما آلمهم قبول الفريق الأخر امتياز عليهم رفضوه هم أنفسهم من قبل، وهكذا أثار الأمير جعفر الانقسام بين المسلمين من أهل الجزيرة بسبب التفرقة فى معاملتهم. وهنا اشتعلت ثورة المضطهدين تحت قيادة رجل يدعى (أبو حفص) والذى توجه إلى إفريقية مصطحباً معه مجموعة من أعيانها مستغثين بحليف الكلبيين المعز بن باديس أمير أفريقية عام ٤٢٧هـ/١٠٣٥مو مستجدين به من الأكحل وولده طالبين يد العون والمساعدة فقالوا له :نحب أن تكون فى طاعتك وإلا سلمنا للبلاد للروم. [١]

فى نفس الوقت استغل الإمبراطور البيزنطى فرصة الاضطرابات التى حاقت بأهل صقلية، فأرسل الإمبراطور ميخائيل الرابع Micheal IV (٤٢٦-٤٣٣هـ/١٠٣٤-١٠٤١م) سفيراً من قبله للتفاوض مع الأكحل أمير صقلية، وكان ذلك عام ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م، ولما كان الأكحل يتفاوض مع الإمبراطور البيزنطى فى مركز قوة فقد منحه الإمبراطور ميخائيل الرابع لقب القائد (Magestrats) بعد عودة سفيره إلى القسطنطينية وبرفقته ابن الأكحل لزيارة الإمبراطور، وإبلاغه بما تم من اتفاق ، أما ما كان من موقف المعز بن باديس من أحداث هذه الثورة فقد استجاب لنداء الصقليين، فجهز جيشاً بقيادة أبنه عبد الله بن المعز، أخذوا طريقهم متجهين نحو صقلية، وبالفعل نجحوا فى دخول بلرم بمساعدة الثوار الذين حاصروا قصر الأمير الأكحل، وقتلوه بداخله أثناء الحصار، وولى الأمير عبد الله بن المعز بن باديس أمر جزيرة صقلية (٤٢٧-٤٣١هـ/١٣٥-١٠٣٩م) وبتولية الأمير عبد الله بن المعز على صقلية تكون صقلية بذلك قد خرجت من يد الكلبيين وعادت إلى إفريقية مرة أخرى[٢].

ولكن أهل صقلية شعرو بالندم، وأصابهم الشعور بالإثم الكبير الذى اقترفوه ضد أميرهم الأكحل والأسرة الكلبية، لذلك لم يستمر حكم الأمير عبد الله كثيراً فى صقلية، حيث اتفق أهلها على

---

[١] ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ١٥٧؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ص ٣٧٨-٣٧٩؛ محمد جمال سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٣٦- ٢٣٩.

[٢] ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٢٦١؛ أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص ٣٧٩؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٧؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب ، ج٣، ص ٤٩٠

شق عصا الطاعة على أميرهم الجديد الرجوع عن قرارهم السابق بتولية فثاروا عليه، وقتلوا حوالى ثلاثمائة من اتباعه مما أضطر بالأمير عبد الله بن المعز إلى العودة إلى إفريقية ومغادرة الجزيرة[١]

أما عن البيزنطيين وموقفهم تجاه مقتل الأكحل أمير صقلية، وتولية عبد الله بن المعز باديس أمر الجزيرة، ثم خروجه منها بعد الثورة التى قامت ضده، فإنهم استغلوا وفاة الأكحل، والانقسام الذى طرأ على مسلمى صقلية وأنفذوا حملتين لغزوا الجزيرة كانت الأولى عام ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م وهذه لم تحرز أى نصر أو نجاح، أما الثانية فكانت فى العام التالى، وقد استطاعت هذه الحملة أن تستولى على مسينا ومعظم البلاد الواقعة على الساحل الشرقى من الجزيرة بفضل قواتهم الكبيرة وانضمام خمسة عشر ألفا من مسيحى صقلية إليهم تحت قيادة القائد البيزنطى جورج ميناكس Gearge Miniakes والذى لمع أسمه من قبل فى حروب البيزنطيين فى الشام فى ما بين (٤٢١-٤٢٦هـ/١٠٣٠-١٠٣٥م).

وهكذا أحتل البيزنطيون مسينا، وأمضو فيها عامين، لكنهم فى خلال هذه الفترة لم يستطيعوا تأسيس قاعدة لهم فى صقلية لأن المسلمين سرعان ما تمكنوا من استعادة أكثر البلاد التى أستول عليها البيزنطيون، رغم المساعدات التى جاءت للبيزنطيين من قبل الروس، وبعض النورمان كجنود مرتزقة. بل إن البيزنطينين استطاعوا عام ٤٣٣هـ/١٠٤١م من تحقيق بعض الإنتصارات فيما بين منطقة رمطة و ترمينى ، حتى سقطت فى أيديهم معظم المدن ناحية أثنا (جبل النار) على أن هذا الزحف البيزنطى فى صقلية قد توقف نتيجةاستدعاء القائد البيزنطى مينا كس قائد الجيش البيزنطى فى صقلية إلى القسطنطينية، نتيجة لدسائس بعض كبار البلاط البيزنطى ضده عند الإمبراطور البيزنطى حيث زج به فى السجن، وهذا سهل مهمة المسلمين فى صقلية من استعادة الأقاليم التى فقدوها فى ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م خاصة وأن القائد ميناكس ترك وراءه قادة أقل منه مهارة فى إدارة المعارك الحربية [٢]

وفى تلك الأثناء ظهر على مسرح الأحداث من يقود المسلمين لوقف هذا الهجوم البيزنطى الجارف على صقلية ذاك هو (الأمير حسن بن يوسف الكلبى) أخو الأمير الأكحل الملقب بصمصام الدولة (٤٣١-٤٤٤هـ/ ١٠٣٩-١٠٥٢م) والذى أختاره أهل صقلية للولاية عليهم بعد خروج عبد الله بن المعز منها، وقد وصل للأمير الحسن مرسوم الولاية من الوزير اليازورى بتكليف من الخليفة المستنصر بالله فى القاهرة، فور تنصيب أهل صقلية له عام ١٠٣٩\٤٣١م، وحاول الأمير الصمصام أن يبذل جهداً كبيراً فى إعادة تقويم الموقف فى صقلية داخلياً بين الأطراف المتناحرة، وخارجياً برد العدوان البيزنطى عنها ولكن محاولته هذه ذهبت هباء بسبب تدخل

---

[١] ابن الأثير: المصدر السابق، ج٨، ص ٢٦٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٧٩؛ حسان عباس: العرب فى صقلية، ص ٤٨،

[٢] عزيز أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٤٠؛ عبد المنعم ماجد: العلاقات، ص ١١٨.

عبد الله بن المعز من جانب ، والبيزنطيين من جانب أخر حيث تدخلهم فى شئون صقلية وقاموا بتأليب أهل بلرم على الأمير الصمصام وثاروا عليه، وتم عزله حيث تطلب الأمر أن استدعاه الوزير الفاطمى اليازورى ومعه أفراد أسرته من الكلبيين وذلك بأمر من الخليفة الفاطمى المستنصر بالله ،وخرج الأمير حسن بن يوسف الكلبى المعروف بالصمصام إلى القاهرة، وبخروجه انتهى حكم الكلبيين وهو ودورهم فى صقلية. [1]

حكام الطوائف وضياع صقلية الإسلامية:

انتقلت الأسرة الكلبية إلى مصر، وبانتقالهم أنتهى دورهم السياسى فى صقلية،و فتطلع الكثيرون – من غير المؤهلين لهذا الدور الكبير– لارتقاء سدة الحكم فيها، فظهرت الصراعات، وانقسمت الجزيرة إلى إمارات صغيرة تزعم كل إمارة منها أحد الثائرين فيها على الحكم السابق–وقد جاء تقسيمها كالتالى:

–القائد عبد الله بن منكود (منكوت) وكان نصيبه من الجزيرة طرابش Trapni أو مرسى على Marsala وما زر Mazara، والشاقة sciarca والسهول الغربية للجزيرة.

–القائد ابن نعمة المعروف بابن الحواس، وكان من نصيبه قصر يانه Castrgiovanni، وجرجنت Girgenti والقصر الجديد castronavio وبذلك شمل نفوذه منطقة الساحل الجنوبى الغربى للجزيرة.

–القائد بن مكلاتى وكان من نصيبه قطانيه Catania وهكذا وبخرج الصمصام من بلرم حكمها جماعة من أعيان وشيوخ المدينة أما باقى الجزيرة فقامت على نظام الإمارات الصغيرة حيث كان من الصعب فى ظل هذه الظروف الاتفاق على شخص واحد، وقد أثبتت الأحداث بعد ذلك أن ابن الحواس من أقوى هؤلاء الحكام الصغار، كما ظهر فى الفترة (٤٤٥–٤٥٢هـ/١٠٥٣–١٠٦٠م) قائد يدعى محمد بن إبراهيم بن الثمنة، استطاع أن يجعل لنفسه وضعاً قوياً بين هؤلاء القادة حيث بسط سيطرته على سرقوسة، كما قتل ابن المكلاتى واستولى على قطانية، وتمكن كذلك من هزيمة بن منكود وضم إليه كل الأماكن والمدن التى كانت خاضعة له، ونظراً لما أظهره ابن

[1] لمزيد من التفاصيلعن انتهاء الأسرة الكلبية أنظر: ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٢٦٣؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب، ج٣، ص ٤٩١؛ عبد المنعم ماجد: العلاقات، ص ٢٨٧؛ إيمان فؤاد على أحمد الجويلى : صقلية فى عهد الأسرة الكلبية (٣٣٦-٤٤٤هـ/٩٤٨-١٠٥٢م ، ص٣١- ٦٠.

الثمنة من قوة ضد خصومه، فقد أعترف به أهل بلرم، ونصبوه حاكما عليهم، ولهذا فلقد لقب نفسه "بالقادر بالله"، وجعل الخطبة بإسمه فى مساجد بلرم [١].

وهنا صارت صقلية مقسمة فعليا بين زعيمين هما ابن الثمنة وابن الحواس. غير أن موقف الأول ومركزه على الواقع السياسى والجغرافى كان أقو من ابن الحواس ؛ ونتيجة لتعارض طموحات كل منهما، فقد نشبت الصراعات والحروب بينهما؛ حيث قام ابن الثمنة بحصار مدينة قصريانه، ولكنه فشل فى إخضاعها، مما دعى بابن الحواس إلى تتبعه حتى قطانية، وعندما شعر ابن الثمنة بضعف موقفه، فإنه اضطر إلى الاتصال بالنورمان لنجدته، على الرغم من علمه بمطامعهم فى أرض الجزيرة وإذا كانت خيانة قائد بيزنطى من قبل هو "فيمى" أدخلت المسلمين إلى الجزيرة فإن خيانة قائد مسلم أخرجتهم منها[٢].

دخول النورمان صقلية ومحاولة بنى زيرى الدفاع عنها:

كانت دوافع النورمان لدخول صقلية واحتلالها، ليست وليدة طلب ابن الثمنة، لكنه سهل لهم دخولها والسيطرة عليها. فقد استهوتهم صقلية بثرائها الواسع وموقعها الجغرافى القريب من ممتلكاتهم فى إيطاليا،بالإضافة إلى تشجيع البابوية فى روما لزحفهم واحتلالهم صقلية وطرد المسلمين منها[٣].

وشجع الباب نيقولا الثانى النورمان وبارك زحفهم على صقلية وأعتبر هذا الزحف هو بداية الحروب المقدسة ضد المسلمين حيث اتجه النورمان بقيادة روجر Roger– آخو روبرت جيسكارد الأصغر–بجيوشه مع ابن الثمنة إلى صقلية عن طريق مسينا، فسقط فى أيديهم الكثير من المدن، بعدما تركها سكانها فراراً من النورمان، وكان من المدن التى تم حصارها مدينة قصريانه التى خرج منها لجهادهم ابن الحواس فى رجاله، ولكنه هزم وعاد إليها مرة أخرى متحصناً بأسوارها، فتركه النورمان؛ واستكملوا زحفهم إلى باقى المدن حيث تمكنوا من الاستيلاء عليها ، وكان من نتيجة ذلك أن هاجر الكثر من العلماء والأعيان والصالحون من صقلية فى جماعات إلى إفريقية ومصر والاندلس ناجين بأنفسهم، بينما اتجهت جماعات أخرى إلى المعز بن باديس طالبين

---

[١] ابن الأثير الكامل،ج٨، ص٣٩٠؛ النويرى؛ نهاية الأرب، ج٢٤،ص ص ٣٧٩–٣٨٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٤٢٩؛ الحميرى: الروض العطار، ص ١٧٧؛ عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص٤٣–٤٤.

[٢] الكامل، ج٨، ص ٣٩١ – ٤٠١؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٤٥؛ حامد زيان غانم. العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر والشام، ص ٦٨؛ آرشيبالد. رلوس: القوى البحرية، ص ٣٧٣ .

[٣] عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٤٤؛ أمين توفيق الطيبى : دراسات فى تاريخ صقلية، ص٩٩؛ أمين توفيق الطيبى: دراسات وبحوث فى المغرب والأندلس، ص ص ٤٣– ٤٤.

منه المساعدة العسكرية لطرد النورمان من الجزيرة، بعد أن احتلوها مستغلين ما نشب بها من صراعات وحروب أهلية، وعلى الفور استجاب المعز بن باديس لإستغاثة مسلمى صقلية، حيث أرسل أسطولا كبيراً يتألف من أربعمائة قطعة بحرية، كما فتح بابا التطوع للجهاد فى عام ٤٤٤هـ/١٠٥٢م [١] ، ودفع بالأسطول دفعاً إلى صقلية مما يعتبر مغامرة كبيرة بسبب دخول فصل الشتاء، فلما قرب الأسطول من جزيرة قوصرة المجاورة لتونس، هبت عليها ريح شديدة، وغرق الأسطول، ولم ينج منه إلا القليل، وبذلك لم يجد النورمان أمامهم أى قوة تمنعهم من التقدم فى صقلية والسيطرة على المدن والمعاقل والحصون الإسلامية [٢]

وقد ترك غرق الأسطول أثراً سيئاً على بنى زيرى فى إفريقيا، حيث أضعف هذا الحادث قوتهم العسكرية، هذا فى الوقت الذى كان فيه المعز بن باديس قد قطع علاقته مع الخليفة المستنصر بالله الفاطمى، وانفصل نهائيا عن الفاطميين/ وأقام الدعوة للقائم أبى جعفر بن عبد القادر الخليفة العباسى (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١-١٠٧٥م)، وكان من الممكن تدارك الأمر والعمل على بناء أسطول جديد والاستعداد من أجل الدفاع عن الجزيرة ضد غزو النورمانيين لولا موقف الفاطميين من بنى زيرى فى المغرب والسعى نحو القضاء عليهم فى ذلك الوقت فدفع المستنصر بتحريض من وزيره اليازورى بالقبائل الهلالية وأحلافهم من بنى سليم وربيعة وعدى فى صعيد مصر للقيام بغزو شمال إفريقية والعمل على القضاء على ابن باديس الصنهاجى، والتخلص من عرب بنى هلال وبنى سليم ، وبما يثيرونه من متاعب ضد الخلافة الفاطمية فى مصر [٣]

وهكذا اتجهت قبائل بنى هلال وبنى سليم لعبور النيل إلى البر المغربى باتجاه بلاد المغرب بعد أن أعانهم الوزير الفاطمى اليازورى بناء على موافقة الخليفة المستنصر بالله بالمال والعتاد وحيث أطلق لهم العنان قائلاً: "قد أعطيتكم المغرب وملك ابن باديس بن بلكين الصنهاجى العبد الآبق فلا تفتقرون".[٤]

---

[١] ابن الأثير :الكامل، ج٨، ص ٤٦٠؛ النويرى: المصدر السابق، ج٢٤، ص ٣٨١؛ ابن دينار: المؤنس، ص ٧٨؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب، ج٣، ص.

[٢] ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٤٦٠- ٤٦٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٤٥؛ حامد زيان غانم: الإسلام والمسلمون، ص ٢٢١؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب، ح٣، ص ٤٩١؛ آرشيبلد. ر. لويس: القوى البحرية، ص٣٧٤.

[٣] ابن خلدون: العبر، ج٦، ص ١٣؛السيد طه أبو سديرة: الهلالية فى صعيد مصر، ص ٥٥- ٦٢.

[٤]ابن حماد: أخبار ملوك بن عبيد، ص ٥٦؛ المقريزى أتعاظ، ج٢، ص ٢١٦؛ ابن خلدون: العبر،ج٦، ص١٤؛ السجلات المستنصرية، تحقيق عبد المنعم ماجد (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٥٤م)؛ السيد عبد العزيز سالم: المغرب، ص ص ٥٧١-٥٧٩؛ عفيفى محمود: بنو زيرى، ص ١٣٤.

وقد نجحت هذه القبائل من الاستيلاء على برقة وطرابلس الغرب، فدخل المعز بن باديس معهم فى حروب قاسية هزم فيها، وغنم العرب الخيل الكثيرة والخيام وما فيها من مال ومتاع وتابعوا زحفهم نحو القيروان فضربوا الحصار حولها نحو ثلاث سنوات حتى هلكت الضواحى والقرى وتمكن بنو هلال وسليم من الاستيلاء على سائر بلاد إفريقية وتقسيمها فيما بينهم، ودخلوا القيرون عام ٤٤٩هـ/١٠٥٧م واستباحوها كما عملوا على تخريب مبانيها حيث تفرق أهلها فى البلاد الأخرى (١)

وأرسل الخليفة المستنصر إلى شيوخ الهلالية، حيث عهد إليهم بولاية إفريقية فجعل المؤنس بن يحيى المرادسى على ولاية القيروان وباجة، كما أعطى لزغبة كل من طرابلس وقابس وعهد إلى الحسن بن مرة ولاية قسطنطينية ولم يلبث المعز بن باديس بضع سنين على ضياع ملكه حتى توفى وذلك فى عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م، وبذلك فقد فقد المعز بن باديس قدراته العسكرية، مما أثر بشكل واضح على موقف بنى زيرى من صقلية وعجزهم عن الدفاع عنها.(٢)

ولما تولى تميم بن المعز (٤٥٤-٥٠١هـ/١٠٦٢-١١٠٧م) (٣) بعد وفاة والده بادر تميم بإرسال أسطول بقيادة أبناه أيوب وعلى لينقذا الجزيرة من أيدى النورمان، حيث اتجه أيوب بجيشه إلى بلرم، فى الوقت الذى أتجه فيه على بن تميم بالأسطول البحرى إلى جراجنت، كما سعى أيوب بقواته نحو جرجنت لينضم إلى قوات أخيه على، و سر مسلموا صقلية بمقدمة، ونجح أيوب فى اكتساب حب أهل جرجنت له مما أثار عليه ابن الحواس، فلم يلبث أن ساءت العلاقة بينهما، ودخلت فى نطاق المعارك وساند أهل جرجنت أيوب باعتباره المخلص والمنقذ لهم وللجزيرة من النورمان، ونتيجة لذلك قتل ابن الحواس، حيث وقع اختيار الأهالى على أبواب بن تميم ليكون أميرا عليهم، ولكن الأميرين (على وأيوب) تلقوا هزيمة على أيدى النورمان فى موقعة ميسيلمرى Miselmeri شرق بلرم فثار عليهم أهم صقلية لذلك قرر على وأيوب العودة مرة أخرى إلى إفريقية

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٢١٧؛ ابن خلدون: العبر، ج٦، ص ١٨؛ السيد طه أبو سديره، الهلالية، ص ٦٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ص ٢٦٦-٢٦٧؛ المقريزى: اتعاظ، ج٢، ص ٢١٨؛سعد زغلول: تاريخ المغرب، ج٣، ص ٤٩٤.

(٣) تميم بن المعز بن باديس: هو أبو يحيى تميم بن المعز بن بايس ولد عام٢٤٢هـ /١٠٣٠م بمدينة المنصورية ، تولى بعد وفاة أبيه، وكان بطلاً، شجاعاً، مهيبا ، كما هوجم من قبل النورمان عام ٤٨٠هـ/١٠٩٢م وساءت أحوال دولته آخر أيامه وتوفى بالمهدية عام ٥٠١هـ/١١٠٧م ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١،ص ص ٣٠٤-٣٠٥؛ ،الزركلى:قاموس الإعلام، ج٢،ص٨٨

مصطحبين معهم أعيان الجزيرة سنة٤٦١هـ/١٠٦٩م، وذلك بعدما تأكد لهم سقوط الجزيرة عاجلاً أم آجلاً فى أيدى النورمان لسوء أحوالها[١]

وهكذا توغل النورمان فى الجزيرة فسقطت بلرم فى ٤٧١هـ/١٠٧٨م وأستمر سقوط المدن تلو الأخرى حتى سقوط قصريانة آخر المدن فى أيديهم عام ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، وبذلك أمتلك روجر Roger قائد جيوش النورمان والذى منحه أخوه روبرت جيسكارد حكم صقلية، والتى تحولت من جزيرة إسلامية إلى مسيحية، وأصبحت منذ هذا التاريخ ضمن الممالك النورمانية ،ويرجع ضياع حكم الجزيرة من أيدى المسلمين إلى ما وقع بين قواد المسلمين من عوامل الحقد وتغلب المصالح الذاتية على الروح الدينية والقومية بين حكامها حيث أضعف العرب الهلالية الدولة الزيرية فى المغرب، مما أدى لسقوطها، وضعفت البحرية الإسلامية فى غرب البحر المتوسط، وحلت محلها الأساطيل البيزنطية من جديد وأساطيل الجمهوريات الإيطالية (البندقية-جنوة-بيزا)الناهضة. [٢].

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٤٨٥؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٨٢؛ سعد زغلول: تاريخ المغرب؛؛ ج٣، ص ٤٩٤؛ إحسان عباس: العرب فى صقلية، ص ١٣٠، عزيز أحمد: صقلية الإسلامية، ص ٤٤..

(٢) ابن أبى دينار: المؤنس ، ص ٧٨؛ أمين الطيبى: دراسات فى تاريخ صقلية، ص ٢٠٠؛ عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية ص ٤٤؛ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب، ج٣،ص ٤٩٥؛ حامد زيان غانم: الإسلام والمسلمون فى صقلية فى ظل الحكم النورمانى، ص ١٢١.

الفصل الثالث

النظم الإسلامية فى جزيرة صقلية

١- النظام السياسى

٢-النظام الإقتصادى

٣- النظام الإجتماعى

أولاً :النظام السياسى :

الوالى :

الولى فى صقلية منذ فتحها كان تابعا للأغالبة ، وكان حول والي صقلية مجلس استشاري من حوله، وهو الذي كان يسمى في القيروان "الجماعة"، ولذلك نسمع في تاريخ صقلية دائمًا عن شيوخ المدينة بلرم (بالرمو Palermo عاصمة صقلية)، المعتقد أنهم كانوا يزاولون بعض السلطان إلى جانب الوالي.

والوالى أيام الأغالبة لم يكن يزيد على قائد عارف بفنون القتال، و كان يخرج الجيوش والسرايا فتفتح وتغنم ، وفى هذه الفترة المبكرة كثيرًا ما كان الجيش ينتخب الوالي دون أن ينتظر مجيء وال جديد من أفريقية. على أنه لا بد أن نلحظ أنه ليس من الواضح لدينا إن كان الذي يولي الوالي هو الجيش أو شيوخ البلد أو الفريقان معًا.

وتحدثنا المصادر أن العباس بن الفضل لما وقع عليه الاختيار أخذ يبث السرايا وهو مقيم في بلرم، فلما جاءه التصديق على ولايته من أفريقية قاد الجيش بنفسه. وربما أشار هذا إلى أن قيادة الجيش كانت هي الصفة الأولى التي تفترض حكومة القيروان توفرها في الوالي، وكان الوالي يسكن القصر في بلرم، ويودع فيه المال والسلاح والكساء، ومن قصره ذاك كان يشرف على نواحي المدينة، وكان له أن يعين من قبله ولاة على المدن، يخضعون له مباشرة.

الوالي في عهد الكلبيين

اتسع سلطان الوالى الإداري فى عهد الكلبيين منذ أن بنى خليل بن إسحاق الخالصة أصبحت هي مركز الوالي بدلا من القصر القديم، وأصبح كل وال بعد ثورة ابن قرهب يتمتع بحماية حرس غريب عن الجزيرة، فلم يعد في إمكان أهل صقلية أن يطردوه بسرعة، إذ صار في إمكانه أن يتحصن منهم ويقاتلهم في مدينتهم.

وارتبطت صقلية في أيام الكلبيين بالدولة العبيدية الفاطمية في إفريقية وأصبح يدعى على منابرها للخليفة العبيدي الفاطمي وبذلك أصبح الوالي الصقلي ممثلا للخليفة وبارتباط صقلية بمصر أصبحت تتأثر بها في أساليب الحياة، ويهاجر إليها طلاب العلم وتقوم فيها الأنظمة الحكومية على غرار ما هي في مصر، فكان الوالي في صقلية يدين بنوع من التبعية للقاهرة، ويستمد منها القوة الإدارية والحربية، ومن يتولى ولاية صقلية يجب أن يكون في يده سجل بولايته من الخليفة، وأن تصله منه الخلع والألقاب والتشريفات، وأصبحنا نسمع في صقلية ألقابًا مثل ثقة الدولة وتاج الدولة وتأييد الدولة وصمصام الدولة، ولم تنفك مصر عن هذه المراسيم بتقليد الولاية حتى كانت آخر خلع وصلت من مصر للصمصام ، وكانت صقلية تدفع سنويا مبلغًا من المال للدولة الفاطمية، وهذا واضح من قول ناصر خسرو: "وتغادرها كل سنة سفينة تحمل المال إلى مصر" ، وكان الخليفة الفاطمى يتدخل في الشؤون الداخلية فى صقلية معتبرًا اياها جزءًا من مملكته، له حق التصرف فيه، فكان يعقد الصلح مع الروم على شروط نافذة في صقلية، دون أن يأخذ رأى واليها، ولم يكن للوالي إلا أن ينفذ ما يراه سيده مناسبًا وإن كره ذلك والى صقلية [١] .

الدوواوين فى صقلية :

ديوان بيت المال :

وطبق النظام المالى الإسلامى على صقلية الإسلامية، وكان من أهم موارد بيت المال الزكاة ،والجزية ،والغنائم والخراج ،كما أورد ابن حوقل الأموال الأخرى التى ترد على الجزيرة بقول :" خمسها ومستغلاتها، ومال اللطف، والجوالى المرسومة على الجماجم، ومال البحر، الهدية الواجبة فى كل سنة ، وقبالة الصيود، وجميع المرافق وجهاتها "[٢]

من هذا النص يتضح اوجه إيرادات بيت المال وهى كالأتى:

(١)ناصر خسرو، سفر نامه، ص٤٥؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٢/ ٢٤٢. القلقشندي: صبح الأعشى، ٣/ ٤٩٣ .

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٣٠ .

المستغلات: وهى جزء من مال صقلية يخرج لصالح لدولة الفاطمية، ومن أهمها الحديد والذى كانت ملكيته فى صقلية تعود للفاطميين والكلبيين، كما كانت مزارع القصب ملكاً للحاكم، وكان البردى حكراً للخلفاء الفاطميين والكلبيين معاً ويمكنهم استغلاله بأى صورة. [١]، أما اللطف: وهى الهدايا التى تقدم فى مواسم معينة. [٢]

الجوالى: من موارد بيت المال، وهى ضريبة تفرض على من يعمل بالتجارة والصناعة من أهل الذمة، وتحسب كل أول سنة هلالية، وكان عليها عامل يكتب أسماء الذميين، ويلزم كل طائفة عن طريق رئيسها بكتابة الرقاع بما عند كل منهم من الرواتب، وعددهم وما استجد عليهم من طوارئ قبل دخولهم الإسلام ،وهناك ضريبة تؤخذ على السفن كأجرة رسو أو عبور فى الموانئ الإسلامية تسمى (مال البحر) ، ويعتبر مال البحر من أهم الموارد الإقتصادية لجزيرة صقلية وذلك بسبب كثرة الموانئ ، بالإضافة إلى (الهدية الواجبة) على أهل بعض المدن ، وتدفع بشروط معينة ، ووجدت ضريبة (قيالة الصيود) وهى فرضت على صيادين الجزيرة مقابل منحهم من الحاكم تصريح للصيد، فكانوا يدفعون مبالغ معينة، وكان هناك شخص يسمى المتقبل يقوم بهذا العمل فيدفع من ماله الخاص ثم يجمعه بعد ذلك من الصيادين، وفرضت ضرائب المكوس وكانت تفرض على البضائع، وكانت جباية الأموال تتم عن طريق وضع جابيا على كل مدينة من قبل الوالى ، للإشراف على إدارة أمور المال، كذلك وجد إحصاء كامل شبه سنوى يعرض على حاكم الجزيرة، ويعرف هذا الإحصاء "بالارتفاع" وهو عبارة عن إصدار ميزانية- سنوية لكل إيرادات بيت المال ، تعددت أوجه الإنفاق من بيت المال فى صقلية، فكان بيت المال ينفق على الفقراء من أموال الزكاة، والإنفاق على الإصلاحات والعمارة داخل الجزيرة ،ومن أهم النفقات هو إرسال سفينة محملة بالمال والهدايا للفاطميين فى مصر ، ، والإنفاق على الجيوش وتجهيزها بالأسلحة، وبناء الأسطول ، وصرف أعطيات الجند، ورواتب الموظفين بالإضافة للعطايا والمنح والهبات [٣] .

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض ، ص ١٣٠- ١٣١.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة لطف.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٣٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ؛ ابن الخطيب: أعمال الإعلام، ج٣، ص١٥٦؛ النويرى: نهاية الأرب، المكتبة ص ٢٨٥. غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٠٩.

ديوان الخمس: وهو ضريبة معينة توضع على الغنائم التى تخص الحاكم وتدخل بيت المال، وهو يفرض على الأراضى المأخوذة عنوة وما ينتج عنها من منتجات وللخمس مختص مسئول عنه يعرف بصاحب الخمس، شخصيته ذات شأن في تاريخ صقلية وأدبها، فهو يتولى أمر البلد حين لا يكون لها وال، وهو بحكم مركزه مقصد الأدباء والشعراء، ويرى الأستاذ أماري أنها خمس الغنيمة والأرض التي أخذت عنوة. ويقول دوزي: صاحب الخمس هو متولى الأرض التي أصبحت ملكاً للدولة في مدن افتتحت عنوة ويعد ابن الرقبانى والشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الشامى فى زمن صمصام الدولة من أشهر من تولى رئاسة هذا الديوان. [١].

ديوان الإنشاء: وهو يتولى شئون المراسلات الخاصة بالوالى، سواء أكانت مراسلات للحكومة المركزية بالقاهرة، أو إلى عماله فى الولايات داخل الجزيرة أو مراسلاته إلى الخارج[٢]

أما عن متولى هذا الديوان كان يخاطب بالشيخ الآجل ويسمى أيضاً بكاتب الدست الشريف ،ومن ذوى المكانة الاجتماعية والعلمية، كما كان من شروط من يتولى هذا الديوان أن يكون ملماً بقواعد اللغة العربية، حسن الخط، ولهذا كان معظم من تولى هذا الديوان من الأدباء وكان من مهامه أيضاً عرض المكاتبات الواردة على الحاكم وهو أيضاً من يأمره الحاكم بالرد عليها، كما كان يستشيره فى أكثر أموره ولا يحجب عنه متى قصد المثول بين يديه، وكان راتبه مائة وعشرين ديناراً فى الشهر، وله حجاب من الأمراء والشيوخ والعمال وكان ممن تولى هذا الديوان (محمد بن أحمد الصقلى) سنة (٣٧٥هـ/٩٨٠م)، و(أبو الحسن الطوبى الصقلى) [٣]

---

(١) النويرى: نهاية الأرب ، ج٢٤، ص ٣٦٦؛ ابن بسام: الذخيرة، ج٢، ص ٢٩١؛ إحسان عباس: العرب فى صقلية، ص ٦٥-٦٦.

(٢) الأصفهانى: خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: أزباش أذرنوس (تونس: المطبعة التونسية ،١٩٨١م)ص ٧٢؛ القفطى: أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة :١٩٥٢م) ج١، ص ١٧؛ إحسان عباس: العرب فى صقلية، ص ٥٦-٥٧؛ إبراهيم العدوى: السفارات الإسلامية،،ص ٢٥.

(٣) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٧، ص ص ١٠١-١٠٣؛ المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٤٠٣؛ إحسان عباس: معجم العلماء والشعراء الصقلية ، دار الغرب الإسلامى، بيروت١٩٩٤م ، ص١٨٥ . أمين الطيبى : تاريخ المغرب والأندلس ، ص ص ١٠٦-١٠٧.

ديوان الخاصة :أما ديوان الخاصة، فهو ديوان يشرف على إقطاعات الوالى وشئون قصره وتم تطويره وأصبح يضم إليه دار الضرب، ومن أشهر ممن تقلده ابن القطاع الصقلى[١].

ديوان المظالم : وجاء ديوان المظالم ليختص برفع المظلم عن المظلومين، ورفع شكواهم إلى السلطات المختصة التى بيدها اتخاذ القرار[٢] .

ديوان تحقيق المعمور : كانت مهمته العمل على تنظيم الأراضى وتوزيعها ودخولها فى ملكية الدولة وهو مسئول أيضاً عن شئون العبيد، وحصر أسمائهم وعدد من أعتق منهم[٣] .

ديوان الطراز : وهو خاص بالطراز الحاكم، فهذا الديوان يقوم بإعداد وصناعة وتطريز الملابس الخاصة به، ويعرف رئيس هذا الديوان بصاحب الطراز ، وأن صاحب الطراز: " كان ينظر فى أمور الصباغ، والإله والحاكة منهما ، وإجراء أرزاقهم وتسهيل آلاتهم ومشارفة أعمالهم وكانوا يعهدون ذلك لخواص دولتهم وثقات مواليهم".[٤]

جهاز الشرطة

جهاز الشرطة فى صقلية يتبع سلطة الوالى مباشرة وكان يطلق على رئيسها اسم "صاحب الشرطة" وتقوم الشرطة بتنفيذ الأحكام الشرعية، ومراقبة جمع الأموال، و قد وجد بمدينة الخالصة سجن عام يودع فيه المخالفون للقانون ومثيرو الشغب، ويأتى (أبو الفضل محمد بن على الفهرى وولداه أحمد ومحمد) من أصحاب الشرطة المعروفين بصقلية[٥].

النظام الحربى (الجيش والأسطول)

كان للجيش فى صقلية أهمية كبيرة، نظراً لموقعها فى قلب المعاقل البيزنطية حيث أهتم الولاة بأمر الجيش وتنظيمه وظهرت قوة هذا الجيش فى الحروب التى خاضها ضد الدولة البيزنطية، كما مر بنا ويتكون الجيش من العرب والبربر، وفى أثناء حكم الكلبيين

---

(١) إحسان عباس: العرب فى صقلية، ص ٥٦.

(٢) Amari (Michele); op.cit, Vol. 3, p11.

(٣) مارتينو مورينو: المسلمون فى صقلية، ص ٢٠؛ حامد زيان: الحضارة الإسلامية فى صقلية، ص ٤٦-٤٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج١، ص ٨١؛ إحسان عباس: المرجع السابق ص ٥٧

(٥) احسان عباس:معجم العلماء والشعراء الصقليين، ص٢٣

ظهر جيل جديد من المسلمين الصقلين، فتكونت منهم الجيوش القوية التى خدمت فى جيوش الدولة الفاطمية نفسها، وكان الخليفة المهدى قد وضع قانوناً خاصاً بصقلية دون غيرها من الدول الخاضعة للدولة الفاطمية يقضى بأن يكون هناك جيش فاطمى خاص بجوار الوالى ولحمايته من الأضطرابات الداخلية وقد حافظ الخلفاء الفاطميون على تلك السياسة ، وكانت الجندية إجبارية لا يعفى منها إلا المعلمون أو من يقدم الفدية، وكان لكل إقليم وحدة من الجند خاصة به وملكتهم الحكومة بعض الأراضى فى تلك المناطق حتى يتسنى لهم الاستقرار فيها، وقد تحول بعضهم نتيجة ذلك إلى إقطاعيين(١) .

أما عن أسلحة الجيش فكان منها الأسلحة المستخدمة فى الدولة الإسلامية آنذاك، ومنها المستخدم فى الدولة البيزنطية، وانقسمت الأسلحة إلى الأسلحة الخفيفة كالسيوف والخناجر والسكاكين، والسهام، والعصى وأسلحة الحصار مثل المنجنيق والسلالم ،كذلك قام ولاة جزيرة صقلية بناء القلاع والحصون والأسوار وانتشرت كذلك الأربطة لحماية الجزيرة من الأخطار الخارجية، ومن أشهر الحصون والقلاع فى جزيرة صقلية، حصن ميلاصى، وحصن لنتينى، وقلعة ترمة، وقلعة القوارب (٢)

وقد أهتم المسلمون منذ فتح الجزيرة بإنشاء الأسطول وتعزيزه، حيث لم يستطيع البيزنطيون الاقتراب من غرب المتوسط، وانحصرت أساطيلهم فى الشمال الشرقى من هذا البحر فقط وقد أثر ذلك على أحوال الإمبراطورية البيزنطية الاقتصادية(٣).

وازدهرت صناعة السفن فى صقلية حيث استغل الولاة مميزات جزيرة صقلية من حيث موقعها الجغرافى الفريد وكثرة الموانئ الطبيعية وكثرة وكثافة الغابات ووفرة الأخشاب الجيدة لصناعة السفن، وغنى الجزيرة بمناجم الحديد المستخدم فى هذه الصناعة، ووفرة نبات البردى المستخدم فى صناعة الحبال والتى تدخل فى صناعة السفن، بالإضافة إلى وجود صناع مهرة من الصقليين أنفسهم، ومن العرب الفاتحين

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض ، ص ١٢٤؛ إحسان عباس: العرب فى صقلية، ص ٢٥١؛عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية ص ٣١ - ٣٤ .

(٢)القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص ص ٥٢٣-٥٢٤ ؛ المقريزى: الخطط ، ج١، ص٤٨٢.

٥٩٧؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان ، ج٣، ص٤٣؛ السيد محمد أبو العزم : الأثر السياسى والحضارى للمالكية ، ص ص٣٤٠-٣٤١.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٨٢-٢٨٣؛ السيد عبد العزيز سالم: البحرية الإسلامية ، ص ٧٣..

كالكتاميين شيوخ هذه الصناعة فى صقلية ونتيجة لهذا تكوين الأسطول الصقلى صاحب الدور العظيم فى البحر المتوسط ، فكان أهل رمطة وطبرمين يجمعون الأخشاب ويقطعونها ويجهزونها ثم يقومون بتوصيلها إلى أماكن صناعتها المنتشرة فى الجزيرة فى مازر، ومدينة بلرم التى نشأت بها دار للصناعة منذ حكم الأغالبة وأستمرت فى حكم الفاطميين إلا أنهم بعد بناء الخالصة أضافوا لها دار صناعة خاصة بالوالى والخليفة الفاطمى [١]

ولم تختلف وحدات الأسطول الحربى الصقلى عن وحدات الأسطول الفاطمى لأنها تعتبر جزءاً منها، وكان من هذه الوحدات "الشوانى" واستخدم أيضاً الخنزير Canicra كما استخدمت الزوارق والقوارب، وهى ضمن قطع الأسطول، وتستعمل –عادة لنقل الأشخاص[٢].

كما استخدم الأسطول الحربى للصقليين أيضاً الأسلحة التى تستعمل فى نقب أسوار الموانى والمعادية، مثل الأبراج والسلالم، والسلاسل، والحبال،ونتيجة للإهتمام ولاة الأغالبة والفاطميين بالأسطول ، أصبح لهم حضور ونفوذ قوى منطقة غرب البحر المتوسط [٣].

(١) المقريزى: إتعاظ، ج٢، ص ١٧٣-١٧٤؛ عطية القوصى: مصر الفاطمية وعالم البحر المتوسط، ص ١٤٧؛ أحمد مختار العبادى، السيد عبد العزيز سالم : البحرية الإسلامية، ص ٧٣؛ أمبرتو ريتزيتانو: منتخبات من الروض المعطار، ص ١٤٧.

(٢) ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص ٤٠٤؛ جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، ص ٢٢٠، ؛ صابر محمد دياب : دراسات فى تاريخ الإسلام ، ص ص ٦٥-٦٧.

(٣) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربى، ج٣، ص ص ٢٧٧- ٢٧٨؛ حسين مؤنس: تاريخ المسلمين، ص٨٤- ٨٥؛ السيد حسين جلال: الحضارة العربية، ص ٣٣٦؛ أسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية، ص ص ١٧٠-١٧٣.

النظام الإقتصادى فى جزيرة صقلية :

- الزراعة والثروة الحيوانية.
- التعدين والحرف والصناعات فى صقلية.
- التجارة(داخلية- خارجية)

الزراعـة:

تمتعت جزيرة صقلية بخصوبة تربتها وصلاحيتها للزراعة، وتعدد مصادر المياه فيها، وذكر الأصطخرى عن صقلية قائلاً : "وبها من الخصب والزروع والمواشى والرقيق ما يفضل عن سائر مدن الإسلام المتاخمة للبحر"[١] .

كما أشار المقدسى البشارى بما فى بلرم من المياه والفواكه والخيرات والأعناب[٢]،، ويزيد الأدريسى فى وصفها قائلا "أنه ليس هناك تربة فى العالم تشبه أرضى صقلية"[٣].

وتسقط الأمطار فيها فى فصلى الشتاء والخريف وانتشرت الأنهار التى تنبع من الجبال الشاهقة والتى تحيط قممها الثلوج بشكل دائم، ومن هذه الأنهار يأتى نهر السلة وهو نهر كبير، طويل المجرى، ينبع من موقع يسمى التربيعة قرب بلرم وتكثر به الثروة السمكية، ونهر آخر اسمه نهر عباس وهو من الأنهار الغزيرة وتقام عليه الرحية لطحن الدقيق، وهو يمر بضواحى بلرم التى أصبحت عامرة بالبساتين والأجنة وطواحين الهواء ، ويوجد نهر يعبر وسط بلرم هو نهر رمطة، وكما أن نهر القارب يمر محاذياً لحصن بلجة، وهو ينبع من جبال فى شمال قلعة قرليون، ويجرى هذا النهر إلى أن يصب فى البحر، ومن الأنهار أيضا نهر موسى، وينبع من أربعة مواقع فى جبال القيس، ويسمى أحد روافده، وادى جرامى، وعند حجر سارلو يقع نهر النيقشين وبينه وبين نهر موسى ميل واحد، ثم يستمر مجرى هذا النهر ما بين شنت ماركو وحصن غليانه[٤]

ومن الأنهار الصغيرة دائمة الجريان، نهار القلعة فى إقليم دمنش، كما يوجد نهر أخر كبير يمر بالقرب من مسينا، ويجرى حتى يصب فى البحر، وتستخدم

---

(١) الأصطخرى: المسالك والممالك، ص٧٠. ابن جبير: الرحلة، ص ٢٣٠

(٢) أحسن التقاسم، ص ٢٣١.

(٣) نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٩٠.ابن جبير: المصدر السابق، ص ٢١٠.

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ص ١٢٢-١٢٣؛ المقدسى:أحسن التقاسيم ص ٢٣٢؛ الحميرى:الروض المعطار،ص ٣٣٧.

سرعة جريانه هذه فى إقامة الأرحية، وفى مدينة قطانية يوجد نهر يسمى باسمها نهر قطانية [١].

وبالإضافة إلى هذه الأنهار الكثيرة توجد أيضاً العيون الغزيرة بكافة أرجاء الجزيرة، والتى يعتمد عليها السكان فى الشرب والزراعة، كما شيدت العديد من الترع والمصارف لسحب مياه العيون إلى المناطق البعيدة، ومن المدن التى توجد بها عيون المياه الجارية مدينة بلرم حيث كان بها أشهر هذه العيون والتى تسمى بعين الشفاء، والتى تقع على أحد الأبواب الرئيسية للمدينة، وتحيط العيون ببلرم من الشرق والغرب، وتصب جميعها فى مسيل واحد، يصيب فى البحر وقد تشكلت حول هذا المسيل مناطق ذات سباخ كثيرة، كما وجدت العيون كذلك ببعض المدن الأخرى مثل قطانية Catania وقلعة الحمة، سرقوسة Siracousa وفى حصن ميلاص Milassa حيث توجد المزارع الكثيرة التى تعتمد على هذه العيون[٢].

وبالإضافة لهذه الأنهار والعيون، استطاع الحكام بمساعدة شيوخ المدينة من حفر الآبار لاستثمار المياه الجوفية لأغراض الشرب والزراعة، وسائر أغراض الاستعمال، كما احتوى كل بيت بالجزيرة على بئر تقريباً ، أضطر السكان أحياناً لحفر الآبار لسد احتياجاتهم من المياه، وهذه الآبار تفاوتت من حيث العذوبة والملوحة، فقد كانت غالبية آبار بلرم والخالصة مالحة، وإلى جانب هذه الآبار المالحة وجدت أيضا الآبار العذبة فى مدينة مرسى على وقصريانة وطرابنش[٣] .

(١) الأدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٩١-٥٩٣.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١١٩؛ الأدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ص ص ٥٩٠-٥٩٧، ٦٠٢؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٩٦.

(٣)ابن حوقل، ص ١٢٢؛ الإدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ص ص ٦٠١ ٦٠٢؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٨.

وهكذا كانت صقلية غنية بالعديد من موارد المياه سواء ما كان فيها من أنهاراً أو عيوناً أو آبار، بالإضافة إلى كثافة الأمطار التى تسقط فى فصل الشتاء، لذلك كانت أغلب الأراضى الصقلية تزرع بمختلف أنواع المحاصيل[١] .

ملكية الأرض الزراعية :

كانت ملكية الأرض الزراعية تخضع للنظام الإقطاعى فى ظل الحكم البيزنطى، ولم تستطع الكنيسة إصلاح أحوال الملكية وذلك لأن الرهبان أنفسهم كانوا يملكون نصف أراضى الجزيرة، ومع دخول الإسلام، كانت ملكية الأراضى فى يد الوالى الأغلبى يقطعها من يشاء .فى ظل حكم الأسرة الكلبية استقر هذا النظام الإقطاعى حيث امتلك الأمراء مساحات واسعة من الأراضى مما أدى السرعة ثرائهم وزيادة ثرواتهم[٢].

فوجدت نتيجة هذا التقسيم اقطاعات كبيرة فى أيدى مجموعة قليلة من الناس بينما الأكثر لا يمتلكون إلا القليل، ولقد كان نتيجة هذا النظام أن وضعت الأراضى الخصبة تحت أيدى فئة من الناس، فالجهة الغربية من الجزيرة وبها أخصب الأراضى والتى كانت فى أيدى كبار الملاك من أشراف العرب، وقليل من البربر أما وسط الجزيرة فقد سكنته الفئات الفقيرة وكانوا من الصقليين المحليين ، لذلك بدأ نظام الإرث الإسلامى يطبق بشكل تلقائى بين المسلمين، وهذا النظام عمل تلقائيا على تفتيت الملكيات، كما قامت الحكومة نفسها بتقسيم الأراضى على السكان فى شكل مليكات صغيرة ومتوسطة فى مقابل أن يدفع سكانها الأخشاب للحكومة والتى تصنع منها السفن [٣] .

(١) Baldwin. (Marshall W), The first hundred Years, vol.1, p.55 .

(٢) جليلة محمد الهاشمى: صور من الحضارة العربية فى عهد الكلبيين، ص ٤٥؛ الدورى: صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط، ص ص ٤١- ٤٢

(٣)عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٤٧؛ إحسان عباس: العرب فى صقلية، ص ٧٠ .

أما الجند فقد منحهم الولاة أراضى زراعية خصصت لهم وذلك لهدفين أولهما: **أن تكون ريع الأراضى بمثابة رواتب لهم خاصة فى فترات السلم لتخفيف الأعباء عن الحكومة، وثانيهما: هو المساعدة على توطينهم فى البلاد بمنحهم الأراضى فيها، ولكن هذا النظام لم ينجح مع الجند لعدم قبولهم فكرة العمل فى الزراعة، كما أنهم كانوا يرغبون فى الجهاد، و الحصول على غنائم الحروب ،كما ظهر نظام أخر لملكية الأراضى الزراعية، وهذا النظام كان نتيجة وجود أراضى زراعية هاجر عنها أصحابها وتركوها، والأراضى التى ليس لها أصحاب ، وقد أعطى الداوودى قاعدة شرعية لأصحابها الجدد حتى لا يطردهم أحد منها**[١]

فقد أقام حقهم فى الأرض على أساس قاعدة الفتح صُلحا وقاعدة العمارة والأحياء، حيث ورد فى الأثر أنه من أحيا أرضاً ميته أصبحت ملكاً له ،ومن الجدير بالذكر أن معظم أرض صقلية فتحت عنوة، وبعضها فتح صلحا ، وهذه الأنواع من الملكيات المختلفة قد أوجدت تفاوتا فى مستويات المعيشة للسكان، أصبحت أكثر طبقات المجتمع من تلك الطبقة المتوسطة. وكان من أهم المحاصيل التى اشتهرت بها الجزيرة القطن الذى أدخله العرب معهم، وزرع فى برطنيق Bratnik وبالقرب من قطانية Catania، وميلاص Milas، كما زرع أيضا الكتان فى الأماكن التى يغزر بها الماء العذب ، أما نبات البردى، فقد كان يزرعه أهل صقلية قبل دخول المسلمين ثم أهملوا زراعته وبعد الفتح الإسلامى استعاد البردى الصقلى مكانته، واستمرت زراعته بغزارة طوال فترة الوجود الإسلامى بصقلية فى سرقوسة [٢] ،كما **أدخل المسلمون إلى صقلية كثيراً من أنواع الزراعة جاءوها بالليمون والبرتقال عام ٣٥٣هـ/٩٧٠م أثناء حكم الكلبيين، وأدخل المسلمن كذلك زراعة القصب والأرز والنخيل والقطن والبردي حتى نشأت في صقلية أساليب زراعية تلائم بيئتها ، وأكثر الناس من زراعة الخضروات وبعض أنواعها أدخله المسلمون إلى الجزيرة إضافة إلى انتشار أشجار الزيتون واللوز والتين والفستق والسماق والزعفران والتوت والخروب، وزرعوا كذلك التفاح**

---

(١) الأموال، ص ص ١٧٤- ١٧٥.

(٢)ابن حوقل: صورة الأرض، ص ص ١٢١- ١٢٢؛ ؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٠٩.

والشاه بلوط، والأجاصى ، والبندق والجوز والتين واللوز والقسطل والبطيخ ،وقد جلب العرب من شمال إفريقية نوعا من القمح شديد الصلابة، وفى أواخر حكم الكلبيين كان يصدر منه إلى مصر. وهذا القمح يمكن تخزينه لأكثر من عام و اشتهرت به قصريانه(١)

وزرعت كذلك النباتات الطبية والعطرية مثل (البنفسج والسوسن الأزرق وأنواع من الياسمين كما زرعوا أيضا الحناء ، نبات الشالبيه، – و السمسق أو السماج(٢).

ساعد المناخ وكثرة الأمطار، وتجمع مياه الأنهار والعيون إلى ظهور الغابات الكثيفة ، كما أحضر العرب معهم شجر الدردار الذى يتميز بكبر شجره وعودة وتفرع أغصانه، وترجع أهمية هذه الغابات إلى أنه يتم استخدام أخشاب أشجارها فى صناعة السفن، والمراكب الصغيرة، وأبواب وأسقف المنازل، ويصدر الفائض إلى الخارج نظراً لكثرة أخشاب الأشجار ،كما استخدموا بعض الغابات على حالتها كمصدات للرياح لحماية مزارعهم من عواصف الطبيعة، إضافة إلى استعمال أخشابها فى الوقود(٣).

الثروة الحيوانية:

كانت صقلية تحتوى على مساحات شاسعة من المراعى الطبيعية لوفرة الأمطار بها ، وتوجد فى بلرم وجنوب قلعة الصراط أشهر مراعى صقلية، و قاموا بزراعة البرسيم فى مساحات كبيرة كما أبدى الكلبيون جل عنايتهم بتربية الخيل والبغال والحمير لإستخدامهم الحيوى لها فى الحروب الكثيرة التى خاضوها، و كوسائل نقل رئيسية ، وأعتبر أهل صقلية اللحوم غذاء أساساً، حيث وجد فى بلرم

(١)ابن حوقل: صورة الأرض، ص ؛ المقريزى:أتعاط، ج٢، ص ٣٨؛ الأشبيلى: المقنع فى الفلاحة، ص ص٤٥-٦٣.

(٢) الأدريسى: نزهى المشتاق، ج٢، ص ٥٩٠-٦٠٢؛ ابن البيطار: مفردات الأدوية، ج١، ج٣، ج٤، ص ١٤، ٧٧

(٣)الأدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ص ٦٠٢؛ ٨٩؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٠٨.

وحدها مائتا حانوت لبيع اللحوم. هذا بالإضافة إلى المنتجات الحيوانية الأخرى من الألبان والأوبار والدهون وجلود الحيوانات المدبوغة التى كانت تستعمل فى المكاتبات وفى صناعة الأحذية والحقائب كما استخدموا أصواف الأغنام فى صناعة الملابس الصوفية حيث كان لها سوق خاص بها. (١)

وأدخل العرب الخيول العربية والبغال والحمير من مصر، وأدخل العرب الماعز، ذوات الأذن المتدلة، وكذلك الإبل التى لم تتحمل طبيعة طقس الجزيرة فانقرضت (٢) .

أما عن الطيور فقد انتشرت تربيتها فى الجزيرة بين كل الطبقات ومن أهم أنواع الطيور فى صقلية الدجاج، والأوز والبط والحمام، وطائر السمندل، وهو يشبه السمان، وانتشرت تربية النحل وكان العسل الصقلى مشهوراً بنكهته ومذاقه المتميز، ومن أهم مناطق توافره قلعة الخزارية(٣) .

وأدخل العرب إلى صقلية دودة القز والتى كانت منشرة فى بلاد مصر والشام والعراق، وتربت فى صقلية على شجرة التوت، ثم انتقلت من صقلية إلى إيطاليا ' وكان للحرير الصقلى شهرة فى جميع الأقطار، وخاصة بيوت ملوك مصر وأمرائها ، ونظراً لموقع الجزيرة الجغرافى وكثرة البحار التى تطل عليها والأنهار التى بها، مما أدى لوجود ثروة سمكية هائلة حيث انتشرت حرفة الصيد. وكانت أسوقه منتشرة فى أغلب المدن كابلرم ، وبذلك صارت الأسماك سلعة اقتصادية هامة، فوضع لها الحكام الكلبيون ورسوماً مفروضة عليها (٤).

---

(١) الأصطخرى: مسالك الممالك، ص ٧٠؛ ص ص ١٢١-١٢٢؛ابن حوقل: صورة الأرض، ص ص ١١٩-١٢٠؛ إحسان عباس: العرب فى صقلية، ص ٧٤؛ زكى محمد غيث: صقلية تحت الحكم الإسلامى، ص ١٣٧.

(٢)آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢١٥؛ المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ص ٢٣٨- ٢٣٩؛ مارتينو مورينو: المسلمون فى صقلية، ص ٣؛ إحسان عباس: المرجع السابق، ص ٧٤.

(٣) الإدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ٥٩٤؛ الهراوى: كتاب الإشارات فى معرفة الزيارات، المكتبة الصقلية، ص ٧٥.

(٤) الإدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٩٠-٦٠١؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٦٩؛ مارتينو مورينو: المسلمون فى صقلية، ص ٣٤.

الحرف والصناعات واستخراج المعادن:

ظهرت العديد من الصناعات في صقلية وذلك لتوافر الموارد الزراعية والحيوانية ، فوجدت (الصناعات الغذائية)، مثل صناعة السكر، وترجع صناعتها للقرن الرابع الهجرى ذلك بسبب انتشار زراعتة ،وصناعة العسل حيث كان يستخرج من العنب الحلو،وقامت صناعة مشتقات الألبان ، والتى أقاموا لها الأرحية على الأنهار الجارية، وكذلك صناعة تمليح الأسماك، حيث استخرجوا الملح من مدينة طرابنش، واستمرت عملية استخراجه حتى دخول النورمان صقلية [١] .

وانتشرت (صناعة المنسوجات) نظراً لتوافر ألياف النباتات كالقطن والكتان، ومن الألياف الحيوانية الصوف والحرير ، ووجدت فى صقلية العديد من دور الصناعات الخاصة بالنسيج والثياب الحريرية وغيرها، وقد عرف المسلمون أهل صقلية صناعة الحرير بعدما أدخلوا دودة القز إلى صقلية ، وكانت تكتب على حواشى ملابس الأمراء مدائح للحاكم أو الأمير. كما اهتم الصانع الصقلى بزخرفة وتطريز الأقمشة بالطراز الفاطمى الشهير كرسم الحيوانات المختلفة بأحجامها الكبيرة، وبشكل مكرر كما يرسم عيها أشكال هندسية أو بعض الأشكال النباتية ، واستخدم الذهب فى تطريز المنسوجات فى صقلية[٢] .

كما تنوعت الصناعات الخشبية لكثرة الغابات، فظهرت صناعة الأثاث ، وصناعة السفن وأبواب وأسقف المنازل، وصناعة الصناديق الخشبية، بنقوش وزخارف تعبر عن رقى وتطور الفن الإسلامى وتطور الصناعات الخشبية، كما استخدموا الأخشاب فى صناعة الآلات الخشبية المتعلقة بالعلوم مثل آلة الأسطرلاب، وبعض الألات الموسيقية[٣].

---

(١) الإدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٩٤- ٦٠١.

(٢) حسنى محمد نصير : الآثار الإسلامية ،مكتبة زهراء الشرق القاهرة ١٩٨٩م، ص ٢٩١-٢٩٢؛هايد: تاريخ التجارة، ج٤، ص٢٠٦؛ زكى محمد حسن: كنوز الفاطميين ، ص٨١؛ سعاد ماهر الفنون الزخرفية ، مج١، ص٢٧٥.

(٣) الإدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٩٤؛ محمد فهمى إمبابى :"مكانة علم الفلك فى الأندلسى ى عصر الدولة الأموية مجلة المؤرخ العربى، اتحاد المؤرخين العرب، عدد١٤، ص ص ٨٠-٨١؛ وداد القاضى: المرجع السابق، ص ٨٠-٨١.

تنوعت الثروات المعدنية فى جزيرة صقلية فتمكن العرب والمسلمين من استخراج الحديد الذى استخدم فى العديد من الصناعات، والذهب، والفضة ، والنحاس والكبريت والشب والملح المعدنى والكحل والرصاص، والزئبق، ومعظم المعادن إلى كانت معروفة آنذاك، من طبقات الأرض، واستخرجوا الرخام بمختلف أنواعه (الرقيق والعادى) ومن الأحجار المشهورة فى صقلية، الكلس، والجص، كما وجد فى صقلية القار، ولقد تركز معظم الإنتاج المعدنى فى صقلية فى منطقة جبل النار،أما النفط فقد كان أساس صناعة الشمع، وكان يستعمل فى طلاء السفن كما أستخرج منه الزفت والقطران واستخدام مع إضافة الكبريت له كسلاح، وتم انشاء داراً للصناعة فى مدينة الخالصة حيث كانت تصنع فيها السفن الحربية التى يدخل فى صناعتها الحديد والخشب والنسيج كأشرعة للسفن، ووجد بصقلية أكثر من دار للصناعة، تعتمد فى الأساس على معدن الحديد [1].

أما المعادن الثمينة مثل الذهب والفضة، حيث استخرج الذهب من جبل النار الذى يطلق عليه (جبل البركان أوجبل الذهب) ،ولقد أستخدم كل من الذهب والفضة فى صناعة الحلى، كما استخدما المعدنين فى سك النقود، حيث سكت العملة فى صقلية، (فئة الربع دينار) ، كما ضربت بصقلية قطع أصغر تسمى الخرنوبة ، وبدأ العمل بدار الضرب فى سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م ، وانتهى فى ٤٥٦هـ/١٠٦٣م، وكما دخل الذهب فى صناعة النسيج وأسرجة الخيول وأغمدة السيوف، وكان لكل هذه الصناعات مصانع يطلق عليها دار طراز الملك[2] ، أما النحاس استخدم فى صناعات القناديل المستخدمة فى إضاءة الشوارع والقصور والمساجد ،واستخدم العاج، فى صناعة العلب العاجية والأبواق، وكانت تتم زخرفته بزخارف بارزة من صور حيوانات وطيور وغيرها، وكان يظهر عليها التأثير البيزنطى والفاطمى أيضا، وانتشرت صناعة الخزف وتلوينه وخصوصا فى بلرم ومازر، ووجدت صناعة القيشانى والفسيفساء من

(١) القزوينى: أثار البلاد، ص ٢١٥؛ امارى: المكتبة الصقلية، ص ٢١٠؛ أحمد توفيق المدنى: المسلمون فى جزيرة صقلية، ص ١٤. عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ٤٦؛ أدم ميتز: الحضارة الإسلامية، ص ٢٧٣،

(٢) الإدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٩٦؛ ابن جبير: الرحلة، ص ٢٣١؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٩؛ زكى محمد حسن: كنوز الفاطميين، ص ٤٢؛ وجيده عزب : النقود الإسلاميه ، ص١٣٤ .

الرخام أو الجص وقد استخدم القيشانى الملون فى أرضية القصور ورسمت عليه العديد من الصور، والمشاهد وكان لصقلية فضل نشرها فى أوربا ، وانتشرت صناعة الأوانى الفخارية فى صقلية على ضفاف أنهارها(١).

كما قامت فى صقلية العديد من الحرف الأخرى مثل دبغ الجلود وصناعة الأحذية وكان لها سوق خاص فى بلرم ، كما ظهرت فى صقلية صناعة العطور، وكان لها سوق خاص فى بلرم، وهو سوق العطارين، ووجدت صناعة الورق المصنوع من الكتان والقنب ثم استبدلوه بالبردى والجلد المرقوع وكان يستخدمان للكتابة ،وتعد صناعة الورق من المساهمات الحضارية التى انتقلت لأوربا، فتنوعت الحرف والصناعات فى صقلية وازدهرت نتيجة لوفرة الموارد الطبيعية ووجود الأيدى العاملة الماهرة، حيث ذكر كورتيس Courtis أن المسلمين فى صقلية وصلوا فى الصناعة إلى مرحلة عالية من الدقة والارتقاء.(٢)

التجارة:

ازدهرت التجارة فى جزيرة صقلية واتسع نطاقها وذلك لموقع الجزيرة الجغرافى المتميز، حيث كانت تطل إحدى جهاتها على البحر المتوسط، فأصبحت بذلك مركزاً تجارياً هاماً ومحطة عبور وصلة بين تجارة قارات العالم القديم (أوربا وأفريقيا وأسيا). بالإضافة لتنوع المحاصيل الزراعية والنتجات الحيوانية والصناعات المختلفة ، هذه العوامل ساعدت على ازدياد النشاط التجارى، وكذلك التشريعات والقوانين الإدارية التى سنت للمحافظة على التجارة وحقوق التجار، وتوفر أماكن لإقامة التجار مثل الدور والفنادق، وكذلك الإهتمام العظيم الذى بذله الولاة لتشجيع التجارة والنهوض بها، فقد عقد الفاطميون وولاتهم على صقلية العديد من المعاهدات التجارية مع الممالك المسيحية فى القسطنطينية وإيطاليا لضمان حرية التجارة بين البلاد (٣).

---

(١) ابن جبير: الرحلة، ص ٢١٩؛زكى محمد حسن: فنون الإسلام، ص ص ٥٩٢- ٥٩٦؛ عثمان الكعاك: الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط، ص ٤٧-٤٨؛غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٠٩.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١١٩ -١٢٢؛ أمين توفيق الطيبى:دراسات فى تاريخ صقلية،ص ١٢٥.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٤٦؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٢٩؛ أدم متز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص ٦٨.

التجارة الداخلية

ازدهرت حركة التجارة، وعمت الأسواق كافة مدن وقرى جزيرة صقلية، فلم تضع الدولة قيوداً على التجارة الداخلية نجد سيطرة اليهود على تجارة الذهب والرقيق، كما عملوا فى الصرافة والصياغة والدباغة ، وراجت تجارة الذهب والفضة، وتجارة المواشى واللحوم ومنتجاتها والمنسوجات المختلفة، والفواكه والأغذية والسكر والحناء، والعسل ،والبنفسج ،والعطور ،والبردى ،هذا إلى جانب المنتجات الصناعية المصنوعة من المعادن كالحديد و النحاس والكبريت والرخام والجرانيت والمالح والنشادر والرصاص والكحل والشب والأدوية.وكل سلعة لها سوق خاص، و راجت فى الأسواق سلع الأدوات المنزلية مثل القدور والصحاف والأوانى والطسوت، وكذلك والسكاكين والسيوف والطبول، والمزامير، والقناديل، والزجاج والقوارير، وكانت بعض هذه المنتجات الصقلية الأصل تحمل علامات أو إشارات تدل على مكان إنتاجها ،وتنوعت الأسواق فى الجزيرة فمنها الأسواق المحلية، والتى تقوم بتوفير الحاجات اليومية، والأسواق الأسبوعية والتى تعقد مرة واحدة كل أسبوع، والأسواق الشهرية ، وهى التى تعقد مرة كل شهر، والأسواق الموسمية وكانت تعقد مرة أو مرتين فى السنة، ووجدت فى مدن (ثارو وجرجنت) ، وكانت الأسواق تعقد نهاراً، وفى بعض الأحيان تمتد للمساء، وخاصة فى شهر رمضان المبارك حيث تضاء بالقناديل والشموع ، وكانت مدينة بلرم أهم المراكز التجارية التى يؤمها الناس من سائر أنحاء الجزيرة، فقد اشتهرت بأن لكل سلعة تجارية (سوق خاص بها)، كسوق الزياتين ، والدقاقين والصيارفة والصيادنة والحدادين والعياقلة وأسواق القمح والطرازين والسماكين والأبزاريين، وباعة البقل وأصحاب الفاكهة والجزارين، حيث وجد بها ودون المائتى حانوت لبيع اللحم "واشتهرت مدن قصريانه مسينا ومازر بأسواقها الضخمة المنظمة بينما مدينة الخالصة وهى مقر وسكن الولاه وأتباعهم، فلم يقم بها أسواق لأهميتها العسكرية وفى أواخر حكم الكلبيين، أصبحت مدينة مفتوحة لعامة المسلمين، وأقيمت بها الأسواق [1] .

إلى جانب ذلك اهتم الحكام بفرض الرقابة على الأسواق فكانت وظيفة المحتسب ومن وظائفها الأخرى الرقابة والإشراف على الأسواق وحماية الناس من الغش والاستغلال

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١١٩؛ الأدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٩٥-٦٠٣؛ المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٢؛ حامد زيان غانم: الحضارة الإسلامية فى صقلية، ص ٥٣ ؛غوستاف لوبون: حضارة العرب

ومراقبة الموازين والمكاييل والتأكد من سلامتها والتأكد من الأسعار والإشراف على أعمال الخبازين والصاغة وغيرها من الأعمال [١].

التجارة الخارجية :

كان لموقع صقلية الجغرافى كجزيرة فى البحر المتوسط واعتمادها عليه فى تجارتها الخارجية فكانت تربطها طرق بحرية هامة بمعظم الدول الإسلامية وغير الإسلامية، فساعدها ذلك فى انتشار منتجاتها ،ومن هذه الطرق البحرية الهامة: الطريق الذى يربط بين مدينة مازر الصقلية ومدينة سوسة الأفريقية ، ويبلغ طوله مسيرة ثلاثة أيام بالسفينة. والطريق الثانى فيتمثل فى عبور السفن المحملة بالبضائع بالمجاز الذى يفصل صقلية عن جنوب إيطاليا، والجدير بالذكر أن إيطاليا أخذت حق التنقيب فى مناجم صقلية من الدولة الفاطمية، كما كان تجار هذه المدن يحصلون على زيت الزيتون والسلع الشرقية وبعض المصنوعات من بلرم. [٢].

الطريق الثالث فهو يربط صقلية بالشام، ويبدأ من صقلية مروراً بجزيرة كريت ثم جزيرة قبرص ثم بلاد الشام، ويستغرق هذا الطريق بالسفن خمسة وثلاثين يوماً، ولهذا الطريق مواسم معينة للسفر من خلاله. فقد كان يفضل السفر من الشام إلى صقلية فى فصل الربيع وخلال شهرين فى فصل الخريف، وهذا الطريق تمر به السفن وكذلك الحجاج، وكان الطريق الرابع يبدأ برياً ثم ينتهى بحرياً، حيث أنه يبدأ من الإسكندرية، وكانت من أهم المراكز التجارية فى العصر الفاطمى وقد كان هذا الطريق محاذياً للشاطئ حتى المغرب ثم يتجه إلى صقلية، كما أنه هناك طريق مباشر بين مصر وصقلية وهو حوالى عشرين يوماً بالسفينة وأحياناً ثلاثين يوماً، ويتحدد ذلك تبعاً لشدة الرياح. هذا فضلاً وجود موانى على الجزيرة تعد من أهم المراكز التجارية لها، حيث تمر بها السفن التى تأتى من إيطاليا وأوربا، وكانت أيضاً محطات لعبور السفن من الشام إلى الأندلس. [٣]

واشتهرت موانى بلرم Balrmo التى تعتبر من أهم موانئ صقلية والتى اشتهرت كمركز تجارى هام، فجميع السفن المتجهة إلى إيطاليا والأندلس و الشام كانت تمر بها ، أما مدينة

---

(١) الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، ص٧.

(٢) عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية فى صقلية، ص ١٩؛ حامد زيان غانم: الحضارة الإسلامية، ص ٤٠؛ مارتينو مورينو: المسلمون فى صقلية، ص ٤١؛ صابر محمد دياب دراسات، ص ٩١-١٠٠.

(٣)الإدريسى: نزهة المشتاق، ج٢، ص ص ٦٠١-٦٠٢؛ ابن جبير: الرحلة، ص ٢٢٤؛ ؛ أحمد مختار العبادى، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية، ص ١٥٤ ؛راشد البراوى: حالة مصر الاقتصادية، ص ٢٩٤.

مسينا Masina أصبحت ذات شهرة تجارية واسعة نظراً لإشرافها على المجاز الذى يفصلها عن إيطاليا ،واصبحت مدينة مازر Mazar من أهم المن التى اعتمدت عليها التجارة الخارجية وذلك لقرب موقعها من الشواطئ الإفريقية، وأن السفن القادمة من الأندلس، والمتجهة إلى الديار المقدسة وطرابلس والإسكندرية كانت تمر بها. (١)

وكانت موانىء صقلية مجهزة للتجارة والسفن،ووجدت بها كافة التسهيلات للتجار، والذين كانوا يحملون معهم الهدايا والتحف من الأماكن المقدسة (مكة-المدينة-بيت المقدس) والتى كانوا يبيعونها ويشترون بثمنها المنسوجات وبعض سلع صقلية المعروفة برخص ثمنها، كما كانت صقلية بالنسبة للفاطميين فى مصر بمثابة نقطة اتصال بينهما وبين أوربا، حيث تغادر السفن من مصر متجهة إلى سواحل غرب إيطاليا وجنوب فرنسا وأيبريا مروراً بها وكانت الإسكندرية بمنارتها الشهيرة تشاهد من على بعد عشرين ميلاً فى البحر، وهى مركز العلاقات التجارية بين مصر وصقلية. وشملت قائمة الصادرات الصقلية المحاصيل والحبوب الغذائية، والأخشاب الصقلية الجيدة والكتان والقطن والسكر والصنوبر والقسطل والبندق (٢)

ومن أهم هذه المراكز من أفريقية إلى صقلية هى صفاقس والمهدية وسوسة وإقبلية ، ومن صقلية إلى إفريقية كانت مرسى على والشاقة و طرابنش وقلعة شكله، أما المدن الإيطالية والدولة البيزنطية عموماً فقد كانت تربطها بصقلية علاقات تجارية رغم الحروب الطويلة بينهما، وامتدت هذه العلاقات فى فترات الهدنة بين الكلبيين والبيزنطيين، والمدن الإيطالية خاصة فى الفترة من ٣٥٤-٤١٦هـ/٩٦٥-١٠٢٥م، ومما تجد الإشارة إليه أيضاً أن التجار اليهود كان لهم دوراً فى أزدهار التجارة الخارجية فى العصر الفاطمى، حيث ظهرت تجارة البضائع الخفيفة الحمل، المرتفعة الثمن، والتى تدر أرباحاً طائلة- وكان هؤلاء التجار ينقلون هذه التجارة من بلاد الشرق إلى أوربا، وكانت بلرم مركزاً هاما من مراكز نشاطهم، ولكن تحسن العلاقة بين المدن الإيطالية والفاطميين ومن تابعهم أدى إلى انزواء دور هؤلاء التجار اليهود، ومع التوسع فى التجارة وأزدياد حركتها بين الأقطار

---

(١) المقدسى:أحسن التقاسيم، ص ٢٣٩؛ ف. هايد: تاريخ التجارة، ج١،ص٧٥؛راشد البراوى:حالة مصر، ص ٢١٥.

(٢)المسعودى: مروج الذهب، ج١، ص ٣٥٩؛ المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٢؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٩٩؛ أرشيبالد ر لويس: القوى البحرية، ص ٣١٠..

ظهرت "البراءة" وهى تعنى أن صاحبها سدد الضرائب المقررة عليه، حيث كان لا يستطيع أى مسلم أو غير مسلم التنقل بدونها حتى ولو كان داخل حدود بلاده، والبراءة هى ضمان التحرك والسفر بالبضائع داخل وخارج أقطار البحر المتوسط وقتذاك. (١)

(١) اليعقوبى: البلدان ، ص ١٠؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٩٥؛ أرشيبالد ر. لويس: القوى البحرية، ص ٧٥ف. هايد: تاريخ التجارة، ج٣، ص ٦٥ ؛ صابر محمد: نفسه، ص ٥٢، ٧٦.

الحياة الإجتماعية:

- عناصر وطبقات المجتمع فى صقلية.
- بعض مظاهر الحياة الاجتماعية
  - (المواسم والأعياد- الملابس والزينة الطعام والشراب وسائل التسلية والمنتزهات– المسكن – الحمامات)

عناصر وطبقات المجتمع في صقلية.

اجتذبت صقلية بموقعها الجغرافي الفريد، وخيرتها العديدة كثيراُ من العناصر من جهات مختلفة لتصبح موطناً جديداً لهم ،وهذا النزوح أثرى من مظاهر الحضارة، حتى صارت الجزيرة مجالاً خصباً لتلاقى الثقافات وأوجه الحضارات المختلفة، فضمت جزيرة صقلية قبل الفتح الإسلامي لها، جماعات متباينة من السكان مثل (الرومان واليونانيون والقوط الشرقيون، كما كانت صقلية منفي للمجرمين المذنبين والمتمردين من رعايا الدولة البيزنطية، كما هاجر اليها اليهود والعبيد، وكذلك مجموعات من القرطاجيين) ونظراً لوجود هذا المختلط من العناصر مع عدم وجود رابط بينهم ، مما أفقد صقلية هويتها الخاصة بها [1].

واللغة اللاتينية هى اللغة السائدة بين أهل صقلية ، بينما كانت اليونانية هى اللغة الرسمية للجزيرة ، كما ارتبطت كنيسة صقلية ببطريكية القسطنطينية، فرغب المسلمين فى فتحها لرغبتهم فى تطويق القسطنطينية .

وعندما دخل المسلمون الفاتحون صقلية كانوا يشكلون عناصر عدة وأصول عرقية مختلفة، إلا انهم جميعاً كان يربطهم رباط واحد مقدس آلا وهو الدين الإسلامي ويمكن القول بأن عناصر السكان في أعقاب الفتح الإسلامي للجزيرة وحتى حكم الكلبيين كانت علي النحو التالي:

أولاً : العرب:

يعود الوجود العربي في صقلية إلي القبائل العربية التي تشكل منها جيش أسد بن الفرات فى عام ٢١٢هـ/ ٨٢٧م وإلي الإمدادات العسكرية المتوالية التي لحقت به ، اضافة إلى الهجرات المتتالية من مصر والشام والأندلس، ومن أفريقية نتيجة للظروف الاقتصادية والسياسية ، وقد تمركز العرب في بلرم وماز، وكانت أعدادهم متوسطة في نوطس ، كما وجدوا بقلة في دمنش وطرابنش وجرجنت،ويرجع توطن

(١) إحسان عباس : العرب في صقلية ،ص ٢٩؛ حامد زيان: الحضارة الإسلامية في صقلية ،ص ٩٨
CF: Amari (Michele) op. cit, vol 1 ,p320.

العرب في هذه المناطق إلي خصوبة ترتبها، واهتمامهم بالزراعة ،وساعد علي ذلك قربها بحرياً من السواحل الإفريقية، وتجلي الدور العربي بوضوح في صقلية الإسلامية حيث كان منهم الحكام، والقادة، والعلماء، والفقهاء، والأدباء [1].

٢-البربر:

كانت هجرة البربر الأولي إلي صقلية مع الرومان الذين طردهم المسلمون بعد فتح إفريقية عام ٦٩هـ/ ٦٨٨م، ومع دخول من تبقى منهم بافريقية الإسلام وانضموا تحت لوائه ،كما انضموا أيضاً إلي الجيش الإسلامي صقلية كما ظهر دور قبيلة كتامة البربرية مع الفاطميين في المغرب وإليها يتسني وإلي صقلية السابق الحسن بن حنزير من قبل الفاطميين (٢٩٧-٢٩٩هـ/٩٠٩-٩١١م) ، ومن القبائل البربرية في صقلية كانت، زناته ، ولواته ومزيزة، ومليلة ، وقد استقر المغاربة البربر مع العرب في بعض الأماكن إلا أن هذا لم يمنع تمركزهم في أماكن تحمل أسماء مغربية خاصة بهم،والتي كان من أهمها في بلرم،وحول الياج ، وكثر عددهم في كل من جرجنت وفي جنوب مازر حتي مدينة اليكاتا licata، وكان تجمعهم في المناطق الرعوية مثل جلفوذى، وقرليون، والمناطق التى اختارها البربر تناسب طبيعتهم التى اعتادوا عليها فى افريقية، وبرز البربر فى المجتمع الصقلى كجنود محاربين وكفلاحين مجتهدين وكصناع مهرة خاصة في صناعة السفن[2]، أما فى المجال العلمى يعتقد بعض الباحثين بأن انتاجهم العلمى تميز بالندرة ، ولكننى لا أتفق معهم والسبب فى ذلك قلة وندرة الدراسات التى تتناول الجوانب العلمية فى تاريخ صقلية .

١- الفرس والعناصر الإسلامية الأخرى:

ينتمي أسد بن الفرات فاتح صقلية إلي أصل فارسى، حيث كانت هناك أعداد كبيرة منهم في جيش الفتح، ومن أشهر عناصر الفرس الذين استوطنوا صقلية ،

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٣٦٨؛ ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ص ١٣٠-١٣١؛ إحسان عباس:العرب في صقلية ص ٥٩؛ عبد المنعم رسلان:الحضارة الإسلامية في صقلية ،ص ص ٤٧-٤٨.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب،ج١، ص٢١٦؛ابن خلدون: العبر ،ج٤،ص٢٠٧؛ أحمد توفيق المدني :المسلمون في جزيرة صقلية ، ص ٣٥ ؛ أمبرتو ريزيتانو : الأدب العربي في صقلية ،ص ٩٤؛ إحسان عباس :العرب في صقلية ،ص ٦٤.

بنو الطبرى، وهم من أعيان بلرم، وترجع أصوالهم إلي طبرستان ، وتشير المصادر إلي توطن هؤلاء الفرس في كل من بلرم ومازر.،برز الفرس في مجالات عديدة، وكانت لهم أسهامات واضحة في صقلية ، حيث عرف منهم الفقهاء والعلماء ، وكانت لغتهم العربية[١] ، كما نزح إلي صقلية الكثيرون، فوجدت في صقلية أجناس ترجع إلي أصول هندية وغيرها، كما كان بعض السكان ينتمون إلي مواطنهم الأصلية مثل المصرى أو الشامى أو الاندلسى، أو الحجازى أو الأفريقى [٢].

٢- الرقيق:

ذكر الأصطخرى "أن صقلية كثيرة الرقيق، وكان الرقيق في صقلية يتكونون من ثلاث فئات : من يؤسرون في الحرب أو أثناء الغارات، ومن يبيعهم النصارى أو المسلمون رقيقاً، وبعض العمال الزراعيون ، وعمل الرقيق في صقلية لصالح مالكيهم، كما أتقن بعضهم اللغة العربية وتعمق في النحو والبلاغة ، ومنهم من أصبح فقيهاً وأحيانا معلماً ، كما أنضم بعضهم إلي الجندية ، أما العبيد السود يتم إحضارهم من أفريقية، الرقيق الأبيض فهم من الصقليين، الذين يجلبون وهم صغار السن من بلاد السلاف عن طريق التجار اليهود ، وكانت لهم سوق خاصة بهم، يباعون فيها، ولهم حارة في صقلية تعرف بحارة الصقالبة،وكان للرقيق ديوان خاص بتنظيم شئونهم' أما الموالي فقد نال بعضهم مركزاً رفيعاً سواء في صقلية أو خارجها ، فمنهم جوهر الصقلي القائد ، ويعيش مولي الحسن الكلبى والذي ولاه المعز لدين الله حكم صقلية عام ٣٥٩هـ / ٩٧٠م. [٣] .

المسيحيين :

كان دين أهل صقلية قبل دخول الإسلام المسيحية[٤]،علي المذهب الملكاني، ومع دخول الإسلام تحول الكثير منهم إلي الدين الإسلامي ، وقد أحسن الولاة معاملة أهل الذمة كما أوصى الرسول ﷺ ، ولقد ذكر " أن عدد هؤلاء المسيحيين

(١) ابن الأبار : الحله السيراء ،ج٢،ص٣٨٠؛ المالكي :رياض النفوس،ج١،ص١٧٣؛ إحسان عباس :العرب في صقلية،ص ٦٥.

(٢) ابن بشكوال: الصلة،ص٢٠٢؛ ابن يسام: الذخيرة، ج١، ص٢٢٤؛ إحسان عباس :العرب في صقلية،ص ٦٥.

(٣)ابن الخطيب : أعمال الأعلام ،قسم ٣،ص ص ١٢٤-١٢٥.

(٤) الأصطخرى: المسالك والممالك، ص ٧.

عند الفتح العربي– كان مليوناً ، بينما بلغ عدد المسلمين ستمائة ألف" ،وتمركزوا في الساحل الشرقي للجزيرة ، وخاصة في سرقوسة، كما سكن بعضهم بلرم،ونوطس،ومازر، ومسينا، ولامنس وفي حوالي عام ٣٣٨هـ/٩٥٠م، أعتنق الكثير من مسينا ومازر ونوطس الإسلام، بينما ظل معظم سكان إقليم دمنش على مسيحيتهم حتى دخل النورمان إلي الجزيرة ، وكان هناك العديد من المناطق التى استعصت على المسلمين فعقدت مع المسلمين هدنة مع دفع الجزية ، وأحيانا ما كان يتعاون هؤلاء مع البيزنطيين ضد المسلمين مما دفع بالأمير أحمد الكلبي لفتح هذه المناطق ومنها طبرمين عام ٣٥١هـ/٩٦٢ورمطة عام ٣٥٣هـ / ٩٦٤م[١].

أماالمسيحيين المقيمين في المناطق الواقعة تحت السيادة الإسلامية فقد تمتعوا بحريتهم الدينية ،وكانت لهم قوانينهم الدينية والمدنية فيما بينهم، فكان القضاة الخاصين بهم يطلق عليهم أسم (الحكماء) ، فكان يقومون بفض المنازعات والقضاء في الأحكام الخاصة بالنصارى، وكذلك جمع أموال الجزية، ولكن حين يكون المسلمون طرفاً في هذه النزاعات، فقد كانت تخضع للحكم بالشرع الإسلامي ، واحتفظ المسيحيون نتيجة تسامح الولاة بعاداتهم وتقاليدهم، وسمح للمسيحيين بمزاولة جميع الأعمال التي يزاولها المسلمون فعملوا في الزراعة والصناعة والتجارة، ، وأتيح لهم الإبقاء علي كنائسهم مع عدم بناء كنائس جديدة لهم [٢] .

٢- اليهود:

عاش اليهود حياة بائسة منبوذة في صقلية قبل الفتح الإسلامى لها ، وفرضت عليهم بيزنطة ضرائب باهظة مما أضطر بعضهم إلي الهروب من صقلية، ومع الفتح الإسلامي عاش اليهود بحرية كبيرة ومارسوا شعائرهم الدينية دون تقييد ، وقاموا بأعمالهم بإرادة حرة، ودون فرض ظرائب باهظة عليها، فبرزوا كتجار، وخاصة في مجالي تجارة الذهب، والرقيق ، وفرضت عليهم الجزية، وعملوا أيضاً في

(١) ابن الأثير: الكامل ،ج٧،ص ٢٨٤؛ عزيز أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية،ص ٣٠؛ مارتينو مورينو :المسلمون في صقلية ،ص ٢٨.

(٢) أحمد توفيق المدني: تاريخ صقلية الإسلامية ،ص ٢٠٩؛عزيز أحمد :تاريخ صقلية الإسلامية ،ص٣٠ - ٤٤؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب،ص ٣٠٩.

مهن الصاغة والدباغة وقزازين، وسكنوا في المدن التجارية، وخاصة بلرم، وكانت لهم حارة تعرف باسم "حارة اليهود" [١] .

طبقات المجتمع :

أصبح المجتمع الصقلى ينقسم إلي عدة طبقات، ساهم اختلاف العناصر السكانية والثراء في تقسيمها علي النحو التالي :

الطبقة الأولي :وهي رأس السلم الاجتماعي وتضم الوالي، وأهل بيته، وحاشيته ومعهم كبار الموظفين من حكام الأقاليم ونوابهم، وقادة الجند، والقضاة ، وهؤلاء جميعاً يعيشون غالباً في سعة ورغد من العيش ، ولهم الثروة والجاه والسلطان، واليد الطولى، والكلمة النافذة بعد الأمير ، ومن الممكن أن نضيف إليهم الجند والحرس ، وأغلبهم من العرب.

الطبقة الثانية :وتنقسم في داخلها إلي طبقتين عليا، ودنيا، أما العليا فتقترب من الطبقة الأولي الأرستقراطية ، وتضم رجال الأدب العلماء، والفنانين ، وكبار التجار، وأرباب الحرف والصناعات أما الدنيا منها فتضم أغلبية الشعب من الزراع والرعاة أو أغلب سكان الجزيرة الأصليين والذين صاروا بعدها موالي مسلمين، وأهل الذمة من المسيحيين واليهود .

الطبقة الثالثة:وتأتي في أسفل السلم الطبقي ،فكانت من الرقيق الذين كانوا أصحاب الأرض الزراعية يستخدمونهم في فلاحة الأرض ، والخدمات الخاصة ، وهذه الطبقة وأن لم يكن لها من الحقوق ما يجعلها في مستوى الطبقات السابقة ،إلا أن الرقيق تحت حكم الكلبيين كانوا أحسن حالاً بكثير من غيرهم [٢].

بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في صقلية الإسلامية :-

المواسم والأعياد وغيرها :-

(١) ابن حوقل: صورة الأرض،ص ١٢٢؛إحسان عباس :العرب في صقلية ،ص ٦٥؛ أدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن ٤هـ ، ص ٦٨.

(٢) زكي محمد غيث : صقلية تحت حكم المسلمين،ص ص ٤٢-٤٣؛ إحسان عباس :العرب في صقلية ،ص ص ٦٣-٦٤؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب،ص ٣٠٩.

تعددت المواسم والأعياد التي احتفل بها أهل صقلية ،فيحيء الاحتفال بقدوم شهر رمضان المعظم علي رأس هذه الاحتفالات ،وقد كانت رؤية الهلال تسجل بواسطة حاكم المدينة وبشهادة شهود العدول، ثم يتم تبليغ الرؤية لباقي المدن المجاورة ، فيعلن الصيام في جميع أنحاء الجزيرة، وكان الاحتفال يبدأ بإضاءة الشوارع ليلاً بالقناديل، ويجتمع الناس لأداء الشعائر الدينية في المساجد والتي كثر عددها في تلك الفترة، كما أنه من مظاهر الاحتفال، أن تضاء الأسواق ليلاً بالقناديل،وذلك احتفالا بالشهر المعظم(١).

عيد الفطر المبارك، وفيه يخرج الناس رجالٍ ونساء وأطفالاً ،وقد تزينو، وتعطروا للعيد وارتدوا أحسن الملابس ، ويجتمعون لصلاة العيد خارج المدن، و ترافقه حاشيته، حيث تدق الطبول والأبواق بهذه المناسبة، وتقام الخطبة في المساجد، ويتم الدعاء فيها للخليفة الفاطمى (٢).

عيد الأضحى كانت الاحتفالات في صقلية بعيد الأضحي لا تختلف عن عيد الفطر ويزيدون عنها بذبح الأضحية ،حيث ذكر المقدسى: "أن الاحتفال بالعيدين في صقلية كان أبهى منه في أى مكان آخر في العالم الإسلامى" ،ومن الاحتفالات الدينية الهامة، عندما كانت صقلية تتبع الخلافة الفاطمية الاحتفال برأس السنة الهجرية، والإحتفال بمولد النبوى الشريف ، وبجانب الأعياد الدينية كان هناك المناسبات الوطنية، فكانت احتفالات النصر علي الأعداء في المعارك،وفيها يخرج الوالي ليتلقي التهاني من عامة الشعب، وكان يصاحب هذه الاحتفالات ضاربوا الطبول وعازفو المزامير ،ويخرج الجيش فيما يشبه الاستعراض العسكرى. (٣)

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ،ص ١٢٦-١٢٧.

(٢) ابن جبير : الرحلة ،ص ص ٢٣٠-٢٣٣؛ ابن الأثير :الكامل ،ج ٨،ص ٢٧٤؛.

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ،ص ٢٣٩.ابن الأثير : الكامل،ج٨،ص٤٧١؛ القاضى النعمان: المجالس والمسايرات، ص ٣٩٧؛عبد المنعم سلطان: المجتمع المصرى،ج١٤٧

وارتبطت بعض الاحتفالات والأعياد في صقلية بالدولة الفاطمية حيث كان الفاطميون يحتفلون في مصر بعيد وفاء النيل أو فتح الخليج، فيقوم الخليفة بإبلاغ عمال الولايات والأقاليم الخاضعة لهم بهذه المناسبة ويطلب منهم إرسال الأموال مشاركة منهم في هذه الاحتفالات مقابل ذلك،كانوا يحصلون من الخليفة علي الهبات والخلع .[١]

ومن الاحتفالات العامة الاحتفالات بالزواج، فكانت الزوجة تختار عن طريق النساء أو الخاطبات ،ومن تقاليد الزواج واحتفالاته في صقلية هو تصاهر الأعيان، وأصحاب المناصب الكبرى بعضهم ببعض حفاظاً علي طبقتهم الاجتماعية التي ينتمون، وكانت حفلات الزواج تقدم فيها الولائم حسب المستوى الاجتماعي، ويرتدي كل من العريس والعروس أزهي حللهم، ولم تكن الحفلات قاصرة علي الولائم فحسب بل يشارك فيها الطرب والدفوف والطبول وأحياناً كانت الحفلات تستمر إلي أخر الليل. [٢]

كما كان الختان من الاحتفالات التي يحتفل بها جميع الطبقات،حيث يقام أحياناً حفل ختان جماعي ،كما حدث في عام ٣٥١م/٩٦٢م وفيه كتب الخليفة المعز لدين الله إلي عماله بالغرب من برقة إلي سيجامسة ، وصقلية بأن يسجلوا جميع الأطفال الذين في أعمالهم علي اختلاف طبقاتهم ، ليختنوا مع أولاده، وأحصي الأمير أحمد الكلبي الأطفال تنفيذاً لرغبة الخليفة،فكانوا خمسة.عشر الفاً، وبدأ الأمير أحمد الكلبي بختان أولاده وأولاد أخواته وهذا في مستهل المولد النبوى الشريف،ثم ختن أولاد الخاصة والعامة،ووزعت الهبات علي سائر المختنين هدية من الخليفة ،والذي أرسل لصقلية مائة ألف درهم وخمسين حملاً من الهدايا،توزع علي الأطفال بهذه المناسبة وكان لأهل الذمة في صقلية نصيب من الاحتفالات، فسمح لهم الحكام، بالاحتفال بأعيادهم الدينية، وكان يتصدر هذه الاحتفالات الرهبان والقساوسة، مرتدين ثيابهم الدينة التقليدية ، فكانوا يخرجون حاملين علماً

---

(١)عبد المنعم سلطان: المجتمع المصرى،ص ص ١٨٨-١٨٩.

(٢)ابن جبير: الرحلة،ص٢٣٧.

أخطر في وسطه برج، وهو علم المسلمين وأخر لونه أحمر في وسطه صليب ذهبي وهو علم المسيحيين. [١]

الملابس والزينة :

كانت تصنع ملابس الحكام والأمراء الكلبيين في دار الطرز الخاصة بهم، وكانوا يرتدون عباءة حريرية موشاة بالذهب ، أما عامة الناس كانت ملابسهم مصنوعة من الكتان وكانت منقوشة، وكان أهل صقلية يلبسون الميازر والعباءة التي يضعونها علي ظهورهم مثنية، وعلي رؤوسهم يضعون العمامة والقلانس الملونة ، وكانوا ينتعلون بالأحذية المصنوعة من الجلد، التى لها سوق خاص بها[٢].

أما النساء فكن يلبسن الثياب الحريرية أو الكتانية ، ويرتدين العباءة ويتنقبن بالنقب الملونة ، ويلبسن الشالات ، كما كانت المرأة تضع إزاراً علي ظهرها كالعباءة ، وكانت ثياب النساء ملونة، ومطرزة أحياناً بالحلي والجواهر، وكانت ثيابهن طويلة تجر أذيالها،وكانت المسيحيات يرتدين ملابس كملابس المسلمات ويذهبن بها إلي الكنيسة، واستمر ذلك حتي دخول النورمان الجزيرة،كما كان النساء يلبسن النعال المذهبة ،وعلي العكس من هذه الملابس المحتشمة كانت ملابس الجوارى والراقصات. [٣]

أما من حيث الزينة لم تكن قاصرة علي المرأة فقط فكان للرجال نصيب منها حيث العطور مصنوعة في صقلية ، فكان التطيب بها خاصة يوم الجمعة والأعياد ، وكانت نساء المسلمات لا تختلف زينتهن عن باقي نساء العالم الإسلامي آنذاك، فكن يتزين بالحلى المصنوعة من الأحجار الكريمة والذهب والفضة،مثل العقود والأسوار والأقراط والخلاخيل وغيرها، وكانت المرأة تتخضب بالحناء ،وتتعطر بالمسك، وأجود أنواع العطور تلك المصنوعة في صقلية، إضافة إلي الكحل [٤] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل،ج٧،ص ٢٧٣؛ أحمد توفيق المدني: وجنوب إيطاليا،ص ١٥٢.

(٢)المقدس :أحسن التقاسيم،ص ٢٣٩؛ محمد كرد علي :الإسلام والحضارة العربية،ج١،ص٢٧٩؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب،ص ٣٠٩.

(٣) ابن حوقل:صورة الأرض،ص ١١٩؛ إحسان عباس : العرب في صقلية،ص ٢٠٢؛ محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية ،ج١،ص٢٧٩

(٤)عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية في صقلية،ص ص ١٢٢-١٢٣.

وتميز أهل صقلية بالإهتمل بالنظافة ، ولكننا نجد ابن حوقل يتحامل عليهم بقوله: "وليس يشبه وسخهم في دورهم وسخ إقرار اليهود ،ولا ظلمة منازلهم،وسوادهم سواد الأتاتين والأفران وأجلهم منزلة يسرح الدجاج علي مقعده،وتذرق الطيور علي مصلاه ومخدته". (١)

الطعام والشراب:

يتم دائماً الحكم علي مدينة أى شعب وتحضره بما يقدم علي موائده من أنواع الطعام وكيفية إعداده وتجهيزه. ،وقد اشتهرت صقلية بمطاعمها الكثيرة كما كان يوجد بها أمهر الطباخين خاصة في بيوت الحكام والأغنياء وامتدت هذه الظاهرة إلي فترة حكم النورمان للجزيرة ،وتنوعت أنواع الأطعمة علي المائدة الصقلية، ولكننا نجد أن ابن حوقل وصف أهل صقلية بأنهم : (كانوا يكثرون من أكل البصل النىء مع وجباتهم الرئيسية، وقد عاب عليهم ذلك بأن البصل " أفسد أحوالهم وغير عقوالهم، ونقص إفهامهم وبلد معارفهم". (٢)

كما أختلف شكل المائدة نفسه ويرجع ذلك لعاملين الأول هو تنوع الفواكه والخضراوات والحبوب في صقلية ، والثاني : الاختلاف في مستوى المعيشة.

وكانت اللحوم من أهم الأطعمة في صقلية نظراً لكثرة الثروة الحيوانية والمراعي بها واشتهرت بلرم ببيع وكثرة اللحوم، وكان بها وحدها مائتا حانوت لبيع اللحوم،أما لحوم الدجاج والطيور عامة، فكانت بيوت أهل صقلية علي كل مستوياتهم عامرة بأنواع الطيور،وأشتهر أهل صقلية بحبهم للحوم الطير وكانوا يصنعون منه المطبوخ والمحشى بأشكال متعددة . (٣)

ومن أشهر الأطعمة في صقلية الكسكسي المغربي ، والذي لا يزال معروفاً في المغرب العربي وفي صقلية ،ومن المأكولات الهامة أيضاً والتي كانت منتشرة في منازلهم وعلي موائدهم (الأطرية (vermicel)) أو الشعرية ،وهي نوع من المكرونة والتى لا يزال أسمها (eletria) عند الصقليين الآن ومن عندهم انتقلت إلى أسبانيا بأسم (etria) وكانت من أهم صادرات صقلية للخارج والأطرية ، كذلك توفرت منتجات الألبان ، وتوافرت أنواع عديدة من الأسماك، فمنها البحرى ومنها النهرى، وكان للأسماك أسواق خاصة بها في صقلية، وأستعمل، أهلها الزيوت بأنواعها ، وأهمها زيت الزيتون، كما استعملوا السمن في طعامهم.

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض،ص ١٣١.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ،ص ١١٩ - ١٢٣؛ ابن جبير: الرحلة ،ص ٢٢٥،محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية،ج١،ص٢٨٧؛جوستاف لوبون: حضارة العرب،ص ٣٠٩.

(٣). مارتيو مورينو : المسلمون في صقلية ،ص ٣٥.

ومن الأطعمة التي اهتم بها المجتمع الصقلي كانت الحلوى ، وعرفوا نوع من الحلوى يسمونه الإسفنجة sfinge وهى تصنع من الدقيق أو السميط وتعجن بماء فاتر،وتخمر ،وتنضج بالفرن، وتسقي بالعسل والسمن أو الزبد، وتقطع ويوضع عليها لوز وجوز وصنوبر وفستقاً وسكر مدقوق. ، وكان الخبز يصنع في المنازل وخارجها حيث أنتشر الخبازون في المدن لبيع الخبز (١).

أما عن المشروبات في صقلية فقد كان الصقليون يضعون شراباً حلواً من العنب يستخرجونه بعد عصره في مصانع خاصة بذلك ، كما عرف بعض الصقليون شرب الخمر ،وقد وصفها ابن حمديس في شعره،وكانت أشهر مناطق الصناعة وبيع الخمر في بلرم ومسينا، فكانت تشرب خفية، حتي لا يقام على شاربيها الحد (٢)

وسائل التسلية والمتنزهات:

تعددت وسائل التسلية في صقلية، وانتشرت،نتيجة الازدهار الشامل في جميع النواحي وكان من أهمها الموسيقي والغناء والرقص .

وعن الموسيقي فقد دخلت الموسيقى العربية مع العرب إلي صقلية ، ومن الآلات كان العود، والكمان، والطنبور، والقيثارة من الوتريات، والطبل والدف والنقارات من أدوات النقر، والناى والبوق، ومن الآلات النفخ، كما كانت توجد الفرق الموسيقية الخاصة بكل مناسبة (٣)

أما عن الغناء فكان في البداية متأثراً بغناء المشرق الإسلامى ،فكانوا يرددون أشعار قيس، وابن الرومي وجرير،ثم بدأ الصقليون في إظهار الأغاني الخاصة بهم، وكان الغناء فردياً ،وجماعياً ،كما اختلفت أنواعه حسب المناسبة التي يقدم فيها، كالأناشيد الوطنية ،والأناشيد الحماسية،كما أنه توجد أناشيد وأغانى تمجد أعمال الحكام، وهناك أناشيد في الأعياد الدينية ،وغيرها. (٤)

المسكن :

تنوع المسكن في صقلية طبقاً لاختلاف الطبقات واختلاف مستوى المعيشة بين الأفراد، وأيضاً بين سكان الريف والحضر .

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن الأطعمة والأشربة فى جزيرة صقلية أنظر : مجهول : كتاب الطبيخ، ص ١٨٤؛٢٣٢ ؛ابن حوقل: صورة الأرض،ص ١٣٠؛ الأدريسي :نزهة المشتاق،ج٢،ص٥٩٦ ؛ المالكي :رياض النفوس،ج٢،ص١٤٢؛عثمان الكعاك: الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط ،ص ٨٦ ؛مارتينو مورينو : المسلمون في صقلية ،ص ٣٥.

(٢) ابن حمديس: ديوان بن حمديس، تحقيق: إحسان عباس (بيروت :دار صادر) ص ١٩عبد الرحيم يوسف الجمل: الشعر والشعراء في صقلية،ص ص ٤٢٤-٤٢٥

(٣)عثمان الكعاك: الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض ،ص ١٩٥

(٤). الأصفهاني : الخريدة ، قيم ٢٣، ص ص ٣ ،٦ ؛ شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ،ليبيا وتونس وصقلية(القاهرة:دار المعارف،١٩٩٢م) ص ٣٨٦.

القصور:

سكن الأمراء والحكام الكلبيين فى القصور التى كانت تقام علي مساحات واسعة من الأراضى، ومن القصور الهامة معمارياً قصر الأمير جعفر الكلبي (٣٨٨-٤١٠هـ/ ٩٩٨-١٠١٩م) وهو يشبه القلعة حيث أقيم علي منطقة مرتفعة ولذلك أطلق عليه أسم " قلعة جعفر " وعرف أيضاً بقصر الفوارة.[١] لوجود (نافورة) في وسط صحن القصر ، وزين القصر من الداخل برسومات وزخارف، وكما أحيط به من الخارج البساتين،[٢].أما العامة فكان لكل شخص منزل خاص به يتبعه مسجد [٣] وشيدت المنازل في بلرم من الأحجار [٤]

الحمامات

ومن المنشأت الصحية والاجتماعية الحمامات،فقد آشارت المصادر لوجود الحمامات في كثير من المدن مثل بلرم الخالصة،مازر،ومسينا،وجلفوذى،وكانت في بنائها وزخرفتها تحاكي الحمامات العربية الموجودة في الأقطار الأخرى ٠ [٥]

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض ، ص١٢٢.

(٢) ابن جبير : الرحلة ،ص ٢٢٨؛مارتينو مورينو : المسلمون في صقلية ،ص ص ٥٢-٥٣.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض،ص ١٢١.

(٤) مارتينو مورينو : المسلمون في صقلية ،ص ١٥٣.

(٥)عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية ،ص ١١٢؛ فون شك:الفن العربي في أسبانيا وصقلية ،ص ٩٧؛ إيمان فؤاد على أحمد الجويلى : صقلية فى عهد الأسرة الكلبية ، ١٥٣- ١٧٧.

الفصل الرابع

الحياة العلمية فى جزيرة صقلية

- المراكز الثقافية والعلمية فى صقلية.
- العلوم النقلية.
- علوم اللغة العربية وآدابها.
- العلوم العقلية.

الحركة العلمية فى صقلية

كانت صقلية منبع حضارات قديمة متنوعة لاتينية، وإغريقية ثم عربية إسلامية فتركت كل منها بصماتها ومعالمها واضحة على مسار الجزيرة الثقافى، كان لانتشار الإسلام واللغة العربية دور فى الحركة العلمية، حيث عرف أهل صقلية اللغة العربية قبيل الفتح وذلك من خلال نشاطهم التجارى مع أهل إفريقية وبلاد الشام ، كذلك كان لوجود الموالى فى قصور الأمراء، بالإضافة لمعرفتهم الإسلام واللغة العربية عندما تم فتح الجزيرة وتم الإختلاطهم بالعناصر المسلمة ، حيث تدفقت الهجرات العربية علي صقلية منذ فتحها، كذلك تزوج الأمراء الأغالبة من صقليات وأسوة بالأمراء تزوج كثير من العرب الفاتحين بالصقليات، كما أن الجندى العربى الفاتح لصقلية لم ينتقل للجزيرة بمفرده بل بقبيلته، حيث كانت نية فتح صقلية للإستقرار، فكان ذلك بمثابة عامل أساسى لنشر اللغة العربية، وكذلك انتقال القراء والفقهاء والعلماء والأدباء، هذه الأسباب عملت على سرعة انتشار اللغة العربية، والدين الإسلامى فى الجزيرة.[١] .

وتقدمت الحياة العلمية والثقافية فى جزيرة صقلية لأسباب عدة كذلك منها على سبيل المثال لا الحصر : (إهتمام الولاة والأمراء فى جزيرة صقلية بالعلم والأدب فكانت قصورهم تزخر بمجالس العلماء والأدباء والشعراء، بالإضافة لإنتشار حرفة الوراقة لتوافر زراعة البردى فأزدهرت العلوم والمعرفة ، وكانت للوراقة سوق خاص فى بلرم، ومن أصحاب الوراقة فى صقلية عباس بن عمرو بن هارون الكنانى، ومحمد بن عبدون السوسى.[٢] و كان لشيوع الرحلة فى طلب العلم أثر ملموسً فى تقدم النواحى العلمية فى جزيرة صقلية ، حيث رحل العلماء والأدباء إلى بلاد المشرق والأندلس ومصر والقيروان أما للرحلة فى طلب العلم أو لأداء فريضة الحج ثم العودة إلى صقلية والمشاركة بدورهم فى نشاط الحركة العلمية بها، وكان لرحلات العلماء دور كبير فى تقدم علم كما علم القراءات فى صقلية[٣] مثل

---

(١) حامد زيان غانم: الحضارة الإسلامية فى صقلية، ص ٤٤؛ حسن خضيرى : مدينة بلرم وحياتها الفكرية ،ص ١٠٧؛ عثمان الكعاك: الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط، ص ص ١٢٤، ١٢٦.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ؛ ابن الفرضى: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس، ج١، ص ٣٤٣؛ أمين توفيق الطيبى: دراسات فى تاريخ صقلية، ص١٢٦ -١٢٧.

(٣) الدورى: صقلية وعلاقتها بدول حوض البحر المتوسط، ص ص ٢٥٠-٢٥٣.

رحلة محمد بن خرسان الصقلى (ت ٣٨٦هـ/٩٩٦م) الذى اتجه لمصر لطلب العلم ، وبعد عودته لصقلية، ذاعت شهرته فى علم القراءات ، وكذلك (أحمد أبو العباس الصقلى) الذى رحل للمشرق، ثم عاد إلى صقلية، وأخذ مكانه بين المتصدرين للقراءات، وكان من أشهر تلاميذه أبن بنت العروق [١] ، لذلك تقدمت الحركة العلمية فى صقلية فى القرنيين الرابع والخامس للهجرة / العاشر والحادى عشر الميلادى، حتى غدت مجتمعاً لأهل العلم والأدب من سائر أنحاء العالم، لقربها من المراكز الحضارية الهامة فى القيروان والأندلس[٢].

مراكز الحركة العلمية والثقافية فى صقلية:

أصبحت صقلية تضم العديد من مراكز العلم والثقافة والتى قامت بدورها فى إزدهار الحركة العلمية، وقد تجلى ذلك أن أصبحت صقلية عامرة بالمكتب المنتشرة فى كل مكان، وكان لكل مكتب حوالى خمسة معلمين، ولهم مدير، وكان يلتحق للتعليم بالكتاب أعداد كبيرة من التلاميذ صغار السن، فكان كل معلم يدرس مجموعة منهم، ويتلقى الطلاب فى الكتاتيب علومهم الأولى، وبعد إتمامها ينتقل الطلاب إلى مرحلة علمية أعلى، وهى حلقات الشيوخ بمساجد صقلية [٣]

اما المساجد وهى أهم المراكز العلمية فى صقلية، فضلاً عن كونها دوراً للعبادة حيث ضمت بلرم وحدها نيفا وثلاثمائة مسجد، وهى تعتبر دليلا على نشاط الحركة العلمية فى بلرم، و على كثرة أعداد المسلمين، ومن أهم مساجد بلرم المسجد الكبير ، ومسجد ابن سقلاب، ومسجد القصابين، والذى يعد من المساجد الكبيرة الجامعة ، أما مسجد قصر سعد، هو من المساجد المعلقة التى ظهرت فى صقلية قبل مصر بأكثر من مائة عام، ومزين بالزخارف من الداخل وفى الخارج ، وكان المعلمون فى صقلية مبجلين من قبل الناس ، وكان المعلم يتقاضى حوالى عشرة

(١) ابن الجزرى: غاية النهاية، ج٢، ص ١٣٤- ١٣٦؛ السيوطى: بغية الوعاة، ج١١، ص ٩٩. السلفى: معجم السفر، ص٢.

(٢) محمد محمد زيتون: القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، ص ٤٤١.

(٣)ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٢٦.

دنانير فى السنة، ولم تقتصر مهنة التدريس على طبقة معينة، فقد زاولها أيضاً كثير من أعيان الجزيرة، ومن المعلمين فى صقلية محمد بن عيسى بن مطر.[١]

أما الرباطات فكانت بجوار أهميتها العسكرية والدفاعية لها أهمية علمية كأحد مراكز العلم فى صقلية، وأما عن المكتبات وهى من أهم المراكز الثقافية ونتيجة لكثرة وغزارة الإنتاج العلمى فى صقلية، واقتناء المؤلفات من مختلف أنحاء العالم الإسلامى، وفى كافة المجالات، وكانت المكتبات منتشرة فى المساجد والرباطات والمدارس وقصور الحكام و الأمراء، حيث تعد مكتبة (بنى الحسين الكلبيين بالقصر الكبير) من أهم المكتبات وأستمر هذا العرف فى فترة حكم الطوائف، فكان لابد من وجود مكتبة فى القصر، وبهذا غدت بلرم من المراكز العلمية الهامة لكثرة مساجدها وأماكن الدرس والعلم بها، وكانت تجذب إليها طلاب العلم والعلماء والفقهاء ، وهى بذلك أعلنت وكانت تذكر مع القاهرة والقيروان، كمركز ثقافى هام، فهاجر إليها العلماء والأدباء من كافة الأمصار الإسلامية [٢].

العلوم النقلية:

تركزت الجهود فى العصر الإسلامى الأول فى سائر الأمصار الإسلامية على دراسة العلوم الإسلامية الخالصة حيث كان أكثر العلماء الذين برزوا حينذاك من طائفة المحدثين والفقهاء ،من أرباب اللغة العربية والعلوم الشرعية ويعد علم القراءات من العلوم الإسلامية الخالصة فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للمعرفة عند المسلمين على مختلف عصورهم، ولذلك كان الاهتمام بدراسته من حيث ضبط حروفه، وتفسيره[٣]، ولقد أرسى العلماء الأوائل من بصقلية دعائم هذا العلم واستمدت صقلية علم القراءات من القيروان فكانت قراءة نافع هى الأساس الأول فى علم القراءات فى صقلية ، كما كان لمصر بعد انتقال الفاطميين عليها دور فى

(١) السبكى: طبقات الشافعية، ج٣، ص ٢٥٥. ابن جبير: الرحلة، ص ١٢٧- ١٢٨؛ محمد الجهينى: عمارة صقلية فى العصر الفاطمى، ص ٢٠؛ احسان عباس: الغرب فى صقلية، ص ٨٨

(٢) تقى الدين عارف: صقلية وعلاقتها بدول حوض البحر المتوسط ص ٧٨؛ إحسان عباس: العرب فى صقلية ،ص ٨٦.

(٣)الزركشى: البرهان فى علوم القرآن، تحقيق:محمد أبو الفضل (القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٠م) ط١، ص ص ١٦-٢١.

توجيه القراءات فى صقلية، حيث اتجه إليها بعض العلماء الصقليين، ونقلوا عن علمائها، ومن بين القراء فى صقلية برز إسماعيل بن خلف بن سعد بن عمران المعروف بأبى الطاهر (ت ٤٠٦هـ/١٠٦٣م) وكان عالماً فى القراءات والنحو، إتجه إلى مصر لطلب العلم، ولتفوقه العلمى تصدر للقراءات بجامع عمرو بن العاص [١]، أما أبو بكر محمد بن أبى الحسن على الأذرى الصقلى المعروف بابن بنت العروق، (ت ٤٦٩هـ/١٠٦٧م)، من تلاميذ أبو العباس الصقلى، وخرج للرحلة فى طلب العلم متجهاً للقيرون، ثم عاد لصقلية وكان ضابطا لقراءة ورش حيث ذاعت شهرته فى صقلية فوفد عليه الطلاب من الأندلس. [٢]، ومن أشهر علماء صقلية فى الإقراء والنحو هو عبد الرحمن بن عتيق بن خلف الصقلى، المعروف بأبن الفحام، ويكنى أبا القاسم (٤٢١-٥١٦هـ/١٠٣٠-١١٢٢م) و بلغ ابن الفحام فى مصر مكانة مرموقة بين علمائها فأطلق عليه لقب شيخ الإسكندرية حيث أقام فيها فى الفترة (٤٣٨-٥٠٤هـ/١٠٤٦-١١١٠م). وكان متصدراً للقراءاة ضابطاً للقراءات السبع[٣] .

علم الحديث :

يعد علم الحديث فى الأهمية بعد القرآن الكريم كمصدر من مصادر التشريع الإسلامى، ومن أشهر هؤلاء العلماء على بن الحسن الصقلى القزوينى (ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م) ومن أشهر مؤلفاته "سرور الأسرار فى كلام الشيوخ الأخيار، ووصف بأنه حافظاً[٤] ، ونبغ أبو بكر الفرضى الصقلى وهو أحد الفقهاء فى صقلية له دوره فى علم الحديث، ومن المحدثين الصقليين أبو بكر بن عقال الصقلى، وأبو بكر عتيق بن على بن داود بن سجير التميمى المالكى الصقلى المعروف بالسمنطارى (ت٦٤٢هـ/١٠٧١م) [٥]

(١)ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص ١٠٥؛ ياقوت الحموى: معجم الآدباء، ج٦، ص ص ١٦٥-١٦٦؛ ابن الجرزى: غاية النهاية، ج١، ص ٣٥٧؛ حسن خضيرى: مدينة بلرم وحياتها الفكرية، ص ١٠٢

(٢) المقريزى: المقفى، ج٦، ص ٣٩٦.

(٣) القفطى: أنباه الرواه، ج٢، ص ١٦٤؛ ابن الجزرى: غاية النهاية، ج١، ص ٣٧٤.

(٤)ابن حجر العسقلانى: ليسان الميزان ، ج٤، ص٢٤٥.

(٥)عياض: ترتيب المدارك، ج٢، ص ص ٢٨٨

٣-الفقـه :

تـأثر الفقـه فـى صـقلية فـى بدايـة نشـأته بـالقيروان، حيـث كانـت القيـروان تضـم ثـلاث مـذاهب دينيـة، فجماعـة مـن البربـر ينتمـون إلـى المـذهب الأباضـى والـذى دخـل آفريقيـة فـى الخامسـة والعشـرين أو الأربعـين مـن القـرن الثـانى الهجـرى، أمـا المـذهب الحنفـى فهـو مـذهب الدولـة الأغلبيـة التابعـة للعباسـيين، أمـا المـذهب المـالكى فهـو الغالـب علـى أهـل القيـروان أنفسـهم، وبـذلك أسـتقيلت صـقلية مـع الجيـوش الفاتحـة العديـد مـن المـذاهب الدينيـة والتـى أسـتمرت حتـى حكـم الكلبيـين لصـقلية فكـان مـن هـذه المذاهب[١] .

المـذهب المـالكى: ينتمـى القاضـى أسـد بـن الفـرات فـاتح صـقلية إلـى المـذهب المـالكى فكـان انتشـار الإسـلام فـى صـقلية علـى المـذهب المـالكى، كمـا يرجـع الفضـل فـى ذلـك أيضـا إلـى القاضـى أبـو محـرز وهـو مـن المجاهـدين الأوائـل فـى صـقلية رغـم معارضـته لفتحهـا خوفـاً علـى المسـلمين، [٢]، وتلاميـذ أسـد بـن الفـرات، وتلاميـذ القاضـى سـحنون وولـد عـام (١٦٠هـ/٧٧٧م) تـوفى عـام (٢٤٠هـ/٨٥٤م) لـه حلقـات درس خاصـة بـه فـى جـامع عمـرو بـن العـاص؛ وشـرح المدونـة، وهـى مـن أشـهر مؤلفاتـه، وجـاءه الطـلاب مـن كـل فـج، حتـى قيـل أنـه تخـرج علـى يديـه سـبعمائة فقيـه [٣]، وكـذلك الفقيـة أبـو لقمـان الغسـانى،ومن خـلال الفقهـاء المالكيـة فـى صـقلية انتشـرت معهـم المؤلفـات لدراسـة فقـه مالـك، وعلـى رأسـهم الموطأ،وأقبـل أهـل صـقلية علـى اعتنـاق المـذهب المـالكى، رغـم محـاولات الـولاه مـن قبـل الفـاطميين القضـاء عليـه واضـطهاد أتباعـه،إلا انـه أسـتمر وشـهد أزهـى فتراتـه أثنـاء حكـم الكلبيـين فـى صـقلية، والتـى أتسـمت بالتسامح الدينى[٤].

(١) محمد محمد زيتون: القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، ص ص ٢٣٤؛عثمان الكعاك: الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط، ص ص ٣٨- ٣٩.

(٢) أبو العرب: طبقات علماء أفريقية وتونس، ص ص ١١٦- ١٦٧؛ المالكى رياض النفوس، ج١، ص ١٨٩.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن الإمام سحنون أنظر : عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ص ٣٥٣-٣٦٢؛ محمد زينهم عزب: الإمام سحنون، دار الفرجانى، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٦٥-٦٦.

(٤) عزيز أحمد: صقلية الإسلامية، ص ٤٥.

أما الحنفية فقد ذكر المقدسى أن أغلب أهل صقلية حنفيون، ويرجع ذلك إلى فترة حكم الأغالبة حيث كانوا ينتمون للمذهب الحنفى ومما ساعد على انتشاره بعد ذلك هو أضطهاد الولاه الشيعة من قبل الفاطميين للمالكية، فأقبل بعضهم على اتباع المذهب الحنفى حيث لم يتشدد هؤلاء الولاة مع أتباع الحنفية كتشددهم مع المالكية. (١)

أما المذهب الشيعى

فقد جاء إلى صقلية مع الولاة الفاطميين الذين قاموا بنشر المذهب الإسماعيلى مذهب الدولة الفاطمية، بتكليف من الخلفاء الفاطميين أنفسهم، وهو ما اتبعه الولاة الكلبيون من محاولات لنشر المذهب الفاطمى عن طريق الخطب على المنابر، وتكليف الدعاة بجذب العامة للمذهب الفاطمى، وإغداق الأموال عليهم وخاصة فى الاحتفالات الدينية والأعياد ، ومع هذا لم يقبل الكثير من أهل صقلية على اتباع المذهب الشيعى، ولقد زاد اتباع المذهب الشيعى فى صقلية، بعد إعلان المعز بن باديس عن إستقلاله عن الفاطميين بمصر وأضطهاده لفقهاء الشيعة الإسماعيلية والتابعين لهذا المذهب فى إفريقية، لذلك هاجر، الكثير منهم إلى صقلية. (٢) .

وظهر دور فقهاء صقلية فى أواخر القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى ، ومن أعلامها أبو الحسن أحمد عبد الرحمن المعروف بابن الحصائرى، وقد تتلمذ على يديه فقهاء صقلية أمثال. ابن يونس والسمنطارى.ومن الفقهاء الصقليين أبو بكر بن العباس الصقلى، ولقد تعاون الفقيه عبد الحق الصقلى والسمنطارى فى تأسيس مدرسة فقهية فى صقلية، ومن مؤلفاته الجامع لمسائل المدونة وشرحها وذكر نظراتها وأمثالها (٣)، ومن المحدثين الفقهاء أيضاً أبو عتيق بن على بن داود بن يحيى التميمى المالكى الصقلى المعروف بالسمنطارى

(١). المقدسى أحسن التقاسيم، ص ٢٣٦؛ إحسان عباس: العرب فى صقلية، ص ٩٦.
(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج٧، ص٢٧٣أمارى : المكتبة ، ص١٦٦
(٣). القاضى عياض: ترتيب المدارك، ج٢، ص٣٤٦. إحسان عباس : الغرب فى صقلية ، ص ٩٦ - ٩٨.

(ت٤٦٤هـ/١٠٧١م)، وكما ذاعت شهرته فى علم الحديث ذاعت شهرته فى الفقه أيضاً [١].

التصوف:

عرفت صقلية التصوف منذ فتحها المسلمون ، حيث ضم جيش الفتح العديد من الصالحين والزهاد، ولذلك بنيت الرباطات علي السواحل الصقلية، و حيث ضمت الكثير من الفقهاء والصوفية والقراء المجاهدين ،كان الهدف من بناء تلك الربط هدفين أحدهما عسكرى والأخر ديني وعلمي في نفس الوقت، فهي من الناحية الحربية لحماية البلاد من المغيرين ، وقد شيدها الأغالبة منذ فتح الجزيرة الجزيرة ،ولقد أصبحت وبمرور الوقت مكاناً للعبادة والعلم، يؤمها العلماء و الطلبة من كل حدب وصوب ، فكانت بمثابة معاهد للتعليم والتربية، والعبادة، ،حيث ظهر دورهم الحربي والسياسي، هذا بالإضافة إلي دورهم في مجال العلم والثقافة، وكان للتصوف في صقلية سماته الخاصة، فكان التصوف مبيناً علي كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم ، بالإضافة إلي اتباع مذهب مالك ، ومن المتصوفين الصقليين كان سعيد بن سلام الصقلي (ت ٣٧٣هـ / ٩٨٣م) من جرجنت ، ورحل إلي الحجاز ، ثم توجه إلي فارس ونيسابور، وحظى باحترام كبير، فقد دعا إلي ترك الدنيا، وطلب القربى من الله عز وجل لذلك وصف بأنه لم ير مثله . [٢]

أما أشهر متصوف في صقلية في تلك الفترة فكان أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكرى الصقلي ، الملقب بعماد الدين الصوفى ، والمعروف بإمام الحقيقة وشيخ الطريقة (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) رحل للمشرق للاستزادة العلمية ، وأثناء حجه في مكة التقي بعلمائها وازهارها ، درس الحديث والفقه علي مذهب الإمام مالك، والتصوف وآداب المتصوفة [٣] ومن أشهر مؤلفاته في التصوف" الأنوار في علم

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان ، ج٣، ص٢٥٣.

(٢) القشيرى : الرسالة القشيرية ،ص ٤٣٤؛حسن خضيرى: الحياة الفكرية ،ص ١٠٢؛ إحسان عباس : العرب في صقلية ،ص ١١٣.

(٣) الدباغ : معالم الإيمان ،ج٣،ص ١٤٤؛الزركلي : قاموس الأعلام، ج٣، ص ٢٢٥.

الأسرار ومقامات الأبرار ويطلق عليه " أنوار الصقلي [١] ، ومن مؤلفاته الهامة أيضاً كتاب" الدلالة علي الله وهو دعوة للتصوف وترك مدتاع الدنيا [٢]

ومن الزهاد المتصوفة في صقلية أبو بكر محمد إبراهيم بن حوس التميمي (توفي في القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادي) وكان محدثاً أيضاً.[٣] ،ومن رواة الحديث المتصوفة العباس بن عمرو الصقلي ، له معرفة بغريب الحديث ومختلف العلوم الشرعية ، قدم الأندلس من صقلية حوالي ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م [٤]

علم الكلام:

يعتبر علم الكلام من العلوم غير المرغوب فيها في صقلية ، حيث إن المذهب السائد بين الناس كان مذهب مالك، والفقهاء المالكية يبغضون علم الكلام ويعتبرون المتكلمين أهل ، أهواء ويدع ، لذلك كان عدد المتكلمين في صقلية قليلاً نذكر منهم ، أبا عبد الله عيسي بن مطر، وقد رحل إلي المشرق في طلب الحديث، وبعد عودته لصقلية أصبح من علماء الكلام، وكان أهل صقلية يمقتونة ، وممن اهتم بعلم الكلام أيضاً عباس بن عمرو بن هارون الكناني، الوراق، وكنيته أبو الفضل (ت ٣٧٩هـ/ ٩٢١م) خرج من صقلية إلي القيروان ثم اتجه إلي الأندلس ، واتصل بولي عهدها الحكم بن عبد الرحمن، وعمل بمهنة الوراقة، واتصف بالحلم ، واشتغل بهذا العلم وصنف فيه من الكتب والتي قام فيها بالرد علي أصحاب المذاهب، المختلفة [٥].

ازدهار علوم اللغة العربية وآدابها في صقلية

وكان لأهل صقلية لهجة خاصة بهم ميزتهم عن أهل الأندلس ، والمشرق ويرجع ذلك لاختلاف الأجناس بها، ودخل علي اللغة لحن في القول، ومع هذا فهي تشبه إلي حد كبير لغة أهل المغرب [٦] حيث ظهرت مدارس في اللغة والنحو، وعروض الشعر، وكان رصيدها كبيراً علي أن الشعر كان أكثر الآداب انتشارا ،وذلك لتأثير الطبيعة الصقلية وجمالها علي الشعراء ، كما أن

---

(١) أبو القاسم الصقلي : الأنوار في علم الأسرار ،ص ٢٠٨.
(٢) أبو القاسم الصقلي:الدلالة علي الله ،مخطوط بدار الكتب المصرية / رقم ج ٣١٦٦٥- ٣١٦٦١.ورقة ٢٠.
(٣) المقريزى : المقفي ،ج٥،ص ٦٠.
(٤) الحميدي : بمفردة المقتبس ،ص ٢٩٩.
(٥) ابن حوقل: صورة الارض، ص ص ١٢٥-١٢٦؛ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، ج١ ، ص ١٣٤٣.

(٦) –أمبرتو ر يزيتانو : الأدب العربي في صقلية ،ص ص ٦٧- ٦٨ .

تشجيع الأمراء الكلبين للشعراء وإغداقهم الهبات عليهم ، كان له دور ، ولاسيما أن هؤلاء الأمراء كانوا من الشعراء الذين يجيدون نظم القصائد [١] ، كما كان لتشجيعهم للأدباء دور في اجتذاب صقلية للأدباء من خارجها ، ومنهم علي بن حمزة البصرى اللغوى ، ويكنى " أبا نعيم ،(ت ٣٧٥هـ ،٩٨٥م)، وكان من أعلام الأدب وبلغ مكانة عالية ،ومن مؤلفاته ، كتاب الرد علي أبي زياد الكلابي ، وكتاب الرد علي أبي عمرو الثيابي في نوادرة ، وكتاب الرد علي الجاحظ في الحيوان "، ما عن الأمراء الكلبيين وإتقانهم للشعر فقد كان الوالى جعفر بن محمد بن الحسن الكلبى (٣٧٣-٣٧٥هـ / ٩٨٣-٩٨٥م) له الكثير من القصائد الشعرية في مختلف ألوان الشعر. [٢] ،ويعتبر الأمير يوسف بن عبد الله الكلبي المعروف بثقة الدولة (٣٧٩-٣٨٨هـ / ٩٨٩ – ٩٩٨ م) أديبا بارزاً في عصره ، لذلك كان قصره يزخر بالعديد من العلماء والأدباء ، كما وفد علي صقلية في عصره العديد منهم ، خاصة من أفريقية، ومن الحكام الكلبيين الذين برعوا في السياسة والأدب الأمير تاج الدولة جعفر بن يوسف الكلبي (٣٨٨-٤١٠هـ / ٩٩٨- ١٠١٩م) و تجلى دوره فى الأدب بعد خروجه من صقلية إلي مصر حيث عاش بها إلي أن توفى بها، وكان المصريون يرددون شعره ، ومن الأمراء الكلبيين الأدباء الأمير مقداد الدولة بن الحسن الكلبي (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) وهو من القواد الفاطميين، وكان صديق القائد جوهر الصقلي ، ورحل مع جيوش الفاطميين إلي مصر ،وتوفى بها ، ومن أبناء الحسن الكلبي الأدباء أيضاً الأمير مستخلص الدولة الكلبى ، والذي كان يجيد فنون الشعر . [٣]

ومن الشعراء البارزين الشاعر : محمد عبدون السوسى الوراق هاجر من سوسة بالمغرب إلي صقلية ، وتميز شعره بعذوبة اللفظ، وكان من المقربين بثقة الدولة،ومن الأدباء الذين جذبهم قصر الأمير ثقة الدولة مهاجراً من وطنه كان عبد الله بن مكي الطوسي المعروف بابن المؤدب ويرجع نسبة إلي المهدية وكان مغرماً بالسفر والرحلة ، وكان عالماً في الكيمياء وخرج إلي صقلية بحثاً عن الرزق فأسره البيزنطيون في البحر وأثناء هدنة البيزنطيين مع المسلمين تسلم الأمير ثقة الدولة الأسرى ، وكان منهم لذلك شكر الأمير ومدحه ،كما استمر أبو عبد الله ابن محمد بن الحسن الطوبي الصقلي، وكانت له مكانه خاصة في بلاط ثقة الدولة الكلبي ، وكان متولياً ديوان الإنشاء ، وكان

---

(١).

(٢) السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،ج١،ص ٤٢١؛٤٢٧؛ياقوت الحموى: معجم الأدباء ،ج٥،ص ص ١٠٨- ١٠٩ .

(٣) ابن سعيد : المرقصات والمطربات (القاهرة :جمعية المعارف،١٢٨٦)ص ٦٣ ؛إحسان عباس : معجم العلماء والشعراء ص ٢٤٥.

طبيباً بارعاً أيضاً ، وله في الشعر مقامات تشبه مقامات البديع، ووصف شعرة بأنه" غاية الفصاحة– وغاية الملاحة ."[١] .

ومن أئمة اللغة في صقلية الأديب يعقوب بن علي الزبيدى اللغوى الصقلي ، وكان مقيماً بصقلية، وأتصل أيضاً بلاًمير ثقة الدولة واتصف بأنه حافظً لأشعار العرب شارحاً لمعانيها، حيث كان من العلماء المشهورين بصقلية . [٢]

ومن شعراء صقلية الذين ذاع صيتهم ،الشاعر أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي بشر الأنصارى البلوني (ت ٤٤٢هـ / ١٠٥١م) بمدينة Villonovo حفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة والنحو ، ثم هاجر إلي مصر نتيجة الأحداث السياسية في صقلية . [٣]

أستمرت الحركة العلمية والأدبية حتي أخر حكام الكلبين في صقلية صمصام الدولة (٤٣١-٤٤٤هـ/ ١٠٣٩- ١٠٥٢أ ، وكان يرغب في لقائه كل شاعر وأديب في المغرب العربي أنذاك وقد خرج في عصره مشهورون فى صقلية وخارجها ، كما وفد علي الجزيرة العديد من الشعراء .

كما أشتهر أبو عبد الله محمد بن الضباغ الصقلي ، وابن الشامى صاحب الخمس وهو مسئول عن أرض الدولة وتوزيعها على السكان ' حيث اجتذبت كل من الأندلس والقيروان ومصر عدداً كبيراً من المثقفين الصقليين المهاجرين من جراء الغزو النورمانى للجزيرة .ومن الشعراء المهاجرين في أواخر حكم الكلبيين كان سليمان محمد المهرى الصقلي وهاجر الى الأندلس ، وكان ذلك بعد عام ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م، وتقرب من ملوكها ومدحهم ،ونال بذلك مكانة عالية ومن أدباء إفريقية الذين وفدوا على صقلية وكان لهم شأن عظيم الأديب الحسن بن رشيق القيروانى (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦٣م) ومن مؤلفاته كتابه العمدة، ولاقى شهرة واسعة فى عالم الأدب، ثم كتابه الأنموذج".[٤] ومن آدباء أفريقية المهاجرين إلى صقلية كان ابن شرف القيروانى (ت٤٥٨هـ/١٠٦٨م)، ونبغ فى الأدب فى القيروان، حتى بلغ مكانة مرموقة عند المعز بن باديس، وبعد زحف الهلالية على القيروان هاجر إلى صقلية، فى آواخر حكم الأسرة الكلبية، ومع سوء أحوال

---

(١) عبد الرحيم يوسف الجمل : الشعر والشعراء ؛ في صقلية ص ٤١٣-٤١٤ ؛إحسان عباس : العرب في صقلية ،ص ١٦٩،

(٢) القفطي : أنباه الرواه،ج٤،ص ص ٥٧، ٧٨؛أمارى: المكتبة الصقلية ،ص ٦٤٨.

(٣) الأصفهاني : الخريدة ،ج١،ص٥؛ شوقي ضيف : عصر الدول والامارات ص ص ٣٨١-٣٨٢،
الأصفهاني : المصدر السابق ، ص٥ .

(٤) الآصفهانى: الخريدة، ج١، ص ص ١٢٢-١٢٣؛ ابن دحية: المطرب فى أشعار أهل المغرب، ص ص ٥٧-٥٩؛ حسن حسنى عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص ٩٩.

صقلية هاجر إلى الأندلس وتوفى بها.[١]،ومن أشهر النحاة الصقليين، والذى كان له دور بارز فى علم اللغة والنحو، أبو حفص عمر بن خلف بن مكى الصقلى (ت٥٠١هـ/١١٠٧م) [٢]،كان من أدباء صقلية المعروفين أبو العرب مصعب بن محمد بن أبى الفرات القرشى الزبيرى الصقلى (ت ٥٠٦هـ/١١١٢م) ومع الغزو النورمانى لصقلية، هاجر مع من هاجر من مثقفيها، وكانت هجرته للأندلس، واقترب من حاكمها، المعتمد بن عباد[٣]

أما أشهر ما جاءت به الجزيرة فهو الأديب والشاعر ابن حمد يس الصقلى وهو عبد الجبار بن حمد يس فكان أبرز أعلام صقلية، فى الشعر، وعلى الرغم من أنه ولد عام ٤٤٦هـ/١٠٥٤م أى بعد خروج الكلبيين من الجزيرة، وفى نهاية حكم المسلمين، فعندما أحتل النورمان صقلية كان فى الرابعة والعشرين من عمره، فهاجر إلى إفريقية، ثم عاد إلى الأندلس، وقد رحب به المعتمد بن عباد، وصار له مكانة عالية عنده [٤]

العلوم العقلية:

تفوقت صقلية فى الإنتاج الثقافى نظراً لتعدد الجنسيات والثقافات بها من عرب وبربر ويونان ولمبارد، إضافة إلى تشجيع البلاط الحاكم مما أثرى الثقافة العربية فى صقلية.[٥] ومع هذا لم تحظ العلوم العقلية باهتمام المؤرخين: ولم تلق نفس القدر الذى نالته العلوم النقلية كعلوم الدين واللغة ،ولكن لا بأس أن نشير إلى أهم العلوم العقلية ومنها علم التاريخ حيث ظهرت المدرسة التاريخية، أخذت لها مكاناً بارزاً فى النهضة العلمية فى بلرم ، وأسس المدرسة التاريخية فى صقلية ابن القطاع ا لصقلى، وأبو زيد الغماوى، فكتب مؤلفاً بعنوان"أخبار صقلية" وهذه المجموعة لم

---

(١) ابن بسام: الذخيرة، ج٤، ص ١٦٩؛ ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج٢، ص؛ شوقى صيف: عصر الأمارات، ص ص ٢٨٢-٢٨٤.

(٢)ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص ٩٢؛ القفطى: أنباه الرواه، ج٢، ص ٣٢٩؛ السيوطى : بغية الوعاة، ج٢، ٢١٩؛ اليمانى: إشارة التعيين، ص ٣١٠.

(٣)ابن بسام: الذخيرة مج١، ص ص ٣٠٨- ٣١٠؛ ابن مماتى: الطائف الذخيرة ص ص ١٧٥- ١٨٥. الأصفهانى: الخريدة مج ٨ ص ٢٥.

(٤) الأصفهانى: الخريدة، ج٢،/ ص ص ٦٦-٧٤؛ ابن دحية: المطرب، ص ص ٥٤-٥٧، إحسان عباس: العرب فى صقلية، ص ص ١٣٥-١٦١.

(٥) ول ديورانت: قصة الحضارة، مج٧، ج١٣، ص ٢٧٩.

تصل إلينا إلا من خلال المصادر الأخرى، حيث أندثرت نتيجة الأحداث السياسية فى الجزيرة. (١)

ومن مؤرخى صقلية فى عهد الأسرة الكلبية، أبو على الحسن بن يحيى بن الفقيه (ت ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م) ومن مؤلفاته كتاب "تاريخ صقلية" وهو أيضا لم تذكر إلا فقرات منه فى بعض المصادر الأخرى ونسبة أقوالها إليه. (٢)

ومن العلوم العقلية الفلسفة التى تعد أم العلوم إلا أن اهتمام أهل صقلية كان ضعيفاً بيد أن ذلك لم يمنع ظهور بعض الشخصيات التى بذلت جهدها فى هذا المجال كان منهم الفيلسوف غراب بن الخطيب الصقلى، فهو خطيب بليغ وفيلسوف بارع وذاعت شهرته فى كثير من الدول، فتوافد عليه الطلاب من كل حدب وصوب، وكان له آراءه فى الأقناع والخطابة والفلسفة. (٣)

ومن الفلاسفة فى صقلية سعيد بن فتحون بن مكرم التجيبى القرطبى المعروف باسم "الحمار السرقسطى (ت ٤١٠هـ/١٠١٩م) وهو من أهل الأندلس وقدم إلى صقلية، واشتهر بإجادته لعلوم اللغة والنحو مع الفلسفة، ومن مؤلفاته "رسالة فى المدخل إلى علوم الفلسفة سماها "شجرة الحكمة" ورسالة فى تعديل العلوم، وأشتهر فى صقلية بدفاعه عن الفلسفة والرد على معارضيها. (٤)

كما يعد الطب أهم العلوم فى صقلية، فقد ذاعت شهرته بداية من اهتمام الولاة بصحة العامة، ومما أدى إلى توافر الأطباء ، كما كانت صقلية منطقة جذب للأطباء من الخارج نظراً لشهرتها.. (٥) ومن الجدير بالذكر أن الطب لم يحظ إبان حكم الأغالبة بأهتمامهم وذلك نظراً لاستدعائهم لأطباء أفريقية النابغين و كان منهم الطبيب إسحاق

---

(١) السيد طه أبو سديرة: المرجع السابق، ص ١١٦؛ حسين خضيرى: الحياة الفكرية، ص ١٠٩؛ حاجى خليفة: الظنون ج١، ص ٢٩٧.

(٢) ياقوت الحموى: "معجم البلدان، ج٣، ص ٤١٧.

(٣) القفطى: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، القاهرة: مكتبة المتنبى، ص ١٦٨.

(٤)الضبى: بغية الملتمس، ص ٣١٠؛ الحميدى: خذوة المقتبس، ص ٢٣٣.

(٥) زغريد هوتكة: شمس العرب تسطع على الغرب، وقد ذكرت أن اهتمام العرب بصحة العامة، أصبح حقاً مكتسباً للشعب، توارثه النورمان فيما بعد ص ص ٣٣٠-٣٣١.

بن عمران، ومن مصنفاته فى الطب "كتاب نزهة النفس" وكتابه فى داء المالنخوليا" وكتابه فى القصد" وكتابه "النبض":(١)

وقد أهتم الكلبيين بالطب وشجعوه لذلك ظهر العديد من الأطباء النابغون فى الداخل والخارج فكان منهم الطبيب أبو عبد الله الصقلى والذى رحل للأنلس، وساهم فى ترجمة كتاب "الحشائش" لديو سفير يدوس Diescarides فى علم النبات للخليفة الأموى عبد الرحمن الثالث (الناصر) فى قرطبة عام ٣٤٠هـ/٩٥١م، وكان يجيد اللغة اليونانية، وكان عالماً بأسماء الأدوية المختلفة. (٢) كما أشتهر الأديب أبو عبد الله بن محمد الطوبى الصقلى، ببراعته فى الطب وقد تتلمذ على ماسويه، وكان أحد أطباء الأسرة الكلبية. (٣)

ومن الأطباء الذين انتسبوا إلى صقلية ولاقى شهرة كبيرة فيها، وفى أوربا عامة الطبيب قسطنطين الإفريقى (الصقلى) ولد فى إفريقية عام ٤١١هـ/ ١٠٢٠م، وكان تاجراً ثم اهتم بدراسة الطب والفلسفة، وارتحل لطلب العلم فى دول المشرق، كالهند وخراسان وبغداد وغيرها ثم عاد إلى بلاده وأستقر فى صقلية فترة وألف العديد من كتب الطب بلغت حوالى أثنين وعشرين كتاباً فى مختلف شعب الطب، والوقاية من الأمراض، وطرق العلاج ،ومن مؤلفاته (البول وتحليله-كتاب الجراحة، كتاب المعده وغيرها)، ونظراً لإتقانه اللغة العربية واللاتينية فقد ترجم العديد من كتب الطب العربى إلى الاتينية ومن أهمها "زاد المسافر" لأبن الجزار (ت (٣٩٥هـ/١٠٠٤م) وأطلق عليه اسم Viaticas وترجم كتب الطب للرازى، وغيرها من المؤلفات الطبية المشهورة ، وإليه يعزى الفضل فى تأسيس مدرسة الطب فى سالرنو والتى كان لها دور فى نقل الطب العربى إلى أوربا فيما بعد، فكانت بمثابة حجر الأساس له، وبذلك كان لصقلية دور فى نشر علوم العرب فى أوربا. (٤)

---

(١) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء (بيروت: مؤسسة الرسالة،١٩٨٥م) ص ص ٨٤-٨٦؛
ابن أبى أصبعية: عيون الأبناء فى طبقات الأطباء، ج٣، ص ص ١٧٣-١٧٤.

(٢) ابن أبى أصبيعة: المصدر السابق، ج٢، ص ص ٧٥-٧٧.

(٣) القفطى: أنباه الرواه، ج٣، ص ١٢٧.

(٤) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص ص ٥٢-٥٣ ؛أحمد توفيق المدنى: أشراق أنوار المدينة الإسلامية على أوربا، ص ص ٣٤٣-٣٤٤. حسين مؤنس: المرجع السابق، ص ص ٣٢-٣٦.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الطب فى صقلية كان يدرس باللغة العربية، وأنتقل منها إلى سالرنو ثم إلى أوربا، كما تقدم طب التشريح فى صقلية(١).

ونتيجة لإزدهار الطب فى تلك الفترة استمر أيضا خلال فترة حكم الطوائف وعلت شهرة الأطباء المسلمين حتى فترة حكم النورمان للجزيرة. (٢)وفى علم الفلك استخدم الفلكى مآذن مساجد بلرم كمراصد لمراقبة مواقع النجوم وحركتها، ومعرفة الخسوف والكسوف، ومشاهدة هلال شهر رمضان، وشوال ؛ ومن أشهر علماء الفلك فى صقلية أبو عبد الله محمد بن عيسى يقول عنه القفطى: "من أهل صقلية من أصحاب العلم بعلمى الهندسة والنجوم ماهر فيها، قيم بهما، مذكور بين الحكماء هناك بأحكامهم وله سفر رائق".كما ظهر فى صقلية بعض المنجمين المشهورين بقراءة الطالع، معتمين فى ذلك على علم الفلك وم راقبة النجوم، فكان الناس يقبلون بمختلف طبقاتهم على قراءة الطالع، وكان للمنجم مكانة كبيرة لدى البلاط الحاكم، وكانت له ملابس خاصة به" (٣)

ومن علماء الهندسة والرياضيات سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالحمار السرقسطى. وهو فيلسوف وعالم بالهندسة والمنطق والموسيقى ' و من علماء الكيمياء المشهورين بدراسة الأحجار الأديب عبد الله بن إبراهيم ابن المؤدب(٤)" وترجع قلة أعداد العلماء والفلكيين والمهندسين بصقلية إلى قوة جذب القاهرة العاصمة الفاطمية إلى كل هؤلاء، فحرمت صقلية وإفريقية من المشهوين منهم، حيث كان البلاط الفاطمى وما يقدمه، من امتيازات لهؤلاء العلماء ساعد على هجرتهم من أوطانهم إلى القاهرة والعمل فى مرصد الحاكم بأمر الله حيث كانت القاهرة الفاطمية مركزاً علمياً كبيراً تجذب إليها كل عالم لزيارتها، أو الإقامة فيها. (٥)

---

(١) تقى الدين عارف: دور صقلية فى نقل التراث الطبى، ص ص ٢٠٥-٢٠٦.
(٢) احسان عباس: العرب فى صقلية، ص ١٠٩.
(٣) القفطى:أخبار العلماء بأخبار الحكماء ،ص١٨٩.
(٤) ابن أبى أصبيعة: عيون الأبناء فى طبقات الأطباء، ص ١٩؛عزيز أحمد: صقلية الإسلامية، ص ٥٢
(٥) على حسنى الخربوطلى: العرب فى أوربا، ص ص ٧٠-٧٥؛ أحمد توفيق المدنى: أشراق أنوار المدينة الإسلامية من جزيرة صقلية، ص ٣٤.

الفصل الرابع

صقلية معبرا للحضارة الإسلامية إلى أوربا

تأثرت صقلية بالحضارة الإسلامية فى مدينة القيروان وذلك لموقعها من شمال أفريقية لأن أهل أفريقية هم الذين افتتحوها، بالإضافة إلى الهجرات المستمرة من أفريقية إلى صقلية ورحلات أهل صقلية الصقليين إلى القيروان في طلب العلم، وفي أيام الكلبيين نجد أن القاهرة تشارك القيروان في توجيه الحياة الثقافية في الجزيرة. وفي هذه الفترة أعلنت بلرم عن وجودها الثقافي والعقلي، وأضحى لها علماء وأدباء يهاجرون إلى الأندلس ومصر وشمال إفريقيا ، وتطورت كذلك العلوم والمعارف فأصبحت صقلية من معابر الحضارة الإسلامية إلى أوربا .

فبعد استيلاء النورمان على جزيرة صقلية التى استمرت تعيش علي الحضارة الإسلامية فظلت بها جالية عربية مسلمة حيث تولوا المناصب العليا ، ولقد تيسر لملك صقلية روجر الأول معاملة المسلمين وخاصة العلماء معاملة حسنة عادت بالخير لا علي الجزيرة فحسب بل علي الحضارة الأوربية باسرها، وترك العرب لأهالي صقلية الأصليين عاداتهم وقوانينهم وحريتهم الدينية واهتموا بالزراعة والصناعة وانشأوا مصانع الورق وامتدت تلك المصانع الي ايطاليا واستخرج العرب الذهب والفضة والحديد والرصاص وعلموا اهل صقلية صناعة الحرير كما اهتموا بالتجارة ٠ كما أحاط النورمان أنفسهم بعلماء المسلمين وبتشجيعهم ترجت كتب العلوم العربية وبذلك انتشرت الأفكار العربية في ايطاليا كلها ، لقد اخذ روجر عن العرب والمسلمين النظم التي اعتمدوها واخذ أساليبهم في إدارة البلاد وفي الدواوين والنظم المالية والضريبية كما اخذ عنهم طرق حضر الأملاك العامة وإدارتها وبالتالي تأثر بالتنظيمات العربية واخذ الأنظمة الخاصة بالجيوش البرية والبحرية .

ومن الملاحظ حرص روجر الأول علي بناء القصور والمظاهر العمرانية علي الطراز العمري فهو الذي ظل ثلاثين عاماً في محاربة المسلمين لدخوله الجزيرة لم يتورع عن الاقتداء بفنون أعدائه فقد شيد القصور والحمامات غرب القصر الملكي في العاصمة بالرموز وهي تعتبر من إقدام الآثار الإسلامية التي ما زالت باقية في صقلية ومن الملاحظ ان زخارف هذه القصور والحمامات في طرازها المعماري لا يختلف عن الطراز المعماري في الأندلس والعراق اي الدولة العباسية وهنا يمكن ان تقول ان صقلية في أيامه كانت مملكة نصف إسلامية في دينها ونظامها الإداري والعسكري ثم جاء ابنه روجر الثاني ١١٠١-١١٥٤م الذي سارع علي نهج أبيه حتى انه اتخذ لنفسه لقب المعتز بالله . وضرب نقوداً باللغة العربية إضافة إلي اللاتينية واليونانية كما أصدرت قراراته باللغات

العربية واللاتينية واليونانية ثم قلد العرب المناصب والوظائف الهامة العليا واتخذ ديوان عربي وقد وقع علي المعاملات الرسمية الصادرة عن هذا الديوان بعلامة عربية مستوحاة من القران الكريم.

كما حاكي العرب في أزيائهم . اما المباني التي أمر ببنائها فهي اقرب إلي الفن العربي الإسلامي من الفن البيزنطي وعلي سبيل المثال دير القديس يوحنا شفيع الناسك في بالرمو أشبه بمسجد إسلامي منه يدير مسيحي وذلك ليس بسبب وجود العمال والفنانين المسلمين بل يعود لإعجاب روجر الثاني بالفن والعمارة الإسلامية وكان بلاطة هو اقرب إلي الشرق من الغرب .

وحرص علي الاهتمام بالأدب والعلوم والفنون العربية وكان طبيب بلاطة عربيا ونظر لاعجابة بالطب اقر الأساليب الطبية الغربية السائدة في صقلية قبل عهده كما اصدر عام ١١٤٠ قانون يقضي بإجراء امتحان للأطباء قبل الإجازة متبعا لأسلوب المسلمين علي غرام ما قام به وبوقت طويل الخليفة العباسي المقتدر بالله .

وكان روجر الثاني يؤمن بالذين هم ومن بين المنجمين المرموقين فيها محمد بن عيسي بن عبد المؤمن الذي ربط بين التنجيم والفلك والهندسة ولقد كان العرب الفصل في جعل روجر الثاني اغني ملك في أوربا وذلك بسبب اهتماماتهم الاقتصادية والعمرانية .

دفع كل هذا إلي جعل الإدريسي الجغرافي لقدوم لبلاطه للاطلاع منه علي جغرافية مملكته والعالم حيث طلب منه روجر الثالث تأليف كتاب له في الجغرافيا حيث يحظي الشريف الإدريسي ١٥عام في تأليف هذا الكتاب الذي انتهي منه ٥٤٨هـ-١١٤٥ وقدمه للملك حيث تفوق علي خريطة بطلميوس الشهيرة وهذا الكتاب يسمي ترجمة المشتاق في اختراق الأفاق أو الكتاب الروجري والي تم ترجمته فيما بعد إلي لغات عدة ويمكن القول ان روم الثاني عمل علي امتزاج الحضارتين العربية والأوربية التي شكلت انتقال الحضارة العربية والإسلامية الي أوربا في العصور الوسطي وأصبحت صقلية معبراً هاماً من معابر الحضارة الإسلامية ويمكننا القول ان النورمان استمر في الأخذ من الحضارة العربية والإسلامية نظراً لتقدمها وتظهر الآثار العربية واضحة في قصر العزية والقبة في بالرمو وفي كاتدرائية جفلوذي وكتيبة القصر الملكي وأقيمت كاتدرائية بكرو وقصر القبة مثلا الذي شيده وليم الثاني كأنه قصر من قصور بني حماد وهو مثل مباني الفاطميين وفي المهدية أما كنيسة القصر الملكي فيلزم فيها الكثير من التشابه مع بناء مسجد الجامع في قرطبة وقد وصل اثر البناء والهندسة الإسلامية إلي اضرحه النورمان الغربيين بحيث إن ضريح يوهمند في كانوسا بتصميمه الهندسي ذي الأضلاع الأربعة ويظهر توصلنا مباشرة للأضرحة الإسلامية .

تولي فردريك الثاني بن هنري السادس الألماني إمبراطورا علي ألمانيا وعلي مملكة الصقليين التي تشمل بلاد نابولي وجزيرة صقلية وبذلك انتقل الحكم في صقلية من الأسرة النورمانية إلي أسره الهوهشتوفن الألمانية بين أعوام ١١٩٨-١٢٥٠م – فردريك وبدء الحكم الفعلي لفردريك في عام ١٢١١ م لم ينقل هذا الإمبراطور عن المسلمين اي استخدمهم في العسكرية كما اعتمد علي الصناعة المسلمين المبهرة في صناعة الأسلحة وقد يعود ذلك إلي شغفه حيث من صغر سنه كان يتعلم اللغة العربية بجانب اليونانية واللاتينية وكان للتراث العربي والنورماني اثر في تكوين شخصيته الذي أمر بترجمة المؤلفات العربية العلمية ومن المظاهر التبادل الحضاري والثقافي استفادة صقلية من الكتاب العربي المعروف باسم المسائل الصقلية وهي التي وجهها فريدريك الي علماء المسلمين وأجاب عليها القبو ابن سبعين بأمر الخليفة ألموحدي الرشيد حتى ان فريدريك اخذ ابن الجوزي الصقلي رفيقا معه يواصل تدرجه في علم الجدل وكان لدي فريدريك ميثال اسكوتوس الفيلسوف الذي يتقن العربية والاسبانية حيث ترجم له من العربية إلي اللاتينية كتاب الحيوانات اما المترجمون الآخرون فقد ترجموا له كتاب السيطرة وشرح ابن رشد وكتاب الشباب والملامح للمرازي ومن ذلك نري أثر فريدريك بالثقافة العربية.

ولقد استمر في طلب المساعدات العلمية من المسلمين ولم يتوان عن الطلب من السلطان الكامل حاكم الدولة الأيوبية في ذلك الوقت في المسائل الرياضية والفلكية والفلسفية .

وتشير المصادر ان فريدريك تزوج من أميرة اسبانية من اراغون التي من خلالها تدفق سبل التأثيرات العربية الاسبانية علي اسبانيا التي كانت هي ذاتها مركزا للحضارة العربية والإسلامية ويذكر أيضا ان درب أولاده علي نظم الشعر الغنائي المتأثر بالشعر العربي وكان ذلك الأساس الذي أثبتت فيما بعد الأدب الايطالي الكلاسيكي وحيث أكد ذلك الشاعر الايطالي بترارك ١٣٠٤-١٣٧١م في زمن قصير شاع ذلك النوع من الشعر الذي ولد في صقلية في كل ايطاليا وتعداها .

وقال أيضا صاحب الكوميديا الإلهية الشاعر الايطالي دافنشي لذلك يسمي كل ما نظمه أجدادنا من اشعار بلغة البلاد ويبدوا من الشاعرين اهتماما كثيرا بالشعر العربي والتصوف والفلسفة ونجد تأثيرات عربية غير مباشرة حيث نجد اثر ابي العلاء وابن عربي واضحا في اشعار دانتي .

وفي عهد فريدريك الثاني أيضا استمرت المؤثرات الهندية العربية في البناء الصقلي فقد بني قصوره وقلاعه علي النمط العربي وتبين ان قلاع باري وترابي وبراندیزي تشابه مع قلاع اسبانيا

والشرق العربي وظهر الأثر العربي المعماري أيضا في نوع الأعمدة وخامات البناء والنقوش التي وجدت في صقلية وظهرت أسماء العمال والفنانين والتعابير العربية منقوشة علي تلك الأبنية .

ومن جهة أخري لقد استفاد كثير من الأنظمة الإدارية العربية حيث اخذ قواعد الحكم والأنظمة المالية مهما خفف عن كثير من الأعباء وفرض ضرائب الرأس علي اليهود والمسمين التي يقابلها ف النظام الإسلامي الزكاة والجزية علي غير المسلمين والواقع ليست صقلية وحدها التي تأثرت بذلك لقد انتقلت هذه المؤثرات إلي أوربا ولقد كان هناك بعض المسلمين العرب يديرون الاقتصاد أمثال ريتشارد العربي الذي كان مسئولا عن جمع أموال الضرائب وعن توزيعها وهناك أيضا ابن عبد الرحمن رئيسا لمالية صقلية وكان أيضا يملك صلاحية التوقيع علي المعاهدات الاقتصادية باللغة العربية أيضا لأنه كان لغة رسمية في صقلية بجانب اليونانية واللاتينية وكان العالم العربي تيودور الإنطاكي أحد المقربين لبلاط فردريك وقد ترجم عدداً من الكتب العلمية وكان يوجد البربري المور الذي يعرف باسم بوخناموروس وكان حارس خاص لفريدريك . وامتد النفوذ الإسلامي أيام الإمبراطور فردريك الثاني الذي حرص علي اصطحاب العلماء المسلمين في رحلات وفي عام ١٢٢٤م أسس جامعة وتمت ترجمه مؤلفات ابن رشد وأرسلت نسخ منها إلي فرنسا كما ترجمت في عهده موسوعة الرازي الطبية الحاوي إلي اللغة اللاتينية

ولما توفي هذا الإمبراطور عام ١٢٥٠ كفن بأثواب عربية ودفن في مسجد بكر مو الذي قد حول إلي كاتدرائية . .

حيث تأثر الفن بها حيث يظهر الطراز العربي في كنائس النورمان ومنها كنيسة القديس جيوفلز في مدينة (بالمرمو) وهي ذات قباب حمراء نصف كروية كما تظهر الأقواس المدببة والزخارف العربية الدقيقة في قصور المملوك النورمان في مدينتي (بالرمو ومونديال)

تبحر اللغة وكلماتها فى أوربا

فقد ترك العرب الفاظ عربية في اللغة الصقلية والايطالية ولا تزال مدن وأماكن كثيرة من صقلية تحمل اسماء عربية ، يذكر الرحالة العربي ابن جبير ان وليم ملك صقلية كان شديد الثقة بالمسلمين وانه علم معرفة باللغة العربية قراءة وكتابة وان شعاره كان (الحمد لله حق حمده) .

وقد دخلت اللغة العربية أوروبا حين فتح العرب صقلية والأندلس، وتردد صداها في الأنحاء الجنوبية، ولا يزال في الإسبانية والبرتغالية كثير من الكلمات المشتقة من العربية، وقد جمعها

العلامتان دوزي وانجلمان في كتاب سمياه (مفردات الكلمات الإسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية) طبع في ليدن ١٨٦٩م.

ثم دخلت الكلمات العربية في لغات أوروبية أخرى كالفرنسية والألمانية والإنجليزية، وقد حوت اللغة الإنجليزية أكثر من ألف كلمة عربية، وهناك ٢٧٠ كلمة من أصل عربي تستعمل في اللغة الانجليزية يوميا، منها كلمة أمير أو أمير البحر الإنجليزية التي أصبحت: (أميرال) .

ويتحدث (زينالد) عن التأثيرات العربية بصقلية فقال ان الجزء الأعظم من الكلمات العربية (الباقية في الايطالية) دخلت اللغة الايطالية لا بطريق الفتح العربي بل بطريق الحضارة التي كثير ما تؤلف بين مظاهر الحياه المختلفة ، وقد اضطرت مدينة جنوه ان تؤسس مدرسة لتعلم اللغة العربية سنه ١٢٠٧م ويدل علي وجود كلمات عربية في لغة هذه المدينة وفي جميع اللغات العامية في جميع انحاء ايطاليا التي كانت علي تبادل تجاري مع الشرق وصقلية والهندسة القوطية في الحقيقة الهندسة العربية كما ان اسماء الموازين والمكاييل والالفاظ البحرية في اللغة الايطالية من اصل عربي، ان المفردات التي تيقنت في اللغة الصقلية وانتقلت إلي الايطالية كانت في مجال الزراعة وهي مفردات ذات أصل عربي .

واثبت (كماري) المستترق العقل ان صقلية مدينة للعرب بحضارتها كما ان ايطاليا مدينة لصقلية باقتباس معالم الحضارة العربية وقد أدي هذا الي ابتكار الشعر الوطني مما ادي الي نهوض الشعر الايطالي ويذهب بعض المفكرين ان دانتي الشاعر الايطالي اقتبس موضوع الكوميديا الالهية من رسالة الغفران للمغربي وعلم العرب ديار الايطاليين كيف السلوك الي حياه كريمة والقراءة والكتابة وتبني العلوم وعلمتهم الصناعة المختلفة واصول الزراعة والحياكة والمشاركة في ضروب التجارة .

وتعتبر صقلية ملتقي ثقافتين في العصور الوسطي الي الغرب حيث لعبت دوراً هاماً في نقل المؤثرات الحضارية الشرقية من أوربا من طريق ايطاليا .

العلوم الدنيوية

وقد اشتهرت العلوم الدنيوية بها حيث مثلا في التاريخ حيث وجدنا كتاب يسمي تاريخ كمبرح الذي كتبه احد النصارى في صقلية في عهد الكليين وهو مصدر مهم في تاريخ الجزيرة لكن كانت كتابات المسلمين في تاريخ هذه الجزيرة كا ضئيل حد ونري أيضا تولي احد العلماء يدعي عبد

الله ترجمة رسالة ديو سقر يدرس في علم النبات ومع وجود عنصر اليونان بجانب العرب الجزيرة اتجه اهتمام نحو الفلسفة والعلوم اليونانية وكان من بين أهم الأطباء العرب في صقلية ابو سعيد بن إبراهيم الذي وصل كتابة البناء في الصيدلية ولقد ازدهرت الآداب والعلوم في صقلية علي عهد الأمير يوسف حيث كان من أهم شخصيات عهده ابن المؤذن الذي صرف همة إلي دراسة الكيمياء والبحث عن حجر الفلاسفة الذي ظن أنه يحول المعادن ذهب هكذا رأينا بصورة سريعة علي وجود وازدهار صقلية في تلك الفترات ركن أثرها القوي سيكون في فترة النورمان .

وهكذا يلاحظ من خلال هذه الدراسة ان صقلية كانت معبراً من معابر الحضارة العربية والإسلامية فقد استفاد صقلية من هذه الحضارة وأقامت بكواهل من بلدان أوربا وبالرغم من ان العلاقات الإسلامية المسيحية في صقلية شهدت التوتر والتقاتل الغير ثابت ان أيضا شهدت علاقات حضارية في غاية الأهمية.

وفي بالرمو حاضرة صقلية فقد اقيم فيها في القرن الثالث عشر الميلادي مدرسة خاصة للترجمة العربية الي اللاتينية واليونانية علي غرار مدرسة في صقلية في القرن الثاني عشر ومن العلماء الذين زاروا المدرستين العالم الاسكتلندي ميخائيل سكوت الذي ترجم أعمال أرسطو وشروح ابن رشد وفي النصف الأول من القرن الثاني عشر ترجم القران الكريم الي اللاتينية ، كما ترجمت حادثة الإسراء والمعراج والتي انتشرت في ايطاليا منذ القرن الثالث عشر الميلادي واستفاد منها الشاعر لايطالي دانتي بواسطة اشعار بروثيتولا تبني الذي كان يزور مدرستي بالرمو وصقلية كما اتجهت مدرسة بالرمو إلي ترجمة المؤلفات العربية العلمية منها كتب ابن سينا والرازي في الطب ومن إعلام الترجمة فيها أوجينيوس البالرمي وايوناركو بيزانو ولعل من أهم مظاهر النهضة العلمية وتأثير الحضارة وجود المخطوطات العربية القديمة في مكتبة الفاتيكان بروما .

وهنا سوف نتكلم بإيجاز الي الدور الذي لعبته صقلية في انتقال العلوم والمعارف العربية إلي أوربا في القرنين الثاني والثالث عشر .

الزراعة :

حكم العرب للجزيرة كان نافعا بفضل التغيرات التي ادخلها العرب علي أحوال الجزيرة الاقتصادية حيث قضت علي نظام الملكيات الواسعة للأراضي وبحثت الملكيات الصغيرة التي ادخلها العرب علي أحوال الجزيرة الاقتصادية حيث قضت علي نظام الملكيات الواسعة للأراضي وبحثت الملكيات الصغيرة كما أنعشت وآثرت الزراعة الصقلية وان من المهم.

واهتم المسلمون في القرن التاسع الميلادي بوسائل الزراعة في صقلية وبالقنوات كما ادخلوا صناعة القطن وقصب السكر وقد ادخل العرب نظام جديد في الزراعة يقوم علي إنشاء المصاطب والصهاريج لضخ الماء للري وغرس العرب أشجار النارنج والليمون وقصب السكر وكانوا أول من ادخل لصقلية بذور القطن وأشجار التوت ودودة القز وزراعة النخيل كما يعود لهم الفضل في إدخال الأرز لصقلية ومن الملاحظ اقطاء القطن بعد رحيل العرب عنها وذلك في القرن الرابع عشر وبما إن كل ذلك دخل صقلية فمن الطبيعي أيضا دخل إلي باقي القارة في ذلك الوقت .

الصناعة :

ومن أهم المساهمات التي قدمها العرب لأوربا صناعة الورق ولولا الورق ما قامت المطابخ وانتشرت الكتب وقبل صناعة الورق كانت الكتابة علي ورق البردي واما علي الرق تلك الصناعي التي أخذت عن الصقليين في القرن الثامن الميلادي ثم وصلت باقي العلام الإسلامي ثم الي أوربا .

كانت تلزم واحده من أول مصانع الورق في أوربا وتوجد وثيقة تحمل توقيع صاحب صقلية مؤرخة سنة ١١٠٢م وهي اقدم وثيقة ورقية أوربية مؤرخة تم اكتشافها حتي الان .

ان اساليب صناعة الورق لم تصل الغرب قبل القرب الثالث عشر حينما بدأ بإقامة مصانع للورق في ايطاليا وجنوب فرنسا ، ومن صقلية وصلت اساليب تربية دودة القز وصناعة المنسوجات الحريرية الي ايطاليا وبحلول القرن الثالث عشر اصبحت المنسوجات الحريرية الصناعة الأساسية في العديد من المدن الايطالية وكان في صقلية وقلورية أول مكانين في ايطاليا ينتجان الحرير منذ العهد العربي .

انتقلت صناعة المنسوجات الإسلامية فى جزيرة صقلية إلى أوربا (مثل ألياف النباتات كالقطن والكتان، ومن الألياف الحيوانية الصوف والحرير) ، وكذلك الكتابة على حواشى ملابس الأمراء مدائح للحاكم وكبار رجال الدولة ،كذلك زخرفة وتطريز الأقمشة بأشكال هندسية أو بعض الأشكال النباتية ، واستخدم الذهب فى تطريز المنسوجات فى صقلية، وامتدت هذه الصناعة إلى عصر النورمان على يد صناع مسلمينكما صنعوا المفارش والحصر الجميلة من النسيج ومن خوص النخيل[1].

(١) لمزيد من التفلصيل أنظر : زكى محمد حسن: كنوز الفاطميين، ص ١٤٢؛ سعاد ماهر: الفنون الزخرفية، ص ص ٢٧٤- ٢٧٥؛ غو ستاف لوبون: حضارة العرب، ص ٣٠٩؛هايد: تاريخ التجارة، ج٤، ص٢٠٦.

وكانت صناعة السكر التي مقترنة مع وقت انتشار المحاصيل التي ادخلها العرب حيث جلب فردريك الثاني خبراء عربي لصناعة السكر وهو صناعة صينية في الأصل انتقلت عن طريق العرب في صقلية والأندلس ايضا نحو أوروبا الذين كانوا يستعملون العسل للتحلية ولم يعرفوا السكر قبل القرن الرابع عشر للميلاد . كما ان كلمة السكر مقتبسة عن اللغة العربية في شتي اللغات الأوربية وهذا دليل علي انتقال تلك الصناعة من الشرق الي الغرب .

العملات :

طول فترة حكم النورمان لجزيرة صقلية في القرن الثاني عشر كانت عملاتهم تضرب وعليها كتابة عربية بالخط الكوفي وكانت فيتضرب عملة نورمانيةعرفت باسم طري وكانت كالرباعي شكلا وقيمة وقد وكل ساموبل شيرت من جامعة اكسفورد علي ان العملة المعروفة عند أوربا طري مشتقة من اللغة العربية بمعني حديث الغرب وهي فة استعملت في جزيرة صقلية الاسلامية لنعت الرباعي وظلت تضرب في صقلية وجنوب ايطاليا لمدة خمس قرون واستعمله فرسان القديس يوحنا الاسبانية في جزيرة مالطة فيما بعد خلال القرن السادس المهم انتقلت العملة والتنمية الي جنوب فرنسا وقطالونيا بشمال شرق اسبانيا فهي في البروفنسالية خلال القرن الثالث عشر Tarin وفي القطلانية Tavi ولما كانت الصلة وثيقة بين النورمان وانجلترا منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي حيث وجد نظام انجلو – نورماني مالي وهو The Excheauer وسجلات كانت بداياته في الديوان العربي الصقلي فلعل نظام الخزانة في انجلترا مقتبس عن اصول اسلامية صقلية .

علم الجغرافيا :

افاد الأوربيون كثيراً من كتب الجغرافيا والرحلات العربية حيث لم تعرف أوربا عن افريقيا الا عن طريق العرب والخرائط العربية التي ظلت مرجع لهم حتي القرن التاسع عشر ولتقول ان كروية الأرض لم يكن امراً مسلما به عند الأوربيين وللشريف الادريسي فضل كبير في هذا المجال اذ تحصل الأوربيون من كتابه نزهة المشتاق في اختراف الأفاق علي معلومات دقيقة عن الهند والصين وباقي العالم كما اعد الادريسي للملك روجر الثاني في ابسط صورة للأرض في دائرة من الفقه مبينا فيها الاقاليم السبعة .

الطب :

يعتمد في دراسة الطب في مدرسة سالرنو تغير الوضع في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي بظهور قسطنطين الأفريقي الذي امضي عمره في ترجمة الكتب الطبية العربية ومن الكتب التي ترجمها مقاله في المالنقوليا لإسحاق بن عمران وكتاب الحميات لإسحاق بن سليمان وثم انتشرت ترجماته في العرب وبفضلها انشئت مدرسة الطب في سالرنو في صقلية اسقفان البيزي الذي ترجم كتاب المجوسي وهي ترجمة دقيقة لاسم الكتاب الكتاب الملكي ويذكر ان علماء الطب يوجدون في المقام الأول في صقلية وسالرنو وهم الناطقين بالعربية أو اليونانية .

كذلك قام الطبيب قسطنطين الإفريقى (الصقلى) بكتابة حوالى أثنين وعشرين كتاباً فى مختلف شعب الطب، ترجم العديد من كتب الطب العربى إلى الاتينية ومن أهمها "زاد المسافر" لأبن الجزار (ت (٣٩٥هـ/١٠٠٤م) وأطلق عليه اسم Viaticas وترجم كتب الطب للرازى ، وغيرها من المؤلفات الطبية المشهورة.

وبهذا كان لصقلية دور فى الحياة الثقافية وكانت نقطة التقاء حضارات قديمة ووسطى، وبذلك كانت ثانى المعايير الحضارية الإسلامية إلى أوربا بعد الأندلس وزاد دورها فى حكم النورمان الناقلين للحضارة الإسلامية، حيث قامت حركة الترجمة على نقل كل ما هو عربى إلى اللاتينية، فبذلك كان تمهيد إلى قيام عصر النهضة فى أوربا.

وأهل الذمة كان لهم إسهاماتهم فى الدور الحضارى في العلوم والفلسفة والقانون، كما شاركوا في حركة الترجمة ، وتعلم الكثير منهم اللغة العربية فعملوا علي ترجمة الكتب من الإغريقية إلي العربية والعكس [١].

الفلك والتنجيم :

من اكثر الكتب العلمية اثر في القرون الوسطي كتاب المجسطي الي حمل نفس الاسم في أوربا وقد انجزت أول ترجمة لاتينية للكتاب من اليونانية في جزيرة صقلية ١١٦٣م اي قبل اثني عشر سنة من ظهور ترجمة الكتاب في صقلية علي جيرارد الكريموني الذي كان له الاشراف في الفلك والتنجيم .

علم المناظر :

---

(١)غوستاف لوبون: حضارة العرب،ص ٣٠٩؛ محمد كرد علي :الإسلام وحضارة العرب،ج،ص ٢٧٩.

في عهد وليام الاول ١١٦٠م ترجم كتاب المناظر لبطلميوس أمير الأسطول الصقلي يوجينيوس البكرمي وقد ترجمه عن الأصل العربي الي اللاتينية مع انه كان يتقن اللغة اليونانية .

الفلسفة والمنطق :

في بلاط فردريك الثاني قام مايكل سكوت بترجمه العديد من شروح ابن رشد وتعليقاته عللي كتابات ارسطو طاليس كما ترجم اجزاء من مؤلفات ابن سينا والي مايكل سكوت يرجع الفضل في المقام الاول في تعريف الغرب بمؤلفات ابن رشد ويقول روجر سكوت ان مايكل سكوت كان مسؤولا الي حد كبير عن اهم حدث في تاريخ الفكر في العصر الوسيط أو وهو تعريف بأرسطو عن طريق العرب .

الملاحق

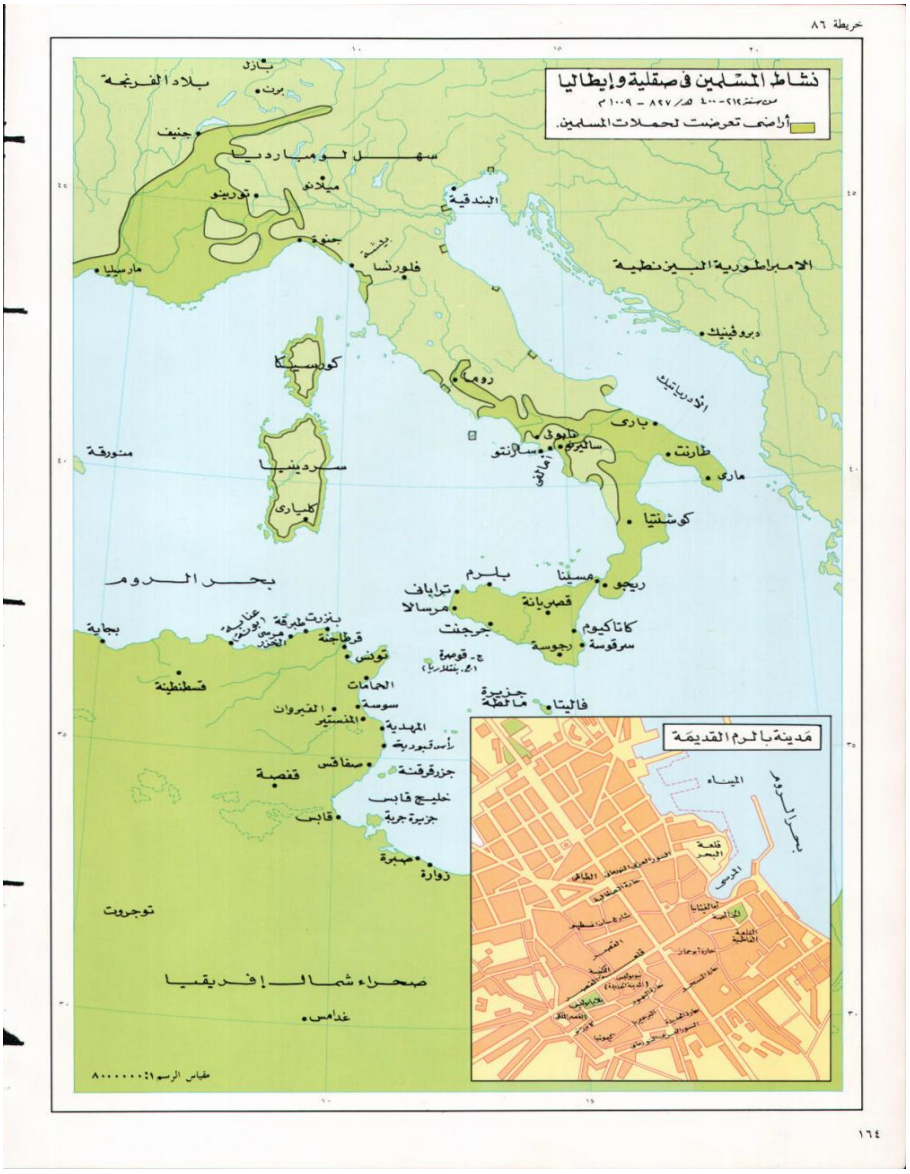

خريطة توضح نشاط المسلمين فى صقلية وايطاليا

حسين مؤنس : أطلس التاريخ الإسلامى ، ص١٦٤.

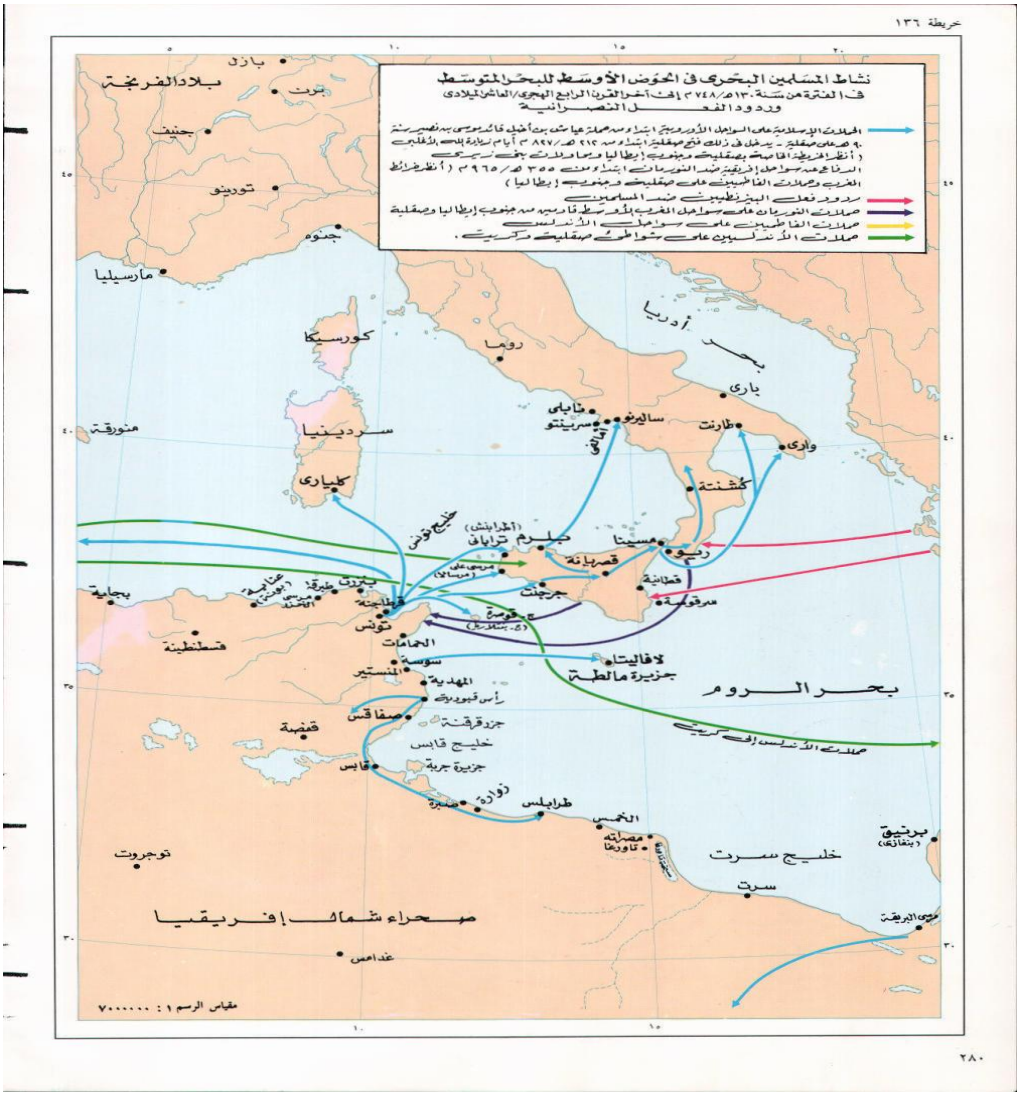

خريطة توضح نشاط المسلمين البحرى

حسين مؤنس : أطلس التاريخ الإسلامى ، ص٢٨٠

المصادر:

ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله القطاعى (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م) :

-الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م

ابـن الأثيـر:أبـو الحسـن علـى بـن أبـى الكـرم محمـد بـن الكـريم بـن عبـد الواحـد الشـيبانى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م):-الكامل فى التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) -اللباب فى تهذيب الإنساب، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

الإدريسى: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس **(ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م)**:

نزهة المشتاق فى اختراق الأفاق القاهرة، دار الثقافة الدينية،(١٤١٤هـ/١٩٩٤م)

-ابن أبى أصيبعة: موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم (ت٦٦٧هـ/١٢٧٠م):

-عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، القاهرة،الهيئة العامة للكتاب١٤٢٢هـ/٢٠٠٠م.

ابن بسام: أبو الحسن على الشنترينى (ت٥٤٢هـ/١١٤٦م):

-الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ليبيا-تونس، الدار العربية للكتاب، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك **(٥٧٨هـ/١١٨٣م)**:

-الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم، تحقيق: ابراهيم الأبيارى، القاهرة، دار الكتب العربى، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

ابن بعره: منصور بن بعره الذهبى الكامل:

-كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، تحقيق: د. عبد الرحمن فهمى

البكرى: أبو عبد الله بن عبد العزيز المرسى **(ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)**:

-جغرافية الأندلس وأوربا، تحقيق :عبد الرحمن على الحجى، بيروت، دار الإرشاد: ط١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م

البلاذرى: أبو الحسن أحمد بن يحيى البغدادى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م):

-فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

ابن البيطار: الشيخ ضياء الدين أبى محمد عبد الله (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م):

-الجامع لمفردات الأدوية، القاهرة، مكتبة المتنبى، د.ت.

ابن جبير: محمد بن أحمد الأندلسى (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)

-**رحلة ابن جبير**، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، د.ت

الجوذرى: أبو على المنصور العزيزى (ت القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى):

سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تحقيق :د. محمد كامل حسين،

ابن حزم الأندلسى: أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)

جمهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ/١٩٨٣م.

ابن حمديس الصقلى: أبو محمد عبد الجبار (٥٠٠م/١١٠٦م)

-ديوان بن حمديس، تحقيق د.إحسان عباس، بيروت، دار صادر ١٣٧٩هـ/١٩٩٦٠م.

الحميدى: أبو عبد الله محمد بن أبى نصير فتوح (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م):

- جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، القاهرة، مكتبة الثقافة الإسلامية، د.ت

الحميرى: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م):

-الروض المعطار فى خير الأقطار، تحقيق، د.إحسان عباس بيروت، مكتبة لبنان، طـ٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

أبن حوقل النصيبى: أبو القاسم محمد بن على البغدادى (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م):

صورة الأرض، ليدن، مطبعة بريل، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

أبن خرادذبة: أبو القاسم عبد الله بن عبد الله (توفى فى حوالى ٣٠٠هـ/٩١٢م):

-المسالك والممالك، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت.

ابن الخطيب: لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م):

-أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، الجزء الخاص بتاريخ المغرب وصقلية، نشرة د. أحمد مختار العبادى، ومحمد إبراهيم الكتانى، الدار البيضاء، دار الكتب، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

-الحلل فى نظم الدول، تونس، المطبعة العمومية، ١٣١٦هـ/١٨٩٨م.

ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

-كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، لبنان، دار الفكر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

-المقدمة، الإسكندرية، دار بن خلدون، د.ت

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)

-فيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق د.إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة ، هـ١٩٧٢م.

ابن دحية: عمر بن الحسن بن على بن محمد بن الخطاب (ت٦٣٣هـ/١٢٣٦م):

-المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبيارى وآخرون القاهرة، دار نشر التراث القديم، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

ابن أبى دينار:أبو عبد الله محمد أبى القاسم الرعينى القيروانى (ت١١١٠هـ/١٦٩٨م):

-المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس، تونس، مطبعة الدولة التونسية، ١٢٨٦هـ.

الذهبى: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م):

-العبر فى خبر من عبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٢، د.ت.

ابن رسته: أبو على أحمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م):

-الأعلاق النفسية، ليدن، بريل، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م.

ابن رشيق: أبو على الحسن بن رشيق القيروانى الأذدى (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م):

-العمدة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الرقيق القيروانى: أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم

(ت القرن الخامس الهجرى /الحادى عشر الميلادى)

-تاريخ إفريقية والمغرب، بيروت،دار الغرب الإسلامى، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

الرشيد بن الزبير: رشيد الدين أبو الحسين أحمد بن على بن إبراهيم

(ت٥٦٢هـ/١١٦٦م):

الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، الكويت، دائرة المطبوعات و النشر، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

ابن سعيد: أبو الحسن على بن موسى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

-الألحان المسلية فى حلى جزيرة صقلية، تحقيق مورتيز، من كتاب Centenario ،بلرم، ١٩١٠م٠

-المغرب فى حلى المغرب، تحقيق:د٠ شوقى ضيف وآخرون ،القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

-السلاوى : أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى (ت ١٣١٥هـ/ ١٨٧٩م)

الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصرى، ومحمد الناصرى، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٤م

السيوطى: جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين

(ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):

-حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه: خليل منصور، بيروت، دار الكتاب العلمية، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م.

-بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية ،د.ت.

الأشبيلى: أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام توفى فى

(القرن السادس الهجرى/الثالث عشر الميلادى):

-المقنع فى الفلاحة، تحقيق : صلاح جر، إشراف د. عبد العزيز الدورى، الأردن، منشورات مجمع اللغة العربية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

الشهر ستانى: أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم بن ابى بكر (٥٤٨هـ/١١٥٣م):

-الملك والنحل، تحقيق محمد سيد كيلانى، القاهرة، مكتبة الحلبى، ١٩٩٧هـ/١٩٧٦م.

الشيزرى : عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) :

-نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق د. السيد الباز العربى، بيروت، دار الثقافة، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

الأصطخرى: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى المعروف بالكرخى

(ت فى النصف الأول من القرن الرابع) الهجرى/ العاشر الميلادى):

-المسالك والممالك ،ليدن، بريل، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

ابن الصيرفى:أبو القاسم على بن منجب بن سليمان (ت ٥٤٢هـ/١١٤٨م):

-تاريخ دول الإسلام، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م

-الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، القاهرة، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م.

الضبى: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٣م).

-بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس، بيروت،دار الكتابالعربى،١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ/٨٧١م):

-فتوح مصر والمغرب، تحقيق : شارلز نبورى، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

ابن عذارى المراكشى: أبو عبد الله محمد بن محمد

(كان حيا فى سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م)/

-البيان المغرب فى أخبار المغرب، تحقيق، ج.س كولان، ليفى بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

. أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن عبد الملك المؤيد صاحب حماه (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م):

-المختصر فى أخبار البشر، القاهرة، مكتبة المثنى، ج٢، د.ت.

-تقويم البلدان، بيروت، دار صادر، د.ت.

ابن الفرضى: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م):

-تاريخ علماء الأندلس،صححه السيد عزت العطار، القاهرة، مطبعة المدنى، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

القزوينى:زكريا محمد بن محمود القزوينى (ت٤٦٥هـ/١٧٠٣م):

-أثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، د.ت

- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، قدم له وحققه : فاروق سعد، بيروت ، دار الآفاق الجديدة،١٩٧٣م.

القلقشندى: أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):

-قلائد الجمان فى التعريف بقبائل الزمان، تحقيق إبراهيم الأبيارى، القاهرة، وزارة الثقافة، ١٤٠٣هـ/١٠٨٢م.

-صبح الأعشى فى صناعة الأنشا، القاهرة، وزارة الثقافة ، د.ت

الكتبى: محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

-فوات الوفيات والزيل عليها، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، د.ت

ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت٧٤٤هـ/١٣٧٢م):

-البداية والنهاية، القاهرة، دار الفكر العربى، ط١٣٤١هـ/١٩٢٢م.

المسعودى: أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م):

-مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

-التنبيه والإشراف، ليدن ، بريل، ١٨٩٣م.

المقدسى: شمس الدين بن عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشارى (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م):

-أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، القاهرة، مكتبة مدبولى، ط٣، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

المقرى: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م):

-نفع الطيب فى غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

المقريزى: تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م):

-إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ج١.

تحقيق د. محمد حلمى محمد، ج٢، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د.ت

-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة،د.ت.

ثانيا : المراجع العربية.

إبراهيم العدوى : -الأمويون والبيزنطيون، البحر المتوسط بحيرة إسلامية ،القاهرة ، مكتبة الأنجلو، د.ت.

-السفارات الإسلامية إلي أوربا في العصور الوسطي .القاهرة،دار المعارف،هـ/ ١٩٥.

-بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي . القاهرة، مكتبة الأنجلو،/١٩٧٠م.

إحسان عباس (الدكتور): -العرب في صقلية ،القاهرة،دار المعارف،١٩٥٩م

-معجم العلماء والشعراء الصقليين بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،ط١، ١٩٩٤م.

أحمد توفيق المدني : -المسلمون في جزيرة صقلية ، -تونس ، مكتبة الاستقامة / ١٣٦٥هـ.

أحمد مختار العبادي : التاريخ العباسي والفاطمي، بيروت، دار النهضة العربية .

أحمد مختار العبادي :السيد عبد العزيز سالم -تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ، بيروت،دار النهضة العربية،١٩٨١م.

-تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط في المغرب والأندلس ،الإسكندرية،مؤسسة شباب الجامعة، ج٢، ١٩٩٣م.

أمين توفيق الطيبى:-دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية،ليبيا ،طرابلس،دار أقرأ للطباعة والنشر،١٤٠٠م/١٩٩٠م .

دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ليبيا ،الدار العربية للكتاب،١٤٠٤هـ /١٩٨٤م.

أدم ميتز –الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ، تحقيق: عبد الهادي أبوريدة، القاهرة،مطبعة التأليف والترجمة والنشر،ط٢، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

أرشيبالد .ر. لويس :

القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ٥٠٠م/١١٠٠م ترجمة: أحمد محمد عيسي ،القاهرة،مكتبة النهضة المصرية،د.ت.

فهرس الموضوعات

الموضـــوع رقـــم الصفحة

المقدمة ٣

الفصل الأول ٥- ٤٣

الفصل الثانى ٤٥- ٨٠

الفصل الثالث ٨١- ١١٤

الفصل الرابع.....١١٥- ١٤٢

الملاحق..... ١٤١- ١٤٢

المصادر والمراجع ١٤٣- ١٤٩

الفهرس ١٥٠